روائع التراث الزيدي

مجموع

كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن يحيى الهادي

تأليف الإمام المرتضى محمد بن يحيى الهادي عليهما السلام

منشورات
مكتبة التراث الإسلامي
الجمهورية اليمنية - صعدة
ت: ٥١٣٦٥٠ - ٥١٢٣٣٣

روائع التراث الزيدية

مجموع

كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن يحيى الهادي

تأليف الإمام المرتضى محمد بن يحيى الهادي عليهما السلام

الجزء الثاني

منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صعده

ت: ٥١٣١٥٠ - ٥١٣٣٣٣

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

منشورات
مكتبة التراث الإسلامي
الجمهورية اليمنية - صعدة
ت: ٥١٣١٥٠ - ٥١٢٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

٨٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ أَسۡلَمَ ﴾ فهو: استسلم لأمره، وإنفاذ لما قضى به من حكمه. ومعنى ﴿ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾، فقد يخرج على ثلاثة وجوه:

أحدها: أن يكونوا أطاعوا أمره مسرعين، كطاعة الملائكة المقربين، الذين ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، وكطاعة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد يكون معنى ﴿ كَرۡهٗا ﴾، كمثل من كان لله عاصيا، ولطاعته مجانبا، فيرجع إلى طاعته بما حكم الله به عليه، وأمر به أولياءه فيه، من قتله وقتاله حتى يفيء إلى حكم الله صاغراً، وينقاد إلى ما أمر به راغما.

وقد يمكن أن يكون معنى قوله: ﴿ أَسۡلَمَ ... طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾، يخرج على ما أراد الله سبحانه من خلق الأشياء، وهو الوجه الثالث، إذ كان لا يمتنع على الله شيء، مما فطر من السماء والأرض وما بينهما، وما خلق وجعل فيهما، فإذا أراد الله سبحانه إيجاد شيء أوجده وكوّنه، وعلى أي صورة شاء جعله وركّبه، لا يمتنع عليه من مفطوراتها ممتنع، فهو الموجد سبحانه للخلق من بعد العدم، الفاطر لهم المكون الجاعل لأرواحهم، المركبة في أجسادهم، المقدر الخالق لألوانهم، الجابر لهم على ذلك سبحانه وتعالى، فعلى هذا المعنى: يخرج ما سألت عنه.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه في كتابه: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت:١١]. والأرض فليس تكلم ولا السماء، وإنما أخبر الله عز وجل بكون ما أراد من إنفاذ أمره، وأنه لا يمتنع عليه شيء من خلقه، لأن العرب تعرف في لغتها أن كل ما لابد من إتيانه طوعا أو كرها، ، أنه شيء لا حيلة فيه ولا مرد له، وهو

حتم نافذ، فجاز أن يقول: ﴿ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (١)، إذ هو جائز في اللغة، موجود في الكلام والمخاطبة، والمعنيان الأولان جواب مسألتك، إلا أنا نحب إذا وقع للمسألة وجوه تخرج عليها أن (٢) نشرحها جميعا، يكون ذلك إشفاء لقلب السائل، ولو اجتزينا بالوجه الذي يؤدي جواب المسألة لكان ذلك مغنيا، وحسبنا الله ذو القوة المتين.

٨٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [آل عمران:٩٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد ذكر أن إسرائيل أصابته علة من عرق النَّسا، وقد قيل: إنها عروق خرجت به، فحرم على نفسه ألا يأكل عرقا، ولا يأكل لحوم الإبل (٣)، فهذا الذي حرم إسرائيل، فكانوا إذا ذبحوا الذبيحة أخرجوا عروقها جميعا، فهذا تفسير الآية معناها.

---

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) في (أ) و (ج): أن.

(٣) أخرج عبد بن حميد، والفريابي، والبيهقي في سننه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طريق سعد بن جبير عن ابن عباس ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾ قال: العرق. أخذه عرق النِّسا، فكانت يبيت له زرقاء يعني صياح، فجعل لله عليه أن شفاه أن لا يأكل لحكما فيه عروق، فحرمته اليهود.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير من طريق يوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: حرم على نفسه العروق. وذلك أنه كان يشتكي عرق النسا، فكان لا ينام الليل فقال: والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد، وليس مكتوبا في التوراة ((وسأل محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفرا من أهل الكتاب فقال: ما شأن هذا حراما؟ فقالوا: هو حرام علينا من قبل الكتاب، فقال الله: ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ... إن كنتم صادقين ﴾.

وأخرج ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿ إلا ما إسرائيل على نفسه ﴾، قال: حرم

٨٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية محكمة، لا تحتاج إلى تفسير في نفس الحج، وهو من الله فرض على جميع الخلق، وأما السبيل فهو: وجود الراحلة والزاد والأمن، فإذا كان ذلك وجب على كل مسلم الحج، فإن تركه تارك استخفافا وإطراحا له، فقد ترك فريضة من فرائض الله، ولزمه اسم الكفر، وإن كان تأخره لعلة مانعة، أو فقر مجحف، أو خوف متلف، فهو عند الله معذور، فمتى استراح من علله، وجب عليه أن يخرج إلى طاعة ربه، وينهض حاجا إلى بيته.

وقلت: إن كان رجل عازماً على الحج ثم نزلت به نازلة منعته عما أمل من قصده، فأوصى بثلث ماله يحج به عنه، هل يجوز أن يدفع إلى من يحج به عنه من المدينة، أو الكوفة (١)، إذا كان لا يكفيه للحج من بلده ؟

و لم تشرح المعنى جيدا في هذه الوصية، فإن كانت النازلة التي نزلت به عند قصده للحج نازلة موت، فأوصى بثلث ماله يُحج به عنه، فلا بأس (٢) أن يدفع بالمدينة أو بالكوفة، ليحج منها عنه، إذا كان لا يبلغ من يخرج من بلده، وإن كانت النازلة بالرجل من مرض فهو على نيته، وما أمل في أداء حجه، فإذا أزاح الله ما به من علته خرج بنفسه، و لم يكل ذلك إلى غيره.

العروق، ولحوم الإبل، كان به عرق النساء فأكل من لحومها، فبات بليلة يزقوا، فحلف أن لا يأكه أبدا. الدر المنثور ٢/٢٦٣ – ٢٦٤.

(١) في (أ): والكوفة.

(٢) في (ب): بأن.

وقلـــت: إن جعلـــنا الحج من الثلث، إذا أوصى به الميت، وكذلك فعلنا لأن كل وصية عند الوفاة [١] فإنما تخرج من الثلث.

و لم يجعل الله للموصي [٢] عند الموت أن يوصي بأكثر من ثلثه، فأجزنا ما أجازه [٣] له خالقه، ومنعناه مما لم يجزه سبحانه له، والحج فإنما هو فرض على الرجل في رقبته يؤديه بنفسه، بحركاته وبسفره، وحطه ورحله، وأما [٤] إذا حضرت الوفاة فليس له في [٥] المال إلا الثلث.

وقلت: هل يُخرج من سائر المال للحج إذا لم يكفه الثلث ؟

ولـــيس ذلك يوجب [٦] على الورثة، ولا يلزمهم من حكم الله، فإن تبرعوا بشيء وأجازوه، فذلك بر منهم وإحسان، وليس بلازم لهم، ولا واجب عليهم.

٨٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٨] ؟

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: الآيات فهي: ما أنزل الله سبحانه من كتابه، وما جعـــل الله [٧] فيه من آياته ودلائله، التي توجب الطاعة، وتذهب المعصية، ويتم بها من الله على عباده النعمة، آيات حق، ومثبتات لصدق، مع [٨] رسول أمين، مقرب

---

(١) في (ب): الموت.

(٢) في (ب): سبحانه لموصٍ.

(٣) في (ب): ما حازه.

(٤) في (ب): ورحيله فأما.

(٥) في (أ): من.

(٦) سقط من (أ): يوجب.

(٧) في (ب): جعل عز وجل.

(٨) سقط من (أ): مع.

عـــند ذي العـــرش مكـــين، مستودَع من أخبار الأولين والآخرين [1]، مع علم ما سيكون في يوم الدين.

والآيـــات الـــتي جاء بها محمد صلى الله عليه، تشهد على نبوءته، وتفلج خصمه، وتقيم الحجة له.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه في أول العشر: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران:١٠١]. فكل هذه آيات وتبصرة، وهداية للحق وتذكرة.

٨٩- وســألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران:٩٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا آية قائمة بنفسها، مستغنية عن التفسير لها. ألا تســمع كــيف يقــول عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾. وهو بيت آدم صلى الله عليه، الذي ابتناه عند خروجه من الجنة التي كـــان في ظلالها [2]، فاحتاج عند ذلك إلى الظل والكنان، فدله الله على بنيانه [3]، فكـــان أول بيت بني في الدنيا، وكان فيه صلى الله عليه ساكناً، وحوله قاطنا وهو البيت الذي أقسم الله به في قوله: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ [الطور:٤]. وهو قبلة إبراهيم، وقبلة محمد صلى الله عليهما، وقبلة الخلق إلى منقطع الدنيا.

وذكرتَ أن بيت آدم رفع إلى السماء ؟

---

(١) سقط من (ب): الآخرين.

(٢) في (أ): فيها وفي ظلالها. وفي (ب): فيهما وظلالها.

(٣) في (ب): بنائه.

وليس من ذلك شيء، بل هو البيت الحرام [١]، المتعبد به جميع الأنام، الذي يطاف به الآن، ويقصده جميع أهل الإيمان.

٩٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ... إلى قوله: بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران:١١٨-١٢٠]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله سبحانه [٢]:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾، نهياً منه عز وجل للمؤمنين أن يتخذوا بطانة، والبطانة فهي [٣]: الخاصة الموثوق بهم، المحبون المكرمون، فنهاهم الله سبحانه أن يتخذوا الكافرين بطانة وأولياء، ثم قال: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾، فأخبرهم [٤] أن هؤلاء الذين اتخذوهم بطانة لا يألونهم خبالا، والخبال، فهو: الإفساد والمكيدة والاحتيال.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾، فأخبر أنهم يودون ما عنت به المؤمنون، والعنت فهو: الهلاك، فأخبرهم [٥] أنهم يودون ذلك، ويحبونه ويشتهونه.

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، والبيهقي في الشعب عن أبي ذكر قال: ((قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد القصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة)). الدر المنثور ٢/٢٦٥.

(٢) سقط من (ب): معنى قوله سبحانه.

(٣) في (ب): فهم.

(٤) في (ب): فأخبر.

(٥) في (أ): فأخبره. وفي (ب): فأخبر.

ثم قـال: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾، بقبح اللفظ والكلام، والطعن على المؤمنين، والإفساد على الصالحين، والمساعدة لمن حاربهم من الكافرين.

ثم أخبر عز وجل أن ما تخفي صدورهم أكبر مما هم مضمرون، وله معتقدون في المؤمنين، من التحسر عليهم والطلب لهلاكهم، والتغيظ [1] عليهم في جميع أحوالهم، فقلوبهم على المؤمنين وَغِرةٌ، وأنفسهم عليهم حَنِقَةٌ، يطلبون لهم [2] الغوائل، ويؤلبون عليهم القبائل.

ثم أخبرهم سبحانه تبيينا بذلك للمؤمنين، وإيقافا على مكائد الفاسقين، فقال: ﴿ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، يقول: إن كنتم تفهمون.

ثم قال عز وجل: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾. إعلاما منه سبحانه للمؤمنين، إنكم تعاملونهم بالصحة، وليس في محبتكم لهم غش ولا مكيدة، وهم يعاملونكم بالبغض [3] والخيانة، ووغر الصدور، والانطواء على أقبح الأمور.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾، ولا تكذبون شيئا من حكمه [4]، ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران:١١٩]. يقول عز وجل: إذا لقوا المؤمنين أعطوهم [5] ظاهراً من القول، ومحالاً من الكلام، ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ - كما ذكر الله سبحانه - عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾، و ﴿ ٱلْأَنَامِلَ ﴾ فهي: الأصابع، وهذا يفعله [6] كل من اشتد غيظه، وعظم حنقه، تأسفا وتحسرا، إذا قصرت يده عما لا يقدر أن يناله،

(١) في (ج): والتغليظ.

(٢) في (أ): لهم. وفي (ب): يطلبونهم.

(٣) في (ب): بالبغضة.

(٤) سقط من (أ): ولا تكذبون شيئا من حكمه.

(٥) في (أ): لقوكم أعطوكم.

(٦) في (ب): فعل يفعله.

فإذا كان ذلك عض أنامله، فقال الله عز وجل أمرا منه لنبيه وللمؤمنين، أن يقولوا للكافرين عندما أخبرهم به سبحانه من غيظ الظالمين عليهم: ﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ﴾، يريد: إنكم لن تبلغوا ما تأملون، ولا تقدرون عليه، ولا تلحقونه أو تفتنون.

ومعنى: ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾، فهو: عليم بما استجن في الصدرو، واستتر [(١)] في القلوب، وعلمه بغامض السر والخفيات، كعلمه بما بان وظهر من الأفعال المعلنات، الواضحات البينات، لا يخفى عليه شيء وهو السميع العليم.

ثم قال عز وجل: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾. فأخبر سبحانه أنه إذا مس المؤمنين من الله حسنة، وأنعم عليهم نعمة [(٢)]، أو فتح عليهم فتحا، ساء هؤلاء الكفرة المذكورين وغمهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾. ومعنى ﴿ يَفْرَحُوا۟ ﴾ فهو [(٣)]: يسروا ويستبشروا.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾. فأخبر سبحانه أنه محيط بأعمالهم، مجازي لهم على جميع أفعالهم، حافظ للمؤمنين من كيدهم، إذ هو سبحانه ذو الفضل والإحسان، على جميع أهل الطاعة والإيمان، فهذا [(٤)] معنى الآيات، وما يخرج تفسيرهن عليه، والله ولي التوفيق.

٩١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ [آل عمران:١٢٢] ؟

---

(١) في (ب): وما استتر.

(٢) في (ب): بنعمة.

(٣) في (ب): فهم.

(٤) في (أ): وهذا.

قـال محمـد بـن يحيى عليه السلام: سئل [1] عن هذه المسألة أبي الهادي إلى الحق صـلوات الله عليه، فقال: هما بنو سلمة، وبنو حارثة، فكانت بنو سلمة نحو سلع، وبنو حارثة نحو أُحد، حين عبأ النبي صلى الله عليه الناس، وذلك يوم الخندق [2].

٩٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد:٢١] ؟

وقد مضى تفسير هذه الآية [3] في مسائلكم الأولة.

٩٣- وسـألت عـن قـول الله سـبحانه: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [هود:١٠٧، ١٠٨]. فقلت: ما هذه السماء والأرض ؟

قـال محمـد بن يحيى عليه السلام: هي سماء الآخرة وأرضها الباقيتان، المحكوم [4] لهما من الله بالدوام.

٩٤- وسألت عن ﴿ جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴾ [الحاقة:٢٢، الغاشية:١٠] ؟

والعالية فهي: المرتفعة الخطيرة الشريفة التي علا ما فيها على غيره.

٩٥- وسـألت عـن الآخرة فقلت: هما داران جنة ونار، فقلت: فأين يكون الموقف إذا لم يكن إلا جنة ونار ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: (كذلك الآخرة ليس فيها لساكن مثوى ولا قرار، إلا جنة ونار) [5].

---

(١) في (ب): قد سئل.

(٢) أخـرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد ﴿ إذ همت طائفتان ﴾ قال: بنو حارثة كانوا نحو أحد، وبنو سلمة نحو سلع. الدر المنثور ٢/٣٠٦.

(٣) في (أ): تفسيرها في. وسقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

(٤) في (أ): والمحكوم.

(٥) سقط من (ب): ما بين القوسين.

والحشــر فإنما يكون قبل الموقف والقضاء، والمحاسبة على جميع الأشياء، والحساب فإنمــا يقــع مــن قبل المكافأة والجزاء، وعند مصيرهم إلى منازلهم [١] ودارهم، لا يســكنون غيرها، ولا يكونون أبدا إلا فيها، فلما أن حكم الله عز وجل للمؤمنين بالجنة ثوابا، وبالنار لأهل المعصية جزاءً وعقاباً، لم يكن الموقف لهم بقرار، ولو كان لهم قراراً، لكان مسكناً وداراً، وما حالهم في الموقف إلا كحالهم عند خروجهم من قبورهم، لأنه لا بد لهم من الخروج منها، والمسير إلى غيرها.

فإن قلت: الموقف من الجنة أو من النار ؟

فقيل لك: من الجنة.

فقلت [٢]: فقد دخل أهل النار الجنة.

وإن قيل لك: من النار ؟

قلت: فقد دخل أهل الجنة النار.

قلــنا لــك: أرأيت القبور التي خرج الناس منها [٣]، أليس كان خروجهم منها في الآخــرة عند قيام الساعة ؟ أفرأيت المواضع التي خرجوا منها، وصاروا إلى المحشر فــيها ؟ أمن الجنة أم من النار ؟ فإن كان [٤] من النار كان ذلك فاسداً، لأن أهل الــنار لا يــزالون فيها [٥]، وليسوا بزائلين من النار، وأهل الجنة واقفون فيها [٦]، وليسوا ممن يدخل النار.

---

(١) في (ب): منزلهم.

(٢) في (أ)، (ب): قلت.

(٣) في (ج): منها الناس.

(٤) في (ب): فإن قلت.

(٥) في (ب): منه. وفي (ج): منها.

(٦) في (أ)، (ب): فيه.

ومما يحتج به عليك أن يقال لك: أرأيت الآخرة هل ذكر الله فيها مسكناً ؟ إلا جنة أو نارا، وليس ما زيل عنه وخرج منه [١]، وخرج من قراره بجنة، ولا بنار، ولن يخلو هذا المقام من أن يكون على أحد ثلاثة وجوه:

إما أن يكون يرد في [٢] النار فيدخل فيها، فليس ما يكون فيها منها، حتى يكون فيها، كما لا يقال لمن كان من أهل النار: قد دخل النار حتى يدخلها، أو يكون من الجنة، فليس يقال لما لم يدخل في الجنة: إنه من الجنة، وإنما يسمى بها إذا دخل في حدودها، وعند دخوله في حدودها يخلق سوى خلقه، ويغير كتغيير غيره من السماء الأولى والأرض عند تغيره، فليس هو بعينه.

وقد يمكن أن يكون الله عز وجل يجعل موقفا للخلق يحاسبون فيه، ويحشرون إليه، كما ذكر سبحانه، المحشر والوقوف بين يديه، ثم يبيده كما أباد السماء الدنيا وأرضها، ونسف جبالها، ويصير أهل الجنة وأهل النار إلى قرارهما، ولا يبقى شيء غيرهما، ولا منزل سواهما.

وأي ذلك كان [٣] فحسن جميل، لا يلحق الله سبحانه فيه ذم، ولا لقائل مقال.

وليس هذا مما تعبّد الله به الخلق، أن يعرفوه، وإنما عليهم أن يصدقوا بالجنة والنار، وليس عليهم أن يصفوهما، فما مثل مسألتك هذه إلا كمثل إنسان قال: كم طول النار [٤]، وكم عرضها، وما فيها من عدة عذابها، وهذا شيء قد وضعه الله عن

---

(١) سقط من (ب): وخرج منه.

(٢) في (ب): إلى.

(٣) سقط من (أ): كان.

(٤) في (ب): طول الدنيا.

الخلـق، لا يحتـاجون إليه، ولا يسألون عنه، والترك للجواب فيه واسع [1]، إلا أنا أحببنا أن نجيبك ببعض الجواب، ولو أردنا التفريع فيه [2] والتطويل لأمكن ذلك.

٩٦- وأمـا مـا سألت عنه من اطلاع أهل الجنة على أهل النار، وما قال فيه الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وما أجبنا به فيه [3] فليس بيننا اختلاف، بل نحـن - ولله الحمـد - على غاية الائتلاف، لأن الاطلاع يكون إطلاعا بخبر، وإطلاعا بنظر، فقلنا ما قال الله: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٥٥]. وسواؤها: وسطها [4]. فلما أن قال: ﴿ سَوَآءِ ﴾، قلنا: ننظر [5] إذ قـال في ﴿ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾، والعـرب تقول: اطلعت على خبرك، تريد بالاطلاع أي: بالإخبار، لا بالنظر، ويقول القائل: اطلعت على ما كنت تفعل، بالإشـراف والبصر [6]، وقد صار الإطلاع بالنظر والإطلاع بالخبر كلاهما غير خـارج مـن المعنى، ولا مفسد لصفة الإطلاع، ولا يقع بهذا تحليل حرام، ولا تحريم حلال، نُعنف على اختلافنا فيه، ولا كان في قولي إن أهل الجنة يدخلون الـنار، ولا أن أهـل الـنار يدخلون الجنة، فتكون هذه المخالفة التي أحلت وحرمت.

فأمـا في اللغة المتسعة فجائز الإطلاع بالخبر، والإطلاع بالنظر، وكلاهما جائز في اللغـة ثابـت في العربية، غير مفسد ولا مدخل ضدا، وإنما يقع التضاد فيما أحل وحـرم، أو ممن أدخل في الوعد من كان من أهل الوعيد، أو أدخل في الوعيد من

---

(١) في (ب): أوسع.

(٢) سقط من (أ): فيه.

(٣) سقط من (ب): فيه.

(٤) في (ب): فهو وسطها.

(٥) في (ب): نظير. وفي (ج): نظر.

(٦) في (ب): يريد بالإشراف. وفي (ج): والنظر.

كان من أهل الوعد. ففي هذا تكون المخالفة. فأما ما جاء في اللغة وحرج في الكلام، فإنما حاله كحال من قال: يا رجل، وقال: يا إنسان، أو قال: يا غلام، وكلهم يجمعه اسم الإنسان.

وإنما يقع الاختلاف لو سمي الإنسان بحي أو فرس فيكون أحدهما مخالفاً لصاحبه، خارجاً من حده ووقته، وجنسه وصفته، لأن من سمي الإنسان باسم الفرس فلم يعرف الإنسان، وكان هذا خطأ من المقال، وتناقضاً في كل حال [1]، فأما من قال: يا رجل، أو قال [2]: يا إنسان، فهما جميعاً مؤتلفان، لا فرق بينهما، ولا اختلاف فيهما، وكل اسم يجوز أن يُدعا به صاحبه، فافهم - هديت - المعنى الذي يقع فيه الاختلاف، يَبن لك فيه الصواب، وتخرج بعون الله من الارتياب، والهادي إلى الحق صلوات الله عليه فمصيب في جميع أحواله، فما قال فهو صواب، ولم [3] نخالفه في شيء من الأشياء، بل نحن تابعون له، مقتدون بفعله، ممتثلون لرسومه، فجمعنا الله معه [4] في مستقر رحمته، بمنه ورأفته.

٩٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. فقلت: ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد قيل في ذلك: إنها مداولة بينهم في الملك والغلبة، وقد قيل: إن الله عز وجل جعل بينهم الدولة [5]، وهذا عندي فقول مدخول ليس

---

(١) في (ب): كل ما سأن.

(٢) في (أ): وقال.

(٣) في (ب): ولا.

(٤) سقط من (ب): معه.

(٥) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ فإنه كان يوم أحد بيوم بدر. قتل المؤمنون يوم أحد اتخذ الله منهم شهداء، وغلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشركين يوم بدر، فجعل له الدولة عليهم.

هو بصواب، ولكن أقول والله الموفق: إن معنى قوله سبحانه: ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾. فهو: إفناء قرون وإحداث قرون، وأمور بعد أمور، ومداولتهم فيها، فهو ما جعل الله لهم من البقاء في مدتها، فقوم يموتون وخلق يحدثون إلى انقطاع الأيام، وآخر الآية يشهد على ما قلنا به [1]، ليجزي الله سبحانه كلا بفعله، ويعطيه على إحسانه، ويعاقبه على سيئته.

٩٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه نزلت في يوم أحد، فيما امتحن به المؤمنون، ونالهم به المشركون [2]، ومعنى: قوله سبحانه ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾، قال: فإنه أدال المشركين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وبلغني أن لامشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد بضعة وسبعين رجلاً، عدد الأسارى الذين أسروا يوم بدر من المشركين، وكان عدد الأسارى ثلاثة وسبعين رجلا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾، قال: جعل الله الأيام دولا. مرة لهؤلاء. أدال الكفار يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٣٣١/٢ – ٣٣٢.

(١) في (ب): به قلنا.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس. أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر ونستشهد. أو ليت لنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين، ونبلي فيه خيرا، ونلتمس الشهادة والجنة والحياة والرزق. فاشهدهم الله أحدا، فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فقال الله: ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في الآية قال: غاب رجال عن بدر، فكانوا يتمنون مثل بدر أن يلقوه فيصيبوا من الأجر والخير ما أصاب أهل بدر، فلما كان يوم أحد ولّى من ولّى، فعاتبهم الله على ذلك.

يقول: عاينتم من الشدة والهول، وحضور ما يقع به القتل [1] والموت، وأنتم تنظرون، والعرب تسمي كل شيء أفظعها وهالها، وأيقنت فيه بالهلكة والموت، تقول إذا وقعت في خطر، وأمر [2] شديد: رأينا اليوم الموت عيانا، ووقعنا في الموت. وهذا جائز في لغتهم، حسن من كلامهم، وإنما خاطبهم الله بما يعرفون، وناجاهم بما لا ينكرون.

٩٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بعلمه، وكذلك فلا يموت أحد إلا بعلم الله، والكتاب المؤجل فهو: الوقت الذي قد علمه الله، وقدر فيه العمر والمدة.

وقلت: فإذا قتل الرجل هل يكون ذلك بإذن الله وبأمره ؟

فنقول - أكرم الله عن النار وجهك -: إن قتل الرجل بعلم الله، وليس علمُ الله الذي كان به قتله، وإنما عَلِمَ الله بما كان [3] من التعدي عليه، وأما بأمر الله وقضائه، فمعاذ الله ما أمر الله به !! وكيف يأمر به وهو يقول عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨]. ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء:٣٣]. ويقول: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء:

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الربيع وقتادة قالا: إن أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل، فكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا، فسيق إليهم القتال حتى إذا كان بناحية المدينة يوم أحد. فأنزل الله ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ... ﴾ الآية. الدر المنثور ٢/٣٣٣ - ٣٣٤.

(١) في (أ): حصول. وفي (ب): به الهلاك.

(٢) في (أ): أو أمر.

(٣) في (أ): ما كان. وسقط من (ب): ما كان.

٩٣] الآية ؟!! فنهى عن قتل النفس، وذم فيها وأوجب العقوبة على قاتلها، وكيف يجوز أن ينسب إليه ما تبرأ منه، وأوجب العقاب عليه ؟! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!!

وهل يمكن في عدل الحكيم، أن يقضي بقتل عبد على عبد ؟![1] وقضاؤه لا حيلة فيه، ولا مخرج منه، ثم يعذب القاتل ويأمر بقتله، وهذا بعيد من العدل، والله بريء من ذلك، بل قد أمر خلقه بترك التعدي والظلم، فقال:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء:٣٣]. وقال: ﴿ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٢]. وقال: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء:٣٣]. فكيف يُنسب إليه ما هو بريء منه سبحانه ؟!! ويأمر بخلافه، ويحكم بالتعيير على فاعله ؟!

وإن كنت أردت بقولك: إن قتل المقتول بأمر الله من طريق ما حكم الله به على الظالمين، حيث يقول: فـ﴿ ٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [النساء:٨٩]. وقوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد:٤]. وما أطلق للأولياء من القتل للقاتل الظالم لهم، المعتدي عليهم، فهذا لعمري من فعل الله تبارك وتعالى وأمره، وحكمه على ظلمة خلقه، مكافأة لهم على فعلهم، ومجازاة على قبيح عملهم، من بعد إقامة الحجة عليهم، وتبيين الحق لهم، وفي هذا من الحجج كثير لو شرحناه واحتججنا به، وفيه، لكان متسعاً كثيراً، والقليل المجزي الموافق في الديانة، أنفع من الكثير عند من يخالف في المقالة، نسأل الله التوفيق لما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه.

١٠٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى ﴾ [آل عمران:١٥٦]. فقلت: لِمَ قال: ﴿ إِذَا ضَرَبُوا۟ ﴾، وهل يحتمل أن يطرح الألف من ﴿ إِذَا ﴾؟

---

(١) سقط من (ج): على عبد.

وهـذا - يرحمك الله - كلام فصيح، جائز مستقيم، لو كان على غيره لدخله نقصان، لأن الله سبحانه إنما أخبر عن قول الظالمين، فقال: ﴿ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٥٦]. فأخبر الله عز وجل أنهم إنما يقولون هذا الكلام لإخوانهم إذا خرجوا بأمر نبيهم، وغزوا في طاعة ربهم، وليسوا إذا قعدوا يقولون لهم من ذلك شيئا، فلما أن كانوا يمسكون عن هذا الكلام في حال قعود إخوانهم، ويتكلمون به عند خروجهم في جهاد أعداء الله وعدوهم، كانت [(١)]، هذه حالان [(٢)]، فأخبر الله عز وجل بكلامهم في حال الغزو والضرب في الأرض، وبسكوتهم في حال التخلف والخفض، فلم يحسن و لم يجز في صحيح اللغة إلا أن يقول: ﴿ إِذَا ﴾ لأن ﴿ إِذَا ﴾ إخبار عن كلام هؤلاء القوم لإخوانهم في كل مرة غزوا أو ضربوا في الأرض، قالوا لهم هذا الكلام [(٣)] وخاطبوهم بهذه المخاطبة، لا يقعطونها عنهم أصلاً، وإذا كان قولهم: ﴿ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كانوا كأنهم إنما خاطبوهم في فعلة واحدة، وسفر منفرد وحده، فهذا الفرق بين بين: إذا وإذ.

١٠١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ ﴾ [آل عمران:١٦١]. فقلت: كيف يقرأ بضم الياء وفتح الغين، أم بنصب الياء ورفع الغين ؟

وليس القراءة تجوز في هذا إلا برفع الياء ونصب الغين، وقد عندكم في القراءة مصحف أنفذناه إليكم، فيه جميع ما يُحتاج إلى معرفته من القراءة الصحيحة.

---

(١) في (ب): كان هذه هي التامة.

(٢) في (ج): حالتان.

(٣) سقط من (أ): الكلام.

١٠٢- وسألت عن قول الله سبحانه: لـ ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] ؟

وقد مضى تفسيرها إليكم وشرحها مبيناً، بتفضيل الله لأوليائه في عطائه لهم على قدر أعمالهم، وشدة اجتهادهم، وصدق قولهم، وفي ذلك لكم كفاية إن شاء الله.

١٠٣-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم عليه السلام فقال: الإملاء منه: الإبقاء، ومنه تأخير العذاب والنقم، فيما ارتكبوا من الإثم والجرم، وبهذا [(١)] كله وعنه، وبما تولى الله منه، أتوا من الإثم والإساءة ما [(٢)] أتوا، وعصوا الله بما عصوا. فاعلم إن الإملاء من الله نعمة وإحسان، وازدياد الإثم منهم فإساءة وعصيان، فمن الله سبحانه الإملاء، ومنهم الاعتداء، وتأخيره سبحانه لإنزال العذاب بهم، إنما هو ليزدادوا إثما بكسبهم، ليس لما يحبون من سرورهم، ولا لما يريدون من أمورهم، ولكن ليزدادوا بالبقاء والإملاء إثماً، ولأنفسهم بما ارتكبوا من الظلم هلكة وإخزاء [(٣)]، وإن كان ما تركوا من الهدى وإن لم يفعلوه لهم ممكنا، وكان ما تركوا من الهدى في نفسه حسنا، ولهم لو صاروا إليه ولن يصيروا محيبا [(٤)]، وكان كلهم بإتيانه له مهتديا.

والإملاء والإبقاء فهو من فعل الله بهم، وازدياد الإثم فهو من فعلهم وكسبهم، وما يمكن ويكون بالإملاء من الأمور، فسواء في المكنة من البر والفجور، فلما آثروا

---

(١) في (ج): وهذا.

(٢) في (ب): بما.

(٣) في (ج): من الظلم إثما.

(٤) في (ج): مجتنبا. مصحفة.

اعتداهم، على ما يمكنهم من هداهم، جاز أن يقال: أُملوا ليزدادوا إثما وردى، كما يجوز لو اهتدوا أن يقال: أُملوا ليزدادوا براً وهدىً، ومثل ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا ﴾، قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]. وهم وإن خلقوا ليعبدوه فيحتملون لغير العبادة[1]، وخلافها إنما هو فعل منهم، نسب إليهم ولم يزل عنهم، وكل ذلك ففعل لهم وصنع، والله تعالى هو الصانع لهم المبتدع، ففعل الله بريء من فعلهم، فيما كان من الإملاء لهم، ففعل الله تأخير وإملاء، وفعلهم ازدياد واعتداء، وبين ذلك فرق لا يجهله إلا جاهل.

١٠٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩]. فقلت: ما معنى هذا، وهل تقرأ يبين[2] الخبيث من الطيب ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه الآية نزلت في المؤمنين والمنافقين، من قبل فرض الجهاد، فكان المؤمنون الصادق قولهم، الخالصة نياتهم، الصحيحة عزائمهم، يقولون: يا رسول الله لو فرض الله الجهاد عليك، كما فرضه على من كان قبلك، أو امتحنا بما كان يمتحن به الأمم من قبلنا، لسلمنا ولقمنا[3] واجتهدنا، وابتلينا في الله، ونصحنا.

وكان المنافقون يقولون مثل قول المؤمنين سواء، ويصفون عن أنفسهم ما يصفه المؤمنون، من نياتهم، فاستووا في الظاهر، واختلفوا في الضمائر، فلم يفرق بينهم في الضمائر بشيء من الأمور، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾.

---

(١) في (أ): العبادة، وإن أرادوه والعبادة. وفي (ب) العبادة، والعبادة وخلافها.

(٢) في (أ) و (ج): يميز.

(٣) في (ج): ولقاتلنا.

ففــرض الله عــلى نبيه صلى الله عليه وعلى من معه الجهاد، فأمّاز [١] أهل الشرك والإرتــياب، وبانوا لجميع أهل الدين في الألباب، فعرفوا بكذهم، واستدل عليهم بغشهم، ونفذ المؤمنون لطاعة رهم، مصممون في (جهاد عدوهم، باذلون أنفسهم) [٢] مرضــاة خالقهم، لم يشكوا في دينهم، ولم يرتابوا في بصائرهم، (ولم ينكلوا عمــا عقد الله سبحانه في رقاهم) [٣]، بل زادهم ذلك إيمانا ويقيناً، وهدىً وعزماً، فمــيز الله أولياءه [٤] بما افترض من جهاد أعدائه وقد كانوا عند الله من المميزين، وهــو بهم عالم، وعلى سرائرهم مطلع، ولكن أبانهم لنبيه صلى الله عليه، وميزهم للمؤمنين، ولجميع الصالحين، فكان من المنافقين ما قد بلغك في خروج النبي صلى الله علــيه إلى بدر، ورجوعهم عنه، وما كان من عبد الله بن أبي سلول، المنافق من الرجوع بكثير من الناس، عن رسول الله عليه السلام، فلم [٥] يضر بذلك إلا نفسه، وتــولى الله النصــر لنبــيه صلى الله عليه، وأظهر كلمته ولو كره المشركون، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

١٠٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران:١٨١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله عز وجل، بقول الفاسقين الظلمة المتمردين، وما يقولون به في رب العالمين، والقائل لذلك فهم المشركون الجاحدون

---

(١) في (ب): فأبان.

(٢) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٤) في (أ) و (ج): أولياءه.

(٥) في (ب): فلن.

لله، المـــنكرون لنبيه صلى الله عليه، من أهل الكتاب اليهود [(١)]، ومن ساعدهم من الأشـــرار وأهل الكفر والإرتياب [(٢)]، ثم قال: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾. والكتاب فهـــو: الحفظ من الله تبارك وتعالى لقولهم، وما كان من سيئ لفظهم [(٣)]، ومعنى ﴿ قَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾. فهـــو: الرضـــى منهم بقتل آبائهم لمن سلف من النبـــين، فلما أن رضوا بذلك كانوا من القاتلين، ولفعل من سلف من المصوبين، وفي ذلك لا محالة من الداخلين.

ثم قـــال: ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾. يخـــبر عز وجل بما يصيرون إليه، ويجـــازون بـــه في الآخـــرة من عذاب الحَرِيق، والبلاء الشديد، جزاء على فعلهم، ومكافأة على أعمالهم.

١٠٦- وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ [آل عمران:١٨٣] ؟

قـــال محمـــد بن يحيى عليه السلام: هذا قول أهل الكتاب كذبوا فيه على الله عز وجـــل، وقالوا زوراً وبهتانا عظيما، فأكذبهم الله سبحانه في آخر الآية، فقال لنبيه عليـــه السلام: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران:١٨٣] في قولكم إن الله عهد إليكم فيما سألتم، فَلِمَ قتلتم من جاءكم بالبينات وبالقربان الذي طلبتم ؟! فأوقفهم الله سبحانه على كذبهم، وقرعهم بما كان من فعلهم.

وقلت: ما القربان ؟

---

(١) سقط من (أ)، (ب): اليهود.

(٢) في (أ) و (ج): والإرتياب، وأمثالهم.

(٣) في (ب): ألفاظهم.

فهـو شـيء كان يقربه الأولون، من طريق البر والطاعة لله سبحانه، مثل الكباش وغيرهـا من الأطعمات، فتخرج نار فتأخذ قربان أزكاهم عملاً، وأقربهم عند الله عـز وجل محلا، وتدع [1] ما ليس بزكي، ولا مُقَرَّبة إلا لمؤمن [2] رضي، كما فعل ابنا آدم في قربانيهما، فتقبل الله من أحدهما، و لم يتقبل من الآخر [3].

وقـد قيل: إن الكبش الذي فدى الله به إسماعيل عليه السلام، هو قربان ابن آدم، أنزله الله على إبراهيم صلى الله عليه [4]. والله أعلم كيف كان ذلك.

فسبحان العادل في حكمه، المنصف لخلقه، المتعطف عليهم، المنعم بالإحسان إليهم، ولكـن الخلـق في فعـلهم كما ذكر عنهم، حين يقول: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

١٠٧-وسـألت عـن قول الله سبحانه: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]. فقلت: هل في ذلك متعلق لمن يزعم أن أهل النار يخرجون منها ثم يدخلون الجنة ؟

---

(١) في (ب): وجل وعلا، وتدع.

(٢) في (أ)، (ب): ولا مقرٌّ به بمؤمن.

(٣) أخـرج ابـن المنذر، عن ابن جريج قال: كان من قبلنا من الأمم يقرب أحدهم القربان، فتخرج الناس فيـنظرون أيتقـبل منهم أم لا، فإن تقبل منهم جاءت نار بيضاء من السماء فأكلت ما قرب، وإن لم يتقبل لم تأت تلك النار فعرف الناس أن لم يقبل منهم. الدر المنثور ٣٩٨/٢.

(٤) أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي التي ذبح عليها إبراهيم عليه السلام فدى ابنه إسحاق، هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقـرن، له ثغاء، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم، فتقبل منه، وكان مخزوناً في الجنة حتى فدى به إسحاق عليه السلام. الدر المنثور ١١٣/٧.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: وأي تعلُّق - يرحمك الله - في ذلك لأحد ؟! أو ما فيه من الدليل على خروجهم من النار إلى الجنة ؟! وكيف يزحزح منها من كان من أهلها ؟! فصار بحكم الله فيها، ووصل بقبيح فعله إليها، ووقع في أليم العذاب، وصار بذلك إلى شر مآب.

وإنما المعنى: في قوله: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ ﴾. فهو أبعد من النار وأزيح عنها، وأزلف الجنة وأدخل فيها، فأصبح من المؤمنين، وعند الله سبحانه من المقربين، ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾، بَعُدَ من الراحة والسرور، والنعمة والحبور، أهل الآثام والشرور، المتقحمون في المعصية، التاركون للطاعة، الكفرة الأشرار، المصيَّرون إلى شر[1] دار، ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ ﴾ [ص:٥٦]، قال سبحانه: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ ﴾ [النبأ:٢٣]. وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود:١٠٧، ١٠٨]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝ ﴾ [الحجر:٤٨]. وقال: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝ ﴾ [الزخرف:٧٧].

فأين - يرحمك الله - ما ذكرت من خلاصهم ؟ مع ما ذكر الله سبحانه وأخبر من دوام حسرتهم وطول مقامهم، في طبقات النيران، ماكثون في الخزي والهوان، ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝ ﴾ [فاطر:٣٦]، غير خارجين من أليم العذاب، ماكثون فيه طول الأبد، إلى غاية لا تبيد ولا تنفد.

١٠٨- وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ [آل عمران:١٨٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾. فهو: فرحهم بما ارتكبوا وأتوه من الجرأة على خاتم النبيين، والطعن على المؤمنين، مع قبيح فعلهم،

---

(١) في (أ)، (ب): أسوأ.

ومستسمع سيرتهم، فكانوا يستحسنون ذلك من أنفسهم، ويرونه جائزا عندهم، لشرارتهم وشدة كفرهم، وبعدهم من الله وعنادهم.

والفرح منهم فهو: أشر وازدها، وتبع [1] للمعصية والهوى، كفرح قارون إذا يقول له قومه: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص:٧٦]. وإنما كان فرحه جرأة وأشرًا، ومعصية لله وتمردا، وهذه الآية نزلت في اليهود، ذماً لهم فيما كانوا يأتون من الجرأة على الله سبحانه وعلى أوليائه [2].

ثم قال عز وجل: ﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾. فهو ما كانوا يتوسمون به ويذكرونه عن أنفسهم، من الفضل والطاعة لله والمدح، لأمرهم [3]، فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، وبيّن للمسلمين كفرهم، ﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ

---

(١) في (أ): وقبح.

(٢) أخرج البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في الشعب من طريق حميد بن عبد لارحكمن بن عوف أن مروان قال لبوّابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لَنُعَذَّبنَّ أجمعين. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟! إنما أنزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ... ﴾ [آل عرمان:١٨٧] الآية، وتلا ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ﴾ الآية. فقال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال: يعني فنحاص، وأشيع، وأشباههما من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ أن يقول لهم الناس: علماء وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى ولا خير، ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا. الدر المنثور ٤٠٣/٢ – ٤٠٤.

(٣) في (أ)، (ج): لأمر رهم.

بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ﴾، فأخبر أنهم غير فاعلين لما ذكروا، ولا صادقين فيما انتحلوا، بل هم كاذبون، وعند الله معذبون.

ثم قال: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾. والمفازة فهي: البعد، فذكر سبحانه أنهم من العذاب قريب، غير بعيد، فحكم عليه بأليم العذاب، وأوجب عليهم الخزي والعقاب، وصاروا بذلك إلى شر مآب، جهنم يصلونها فبئس المهاد.

تم الجزء الثالث من سورة النساء

١٠٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾ [النساء:١].

فقلت: هل خلقت حواء من نفس آدم من الطين الذين خلق منه آدم ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك - أن الناس قد اختلفوا في هذه الآية، وتفسير خلق حواء من آدم، فقال فيها قوم: خلقها الله من ضلعه الأصغر، وهو الأسفل من الأضلاع [1].

وقال آخرون: خلقت من بعض لحمه [2]، وتكلموا في ذلك ورووا روايات قد سمعتها إن كانت وصلت بك، ووقفت على شرحهم فيها ونظرته، وكل عندي لم يصب المعنى، ولم يقع فيه على باب حق ولا هدى.

والقول فيها - والله أعلم وهو الموفق للصواب - أن الله سبحانه لما أن خلق آدم من الطين، أقام مطروحا من طين على هيئة إنسان [1] في الذراع والعضد والرأس

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ قال: خلق حواء من آدم من ضلع الخلف وهو أسفل الأضلاع. الدر المنثور ٢/٤٢٣.

(٢) أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجال، فاحبسوا نساءكم. وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض. الدر المنثور ٢/٤٢٣.

والأنف والأصابع، فكان على ذلك تبصره الملائكة لا روح فيه، فخلق الله سبحانه حواء من تلك الطينة من قبل أن ينفخ فيها الروح، ثم نفخ فيه الروح صلى الله عليه فإذا هو يسمع ويبصر ويتحرك وينطق، ويقوم ويقعد (٢). فهذا معنى: ﴿ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾. وهو صواب إن شاء الله.

وقد قيل: إن معنى ﴿ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾. أي: خلقها من جنسه، وأنشأها مما أنشأه منه، وليس ذلك عندي بقول، والقول الأول أحب إلينا، هو إن شاء الله الصواب.

١١٠- وسألت من قراءة آخر الآية فقد أجتزيت بما صار إليك من القراءة الصحيحة.

---

(١) في (ب): الإنسان.

(٢) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق آدم من أديم الأرض فألقي على الأرض حتى صار طينا لازبا، وهو الطين الملتزق، ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا وهو المنتن، ثم خلقه الله بيده فكان أربعين يوما مصورا، حتى يبس فصار صلصالا كالفخار إذا ضرب عليه صلصل. الدر المنثور ٥/٧٧.

وقال في مروج الذهب: وسمي آدم، لأنه أخذ من أديم الأرض، وقيل غير ذلك. ووكل الله ملك الموت بالموت، وجبَّله الله تعالى، [وتركه] حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض، أربعين سنة، ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة، وذلك قوله تعالى: ﴿ من حمأ مسنون ﴾ أي: متغير منتن، ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة، وقيل: أربعون سنة، وهو قوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾، فكانت الملائكة تمرُّ به فيفزعون منه، وكان أشدهم فزعا إبليس، كان يمر به فيضربه برجله، فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة، وذلك قوله تعالى: ﴿ من صلصال كالفخار ﴾، وقد قيل: إن الصلصال غير ما ذكرناه، وكان إبليس يدخل من فيه ويخرج من دبره، ويقول: لأمر ما خُلقتَ. مروج الذهب ١/٣٠ - ٣١.

وقلت: هل يجوز لوصي اليتيم إذا خاف ألا يقسط [١] في مال اليتيم، ولا يقوم بما يجب فيه عليه، وخاف تضييعه، أن يدفعه إلى اليتيم وإن كان صغيرا ؟

واعلم - حاطك الله - أنه لا يحل للوصي تضييع مال اليتيم المؤتمن عليه، الموثوق به فيه، بل يجب عليه القيام به، والإيثار له، والعمارة لخرابه، والاجتهاد في صلاحه، فهو أمانة في رقبته، يجب عليه القيام بها، والتخلص إلى الله من تضييعها، فأما دفعه إلى الصبي فلا يجوز، لأنه إذا دفعه إليه، فقد أذهبه كله عليه، إذ الصبي لا يميز فعله، ولا يعقل فيعمر ماله ويقوم لشأنه، ويحرص في جميع أموره، ولكن يجب على وصيه القيام بأمره.

فإن أيقن بإتلاف ماله، وتضييعه فيه لأمانته، ولم يكن عنده من [٢] الخير ما أمّل منه، ورجى فيه وظن به الموصي إليه [٣]، أطلع ذلك على الإمام إن كان ظاهرا، ليقيم الإمام له رجلا مسلما يقوم بماله ويحوطه فيه، لأن الإمام والد الأيتام، متعطف على ضعفة الأنام، حافظ لما أمر به فيهم وفي جميع المسلمين، وما حوت يده من ضعفة المؤمنين، فيكون إذاً [٤] ذلك المتولي لأمره، والقائم بشأنه، إلى بلوغ أشده، أو الاستيناس لرشده. والرشد فهو: العقل والفهم والدين، فإذا رأى ذلك ولي اليتيم من بعد بلوغه، سلم إليه ما في يده من ماله، وأشهد على ذلك، ولا يجوز له دفعه إليه حتى يرى الرشد فيه، ويوقن [٥] بالصلاح لديه.

---

(١) في (ج): يستقص.

(٢) في (ب): يكن فيه من.

(٣) سقط من (أ)، (ب): إليه.

(٤) في المخطوطات: إذ. وما أثبت اجتهاد.

(٥) في (أ): ويوفق. وفي (ب): وتوثق. مصحفتان.

وأما ما سألت عنه من المعروف الذي أبيح للوصي الفقير أن يأكله، فقد تقدم تفسير ذلك إليكم.

١١١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ ﴾ [النساء:٥]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم صلوات الله عليه، فقال [١]: معنى ﴿ لَا تُؤْتُوا۟ ﴾: هؤلاء تعطوا السفهاء أموالكم، فإن كانوا لكم أبناء وآباء، يجب عليكم رزقهم وكسوتهم فيها، وأمرهم أن ينفقوا عليهم ويكسوهم منها [٢]. ﴿ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ من القول معروفه وحسنه، وسهل القول ولينه، ونهاهم أن يعطوا سفهاءهم أموالهم التي جعل الله لهم قياماً، والقيم هو: المعاش واللباس، الذي به يبقى ويقوم الناس، فيهبوها لهم أو يأمنوهم فيها، ويجعلوا لهم سبيلا إليها، فيفسدوا معاشهم منها عليهم، ونهاهم أن يعطوهم إياها ويسلموها إليهم، وأمرهم أن لا يؤتوا الأبناء من أموالهم إلا أن يؤنسوا، ومعنى أن يؤنسوا: أن يروا منهم رشداً، فيدفعوها إليهم، وكيف يجوز أن يؤتي أحد ماله أحداً ،؟ إذا كان في أرض الله ولنفسه مفسداً. وقد نهى الله عن ذلك نظراً منه للعباد [٣]، وحياطة منه برحمته لأرضه، وخلقه من الفساد [٤].

وقلت: هل يجوز لرجل أن يقيم امرأته مقام الوصي فيوصي إليها ؟

---

(١) سقط من (أ): فقال.

(٢) في (أ): منهم. مصحفة.

(٣) في (أ) و (ج): لعباده.

(٤) في (ب): لأرضهم. وسقط: وخلقه من الفساد.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا وثق بدينها، وأيقن بأمانتها، ورصانة عقلها، فجائزة الوصية [1] إليها.

١١٢-وسألت عن رجل حلف بصدقة ماله فحنث، ثم حلف فحنث، حتى فعل ذلك مراراً و لم يكفر، فقلت: ما يلزمه ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يلزم في ذلك إذا حلف في شيء بصدقة ماله ثم حنث فيه، أن يخرج ثلث ماله للمساكين كما حلف، وهذا ما كان يقول به القاسم بن إبراهيم، ثم الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما، ثم نحن بعدهما.

وقلت: فإنه اكتسب مالاً (من بعد الحنث في المال الأول، فهل يدخل المال المكتسب فيما حنث فيه ؟

قال: أعلم أن كل ما حنث فيه الحالف) [2] فلازم له تنفيذ ما لزمه الحنث فيه، وكل ما اكتسب من بعد الحنث فليس بداخل فيه، ما حاله في اكتسابه من بعد الحنث إلا كحال من حنث ثم كفّر ثم اكتسب مالاً، فلا يلزمه فيه شيء، وإنما يلزمه في ما ملك يوم حنث.

١١٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء:٢١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تأديب من الله عز وجل لمن عرفه من المؤمنين، وسلم لحكمه من الصالحين، ألا يأخذوا مما آتوا النساء من مهورهن شيئا، وهذا فعل يفعله من لا معرفة له ولا تميز، وهم الآن كثير، إذا أبغض الرجل المرأة ضيق عليها، وأقبح في المعاشرة [3] لها وأضرَّها، واضطرها بسوء فعله، وشدة تعنته إلى أن

---

(١) سقط من (أ): الوصية.

(٢) سقط سهوا من (ج): ما بين القوسين.

(٣) في (ب)، (ج): وأقبح معاشرته.

تفتدي منه بمهرها، فيأخذه ظلماً وتعدياً، ثم يتزوج به النساء، فيأكله حراماً وسحتاً، فنهى الله عز وجل من استبدل [(١)] زوجة مكان زوجة، ألا يضر بالأولى ويسيء إليها، ولا يتحرم بظلم عليها، حتى يأخذ ما أعطاها.

ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾. والإفضاء فهو: الدخول عليها، والكشف لمحاسنها، ولما استتر من غيره من بدنها، مع الدنو منها، فقد أفضى منها إلى أشياء أوجبت عليه مهرها، وحظرت عليه بحكم الله أخذه منها، فنهاهم الله من بعد ذلك عن الظلم والاعتداء، والتحيل بالباطل [(٢)] لطلب الفداء منهن، أو الأخذ لمهورهن، وما أوجبه الله سبحانه بحكمه لهن.

ولا يجوز ولا يحل في حكم الله ذي الطول والإحسان، أن يأخذ المسلم مهر مرته، إلا أن تكون كما قال الله سبحانه: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٢٩]. فإذا كان منهما جميعاً الظلم والتعدي ولم يكونا متناصفين، ولا بما فرض الله عليهما في الصحبة بعاملين، جاز حينئذ الفداء والقبول.

١١٤- وسألت عن [(٣)] رجل عنين دخل بمرة وأقام معها مدة لم يمسها، هل لها نصف المهر أم المهر كاملاً عند طلاقها ؟

ولها - يرحمك الله - المهر كاملاً، لأنه قد دخل بها وأرخى سترة، وأغلق بابه عليها، وقلبها ونظر إلى المستتر منها، فالعجز كان منه، والمهر عليه بحكم الله سبحانه لها به.

---

(١) في (ب): من أراد أن يستبدل.

(٢) في (ب): بالباطل عليهن.

(٣) في (أ)، (ب): وقلت: في.

وقلـت: فإن رجلاً دخل بمرة وأرخى [1] الستر وأغلق الباب، و لم يمسها ثم طلقها. فقلت: هل لها نصف الصداق أم الصداق كله ؟ وقلت: إن كان الرجل ثقة في قوله مأمونا، هل يصدق في كلامه ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - حاطك الله وهداك - أن كل مرة دخل بها ‹ زوجها، عنينا، أو غير ذلك، وأرخى الستر عليها، وأغلق الباب، وخلا بها › [2]، ‹ أن لهـا الصداق كاملاً، وعليها العدة كاملة، لأنه قد خلا بها › [3]، ولعل أن يكون دنـا منها دون فرجها، ولصق بدنه ببدنها، وربما وقع الحمل من ذلك والمرأة عاتق [4]، فـلا بد لها من العدة إذا دخل بها، وإذا لزمت العدة وجب المهر، فاعلم ذلك وقس عليه ما أتاك من هذا الباب، فهو بعون الله الحق والصواب.

١١٥- وسـألت عن قولِ الله سبحانه: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ [النساء:٣٣] ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام [5]: الموالي فهم القرابة والعصبة، ألا تسمع كيف يخـبر الله عز وجل عن زكريا عليه السلام حين يقول: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾ [مريم:٥]، يعني: العصبة.

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾. فقلت: فما نصيبهم ؟

---

(١) في (ج): وأرخاها. مصحفة.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٤) في (أ): عابق. وهي الجارية التي قد أدركت وبلغت. لسان العرب مادة: عتق.

(٥) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى عليه السلام.

وهـــذه آية منسوخة، وذلك أن قريشاً والعرب في جاهليتهم كان يتعاقد الرجلان مـــنهم والقبيلتان [١]، ويتحالفون على الموازرة والمناصرة والمحابة ما بقوا، وعلى أن مـــن مـــات منهم ورثه الآخرون مع ورثته، وربما لا يكون له قريب لاصق فيرثه حلـــيفه دون عصـــبته، فكانوا يتعاملون بذلك، فلما أنزل الله عز وجل ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفـــال:٧٥، الأحزاب:٦]، ثم أنزل الله ســـبحانه فـــرض المواريث وقسمها، فراح ما كان بينهم، ورد المال إلى أهله، وقسمت [٢] على ما حكم الله بما له، وأمضاها فيه.

١١٦- وســـألت عـــن قـــول الله سبحانه: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النساء:٣٦] ؟

وقـــد مضـــى تفسيرها بشرح بيّن إليكم، في مسائلكم التي سألتم عنها، وفيما قد وصل بكم كفاية، والجواب واحد.

١١٧- وســـألت عن قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤٢] ؟

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ هو: يوم القيامة، يوم الدين، وحشر العالمين، والموقف بين يدي أحكم الحاكمين، يود الكفرة يومئذ عند معاينة العذاب، والإيقان بشر مآب، أن الأرض تسوى بهم، وتسويتها فهو: انخسافها، وذهابهم فيها مـــن شدة ما يرون، ثم قال: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾، فهو يوم القيامة لا يكـــتمون حديثا من أفعالهم، ولا شيئا مما سلف من زمان حياتهم، وأيام لهوهم، ألا تســـمع كـــيف يقول سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ

(١) في (أ)، (ب): والقبيلان.

(٢) في (ب): وقسمت السهام على.

﴿ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥]. فأي حشمة [(١)] أو فضيحة أو عظيمة أشد من كلام الجوارح وشهادتها على العبد ؟ بما كان من فعله، وما ارتكب من معصيته، في أيام مهلته، وأوان غفلته، فنعوذ بالله من شر المنقلب، وموقف الخزاء، وقبح الهول والخزاء، إنه ولينا، وغاية قصدنا.

١١٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ [النساء:٤٣] ؟

وقد مضى تفسيرها إليكم، وقلت: في آخر كلامك دليل على أن الله عز وجل قد أجاز شرب الخمر، ومعاذ الله ما في هذا دليل على ترخيص في المسكر، وكيف يرخص في ذلك ؟ وهو يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠]. مع ما نزّل [(٢)] فيه من الحد وشدد فيه الرسول عليه السلام.

ولكن السكر الذي نهى الله عن الصلاة فيه، سكر النوم [(٣)]، وذلك أن المسلمين كانوا يأتون من أعمالهم وهم تعبون، فيحضرون الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا صلوا المغرب وانتظروا العشاء مالت بهم أعينهم، فإذا نهض

---

(١) في (ج): خشية.

(٢) في (ب): بما أنزل.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ قال: نشاوى من الشراب ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ يعني: ما تقرؤون في صلاتكم.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الضحاك في الآية قال: لم يعن بها الخمر، إنما عنى بها سكر النوم.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله: ﴿ وأنتم سكارى ﴾ قال: النعاس.

وأخرج البخاري عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف، فلينم حتى يعلم ما يقول)). الدر المنثور ٢/٥٤٦.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة قاموا بسنح [1] النوم ووسنه وشدته يصلون، فلا يسمعون قراءة [2]، ويختلط عليهم كثير من حدود صلاتهم لغلبه النوم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك.

ولو كان هذا السكر سكر الخمر كما قلت لكان مطلقا لهم ترك الصلاة، لأنه نهاهم ألا يقربوا الصلاة وهم سُكارى، فقد أحل الخمر لهم، فإذا كان ذلك [3] كذلك فقد جاز لهم ترك الصلاة أبداً حتى يصحوا، لأنه أمرهم لا [4] يقربوها وهم سكارى، فصار تركهم لها عند سكرهم فرضاً من الله عز وجل عليهم، بأمره سبحانه لهم بذلك، وإطلاقه لهم، فهم غير معذبين ولا مأثومين في تركها، والله بريء من ذلك متعالي عنه، بل حظره عليهم ومنعهم أشد المنع منه، وعذبهم على فعله [5]، وإنما السكر الذي نهاهم الله عنه سكر النوم، وأمرهم عند الصلاة بالتيقظ والانتباه وإعادة الوضوء، فهذا تفسير الآية ومعناها.

١١٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦]. فقلت: كيف يحرفون الكلم عن مواضعه [6]، وما معنى تحريفهم له ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هل يكون - يرحمك الله - تحريف هو أشد من تحريفهم لما أنزل الله في التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟! وما

---

(١) السنح: العارض.

(٢) سقط من (ج): قراءة.

(٣) سقط من (أ): ذلك.

(٤) في (ب): ألا.

(٥) في (ج): وعذبهم عليه.

(٦) سقط من (أ)، (ب): فقلت كيف يحرفون الكلم عن مواضعه.

كـــان فيها من صفته، والأمر بطاعته، والدلالة عليه، فحرفوا كلام الله فيه، وبدلوه وغيروه [١] وكتموه، فهذا أشد تحريف، وأوضح [٢] ما يعرف من الحيف.

ومـــن التحريف أيضاً الكذب على المؤمنين، وتغيير كلامهم، وإدخال الفساد في ذلـــك بالظـــلم لهم، ومن التحريف ألا يسمعوا شيئا من ذكر الله سبحانه، ولا من كـــلام نبـــيه صـــلى الله عليه وآله وسلم إلا حرفوه وخرجوه [٣] على غير معناه، وأوهمـــوا الناس فيه غير ما أنزله، لأن اليهود أشرار الخلق، وأعداهم لله ولرسوله، وأقساهم قلوباً، وأشدهم كفراً وحقداً على المؤمنين، لا تخشع قلوبهم لذكر الله، إلا اليسـير مـن الكثير، وذلك قول الله سبحانه: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة:٨٢].

١٢٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ [النساء:٤٧] ؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى قوله [٤]:﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾، أراد سبحانه من أهل الكتاب: الإيمان به وبكتابه ورسله.

---

(١) في (أ): وبدلوا وغيروا.

(٢) في (أ) و (ج): وأصح.

(٣) سقط من (أ): وخرجوه.

(٤) في (أ): فقال: ﴿ آمنوا ... ﴾. وفي (ج): معنى ﴿ بما نزلنا ... ﴾.

ومعنى ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾: لما في توراتكم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفته، والأمر بطاعته، لأن الله عز وجل قد ذكره لهم في كتابه، وأخبرهم أنه سيرسله، وأمرهم بطاعته، وبيَّن لهم صفته، فإذا لم يؤمنوا بما قد ذكر لهم في كتابهم، فلم يصدقوا بشيء مما في توراتهم، وكذلك لو لم يرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على ما أخبرهم ووعدهم، لكان ذلك خلفاً لوعده، فكان إرساله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تصديقاً لما ذكر في التوراة من نبوته.

وكذلك يلزمهم إذا كذبوا بما في التوراة من بعد إثباته [1] وتبيينه، فقد كذبوا بكل ما في التوراة من وحي وأمر ونهي ووعد ووعيد، وإذا كذبوا بذلك فقد باينوا بالكفر وجاهروا به، وسواء جحدوا شيئا واحداً مما أمروا به، أو جحدوا جميع ما أنزل عليهم، وما حكم الله به وأمر فيهم.

ومعنى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾، فهو: الخذلان لهم والإذلال والهوان، وإنزال المصائب بهم، والمسخ لهم، والتغيير لخلقهم، ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾، واللعنة من الله عز وجل فهي: العقوبة والعذاب، وأراد سبحانه ينزل بهم كما أنزل بأصحاب السبت من المسخ لهم، والتغيير لخلقهم، وأصحاب السبت فهم: الذين خالفوا أمره في الحيتان، فمسخهم قردة وخنازير.

١٢١- وسألت عن الجبت والطاغوت ؟

وقد سئل عن ذلك جدي القاسم عليه السلام، فقال: الطاغوت: الشيطان والغواة المردة والكهنة. والجبت يقال: إنه السحر. والله أعلم [2].

١٢٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦] ؟

---

(١) في (أ)، (ب): إثباته.

(٢) سقط هذا السؤال من: (أ)، (ب).

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي عن هذه المسألة.

فقال: تأويل ذلك: أن الله عز وجل قادر على ما يشاء من مغفرة أو تعذيب، لمن خلق وأنشأ، وليس في خبر من الأخبار أنه غير معذب لمن أوعده بالنار، لأنه جل ثناؤه لو لم يعذب من أوعده بالعذاب من أهل الكبائر لكان في ذلك خلف وإكذاب لما وعد به في ذلك الميعاد، وفيما ذكر سبحانه من وفاء ميعاده ووعده، ما يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الرعد:٣١]. وليس بين قوله سبحانه: ﴿ يَغْفِرُ ﴾ و[1] ﴿ يُعَذِّبُ ﴾ فرق، لأن من لم يغفر له فقد عذبه، ومن عذبه فلم يغفر له.

١٢٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء المذكورن في الحسد هم أهل الكتاب، حسدوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما خصه الله به وأعطاه، وحسدوا المؤمنين ومن تبعه من المسلمين، فقال الله سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾. فأخبر عز وجل بما آتى الأنبياء، وهذا دليل على أنهم أرادوا النبوة فيهم، وحسدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما خصه الله به من الملك، وأنزل عليه من الوحي، ألا تسمع كيف يقول: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ [النساء:٥٤-٥٥]، فلم ينتفعوا، إذ كان ذلك في داود وسليمان حتى صدوا عنه، وأبعدوه وكرهوه ونابذوه، ثم ذكر ذرية إبراهيم فقال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ [الأنعام:٨٤]. وقد كان

---

(١) في (أ)، (ب): وبين.

أعطـــى داود ملكاً عظيماً، فاختلفوا عليهما كاختلافهم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وزعموا أن ملك سليمان كان بالسحر، فلم ينتفعوا بذلك.

وأمـــا ما قلت: إنهم حسدوا محمداً النساء[1]، فهذا شيء لم يكن، ولكن حسدوه في النبوة، وفي الملك الذي آتاه الله إياه.

١٢٤-وســـألت عـــن قـــول الله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [النساء:٧٢]؟

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى[2] ﴿ لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ هو: يتخلف ويتثاقل عن الغـــزو والخـــروج، فـــإن أصاب المسلمين ﴿ مُّصِيبَةٌ ﴾ كما قال الله عز وجل، والمصـــيبة فهـــي المحنة والنازلة، ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾، والشهيد فهو: الحاضر، فهؤلاء ومثلهم المتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين، وقد[3] ذكرهم الله عز وجل فقال: ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [التوبة:٩٨] وإن ظفـــر المؤمنون بعدوهم وأصابوا غـــنائما وفضـــلا ونعمة من الله وخيرا، كان منهم ما قد ذكر الله سبحانه عنهم، وأخبر به من قولهم. ﴿ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [النساء: ٧٣]، وهـــذا الإبطاء الآن في الناس يفعلونه، ونراه منهم عيانا في الغزوات والجهاد، وإنما يكون ذلك ممن لا دين له ولا معرفة، يرى الجهاد مغرماً والسير فيه تعباً، لقلة العلم، ورداوة المعرفة.

(١) أخـــرج ابن جرير وابن أبي حاتم، من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح، فاي ملك أفضل من هذا. فأنزل الله هذه الآية ﴿ أم يحسدون الناس ... إلى قوله: ملكا عظيما ﴾، يعني: ملك سليمان. الدر المنثور ٥٦٦/٢.

(٢) في (أ)، (ج): معنى.

(٣) سقط من (أ): وقد.

وقـد يمكـن أن يقولوا هذا في الآخرة عندما يردن من ثواب المؤمنين وعطائهم، وإحسـان الله إليهم، على ما كان من جهادهم، وسرعة نهوضهم في ما افترض الله عليهم، ثم يرى أهل التخلف والتثبط ما يصنع الله للمؤمنين فيندمون على ما كان منهم، ويأسفون على تخلفهم، ويقولون: ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [النساء:٧٣] !!

فـيكون أسـفهم على ما كان من ثواب ربهم أعظم من أسفهم على ما فاتهم من غـنائم المؤمنين التي نالوا بجهاد الظالمين، فهذا وجه مما يصلح ويخرج في تفسيرها، والوجـه الأول عـندي هو مخرجها، إلا إني استحبب تخريج المسألة على جوهها والشرح لما تخرج عليه من أبوابها.

١٢٥- وسألت عن رجل كان له على رجل حق، فجحده إياه ومنعه منه، فقلت هل يستعدي إلى السلطان الجائر ؟

وفي هذه المسألة جواب أغفلناه إلى وقت يمكن فيه شرحه، إن شاء الله.

١٢٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩]، فقلت: ما معنى الرفيق ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: ألا تسمع كيف يقول الله عز وجل في أول الآية: ﴿ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ [النسـاء:٦٩] [1] إلى آخـر الآية؛ ومعنى قوله: ﴿ رَفِيقًا ﴾، فالرفيق هو: الصاحب والمجالس والمحادث والمقارن، فهذا هو الرفيق.

١٢٧- وسـألت عـن قول الله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] ؟

---

(١) في (ج): قصـر الخـبر في الآيتين الأولتين، ثم قال سبحانه لمن أطاعه: ﴿ ومن يطع الله والرسول...﴾. وكمال الآية: ﴿ ... والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا ﴾.

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ -ولا يصح لهم الإيمان(١) - حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾، من مناظرتهم، وما اختلفوا فيه من أمورهم، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾، والحـرج فهو: الشك والإرتياب، وضيق الصدر، فإذا لم يجدوا ذلك في قلوبهم من حكمه، ولم يراجعوه في شيء من قوله، ويسلموا لذلك(٢)، فقد صح لهم الإيمان، وبعدت عنهم نزغات الشيطان، وهذا دليل على أنه قد كان مع رسول الله صلى الله عليه، من إذا حكم عليه بحكم، أو أنفذ شيئا من أمور الله فيه، حرج صدره، وضاقت نفسه، فنبههم الله في ذلك، وبيَّن لهم أنه (٣) شريطة الإيمان، ويتم عليهم فيه من الله النعمة والإحسان. فهذا معنى الآية وتفسيرها.

وقلت: هل كتب الله عليهم أن يقتلوا أنفسهم.

أولا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء:٦٦]. ولم يقل: ﴿ كَتَبْنَا ﴾، فأخبر سبحانه أنه لو امتحنهم وأمرهم بشديد من الأمر، ما قدروا على ذلك ولا أطاقوه، فهذا يوجب الشكر له عز وجل عليهم، إذ لم يمتحنهم بمحنة تصعب، ولا بفرض منه سبحانه يغلب، ولم يكلفهم شيئا من الأمور المعضلات، التي كلفها غيرهم من القرون الخالية، والأمم (٤) السالفة، فيجب عليهم بتركها اسم المعصية، ويستوجبوا من الله فيها النقمة، أو يحمدوا على فعله، ويثابوا في الآخرة على عمله، بل خفف عليهم الامتحان، وأوجب لهم بفعلهم المغفرة (٥) والرضوان.

---

(١) سقط من (أ)، (ب): ولا يصح لهم الإيمان.

(٢) في (أ)، (ب): كذلك.

(٣) في (أ)، (ب): به.

(٤) في (أ)، (ب): والأمور.

(٥) في (أ)، (ب): لهم على الطاعة المغفرة.

وقــد ذكر عز وجل أنه قد امتحن قوم موسى بقتل أنفسهم، وقيل: إلهم امتحنوا بقتال عدوهم، وحرم عليهم أن يزولوا من مصافهم، حتى يفنوا عن آخرهم، وكل ذلــك فمحنة شديدة عظيمة، إذ لم يجعل لهم توبة، دون فعل ما أمرهم به، وذلك قوــله عــز وجل في كتابه، يخبر عن موسى عليه السلام في قوله لهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ [البقرة:٥٤].

وقــد امتحن الله عز وجل الأمم من قبل أمة محمد صلى الله عليه، بأمور شديدة، وأسباب جليلة، وتَعَبَّدَهم بفرائض خففها [١]، خفف ذلك كله عن أمة محمد صلى الله علــيه، رحمة منه لهم، وإكمال حجة [٢] عليهم، وكرامة لنبيهم، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

١٢٨- وســألت عن قول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ... إلى قوــله: وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ ﴾ [النساء:٧٧] [٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم ممن كان مع رسول الله صلى الله علــيه مــن المنافقين، ممن كان يظهر بلسانه ما ليس في قلبه، وكانوا ينــتزعون إلى الفتــنة والقتال، ويمدون أيديهم فيما لا يجوز من الأفعال، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وكان فعلهم هذا من قبل أن يفترض الله عز وجل على النبي صلى الله عليه الجهاد، فأمرهم سبحانه (عز وجل أن

---

(١) سقط من (أ)، (ب): خففها.

(٢) في (أ)، (ب): حجته.

(٣) كمــال الآيــة: ﴿ ... فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن أتقى ...﴾.

يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤدوا الفرض الذي تعبَّدهم به، ثم أمرهم) [١] بالجهاد وحكم به عليهم، وأطلق لنبيه ولهم، ثم نكلوا عما كانوا يقولون، ورجعوا عما كانوا من أنفسهم يظهرون، ثم أخبر أنهم يخشون الناس ويفزعون من قتالهم، كخشية المؤمنين لله، الذين لا ينكلون على أمره، ولا يرجعون عن حكمه، فذكر عز وجل هؤلاء المنافقين أنهم يخشون الناس، ويهابونهم كخشية الله [٢]، وليس لهم خشية لله، ولو كانت لهم خشية لله وهيبة ومعرفة، ما نكلوا ولا رجعوا، ولا ونوا ولا قصروا، ولكن الله عز وجل أخبر نبيه والمؤمنين أن هؤلاء المنافقين يخشون الناس كخشية الله، التي في قلب نبيه وقلوب المؤمنين معه، فذم الله سبحانه أهل النفاق والكفر والشقاق بفعلهم، وما ربك بظلام للعبيد.

وقولهم: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾. يقولون: إلى انقضاء المدة، وحضور الموت، فأخبرهم عز وجلَّ أن متاع الدنيا قليل، وأنهم لو بلغوا في المدة غاية الأمل والإرادة، لكان آخره إلى [٣] انصرام وذهاب، وكل ما زال وذهب فليس يعطيه لمن كان له عقل ومعرفة.

والفتيل فقد قيل: إنه الذي يكون وسط النواة.

وقد قيل: إنه الذي يكون في شقها، والفتيل عندي: ما قل وحقر وصغر.

وقد قيل: إن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري [٤]، ‹وقدامة بن مظعون الجمحي، وسعد بن أبي وقاص الزهري› [١].

---

(١) سقط من (أ)، (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): الذين لا ينكلون عن أمره، ولا يرجعون عن حكمه، فذكر عز وجل هؤلاء في المنافقين أنهم يخشون الناس ويهابونهم كخشية الله.

(٣) سقط من (أ)، (ب): آخره إلى.

(٤) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة في الآية قال: ((كان إناس من أصحاب النبي

١٢٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٨ - ٧٩]، فقلت: مرة ينسبه إلى نفسه [(٢)]، ومرة ينسبه إلى العبد ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تفهيم من الله عز وجل وتبيين، لمن كان مع محمد صلى الله عليه، وذلك أنه كان بعضهم إذا أصابتهم حسنة وغنيمة ونصر، قالوا هذا من الله عز وجل، وإذا أصابتهم محنة نسبوها إلى نبيهم صلى الله عليه، وهذا كان من كلام بعضهم يوم أُحد، وذلك أنهم لما اشتوروا في قتال المشركين، أشار بعضهم بقتالهم في المدينة، وأشار بعضهم بالخروج إليهم، وقالوا: يا رسول الله نخشى أن يطمع العدو فينا، إذا قاتلنا بين الأزقة، وحول القرية، ويظنوا أنا قد دخلنا منهم، أو ضعفنا عن الخروج إليهم، وأشاروا بالخروج فلما لبس صلى الله عليه درعه، وتقلد سيفه، وخرج وسار ساعة، قال له بعض من كان معه: يا رسول الله لو رجعت إلى المدينة فقاتلنا بين أزقتها فهو أنصر لنا، فقال صلى الله عليه: قد أبيتم ذلك، وما كان لنبي إذا لبس لامَتَه أن يضعها حتى تنقضي الحرب.

فسار عليه السلام، ومن كان معه من المؤمنين، حتى قاتل أهل الشرك والنفاق، فلما عبأ العسكر جعل الرماة على جبلين من ورائه، وأمرهم أن لا يبرحوا من

صلى الله عليه وآله وسلم - وهم يومئذ بمكة قبل الهجرة - يسارعون إلى لاقتال، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذرنا نتخذ معاول فنقاتل بها المشركين. وذكر لنا أن عبد الرحمن بن عوف كان فيمن قال ذلك، فنهاهم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك قال: لم أومر بذلك. فلما كانت الهجرة وأمروا بالقتال كره القوم ذلك وصنعوا فيه ما تسمعون، قال الله تعالى: ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن أتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾)). الدر المنثور ٥٩٤/٢.

(١) سقط من (أ)، (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (أ): نفسك. مصحفة.

الموضـــع، خوفا منه صلى الله عليه أن يقتحم العدو عليهم من خلفهم، ويأتوا من الطـــريق [١] التي جعل فيها الرماة مقابلة لهم، فلما أن هزم عليه السلام المشركين، ووقـــع المســـلمون في غنائمهم، خلا الرماة الموضع الذي كانوا فيه، واستغاروا في طلـــب الغنـــيمة، فاستدارت خيل المشركين ومن كان معها [٢] فدخلوا على النبي صلى الله عليه من ورائه، من حيث كانت الرماة، فقتل من المسلمين ما قد علمت، وامتحنوا بمحنة عظيمة جنتها عليهم أنفسهم، بما كان من مخالفتهم.

فلما أن رجعوا إلى المدينة قال بعضهم: هذا منك يا محمد، قد كنا أردناك [٣] على القـــتال في المدينة فغلبت، فأخبرهم الله سبحانه عز وجل أنه ما أصابهم من النعمة والفـــتح في أول ذلك النهار فمن الله، وما أصابهم من سيئة فمن أنفسهم، إذ خلوا مواقفهـــم، وراحوا عن مواضعهم، وتركوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه، حتى وجد العدو مدخلاً عليهم من بعد أن أراهم الله ما يحبون.

وأمـــا قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾. فإنما ذلك معنى سوى هذا، يخبر عز وجل عن الحسنة والنعمة منه عليهم، والسيئة التي تنزل بهم فهو ما يكافيهم الله به في فعلهم، وما أوجب عليهم من الحد والعقوبة، وما جعل في ذلك من الأحكام الشـــديدة، وقد يخرج في هذا وجه آخر، بما يصيبهم من القتل والجراح، فإنما ذلك لفرض الله عليهم، إذ تعبدهم به، وأمرهم بالقيام فيه، فهذا وجه المسألة وتفسيرها، والله أعلم، سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

وقد قال بعض المفسرين: إن معنى ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾ [النســاء:٧٨]. قالوا في ذلك: إنـــه ما كان من مطر وخصب، فهو من عند الله، وما كان من قحط وجدب فهو

---

(١) في (أ)، (ب): ويأتوا الطريق.

(٢) في (أ): معهم.

(٣) في (أ)، (ب): أدرناك.

منك، فقال الله عز وجل: ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [النساء:٧٨]. وليس التفسير عندي كما فسروا، والقول الأول الذي قلنا به هو الصواب عندنا، والله الموفق، لكل خير وسداد.

١٣٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ ﴾ [النساء:٨١]، فقلت: ما معنى التبييت ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه، بفعل أهل النفاق والشك والارتياب، كانوا إذا دخلوا على النبي صلى الله عليه وسمعوا الحكمة، وما أنزل الله من الموعظة، ثم خرجوا من عنده باتوا في ليلتهم يبيتون تحريف كلامه، والكذب في قولهم عليه، مدبرون لصد الحكمة التي يسمعون، متعون لغير ما به يوعظون [1].

وقد قيل: معنى ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ ﴾، أي: بيتوا غير ما أعطوك من أنفسهم [2]، وليس ذلك ولا القول فيه إلا ما قلنا به أولا.

وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝ ﴾ [النساء:٨٢]، فقلت: قد نجد فيه ألفاظًا مختلفة، حتى كأنه ينقض بعضها بعضا ؟

واعلم - هداك الله - أن هذا شيء لا يطلق في الكتاب، ولا يتكلم به أهل المعرفة والألباب، قد بعد منه الاختلاف والتناقض، بل هو المؤتلف الواضح يشهد بعضه

---

(١) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي في قوله: ﴿ ويقولون طاعة ﴾ قال: هؤلاء المنافقون الذين يقولون إذا حضروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرهم بأمر قالوا: طاعة، فإذا خرجوا غيرت طائفة منهم ما يقول النبي ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ يقول: ما يقولون. الدر المنثور ٢/٥٩٩.

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة ﴿ بيت طائفة منهم غير الذي تقول ﴾ قال: يغيرون ما عهدوا إلى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٢/٥٩٩.

لبعض، ويؤكد بعضه بعضاً، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، شفاء من الأدواء، ونور لمن اهتدى، منجي من الهلكة، قائد في كل ظلمة، لا يضل من تعلق به، ولا يهلك أبدا من تمسك بحبله، فيه شفاء الصدور، وموضح ما التبس من الأمور.

ولو كان في نسقه، ورصين كلامه، ومحكم تأليفه، وعزيز مطرد وصفه، اختلاف وتناقض أو تفاوت، لما قال سبحانه: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة:١٧]. فلما أن كان معناه واحداً، وتنزيله محكماً، عز على الخلق أن يأتوا بمثله، أو يقدروا على سورة من شكله، فانقطع عند ذلك كلام المتكلمين، وانقطعت لديه حجج المخالفين، فالجُ مَن خصمه، وقاهرُ مَن حاوره، وناضلُ مَن ناضله، إليه يرجع الصادون، ويتحاكم المتحاكمون، مزيح الشبهات، وكاشف الظلمات، فكل كلام سواه مختلف، وفي معانيه غير مؤتلف، فهو كما قال العلي الأعلى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

١٣١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] ؟ وقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن:٣٩] ؟ وقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فمرة يقول: لا يسألون! ومرة يقول: يسألون! فهذا مما يقع فيه الشك عند من لا يعرف التفسير. وقلت: بيِّن لي ذلك وأوقفني منه على معنى يُذهب الشك والارتياب ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله ووفقك - أن هذه الآيات بينات واضحات، لا شك فيهن ولا ارتياب، وسنفسر لك إن شاء الله ما عنه سألت، ونوقفك فيه على ما له قصدت.

أما معنى قوله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر:٩٢]. فسؤاله لهم عز وجل فهو لغير استفادة أمر مجهول،

ولا غائـب مستور، وإنما يسأله سبحانه للتقريع والتبكيت، والإذلال للظالمين، لا على حاجة منه عز وجل على علم شيء من الأشياء مستتر عنه.

وأما قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن:٣٩]. فإنما أراد سبحانه: أنهم لا يسألون مسألة استخبار ولا استفهام، بل هو العالم بجميع الأسرار.

ومعنى: قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فكذلك الله سبحانه لا يسأل عن فعله، ولا راد لحكمه، إذ هو المالك لخلقه، والقادر على عباده، العادل في جميع أفعاله، الذي أوجد خلقه من بعد العدم، وفطرهم على ما شاء من صورهم، واختلاف خلقهم وألوانهم، حكمة وتدبيرا، وصنعا متقنا وتقديرا، فلا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وهو العزيز الحكيم، الذي أمات وأحيا، وخلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، وهو الذي سبحانه أغنى وأقنى، ورزق وأعطى، وتعبَّد خلقه بما افترض في كتابه المنزل، مع نبيه المرسل، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤١]، فكل ذلك من فعله، والخلق فيسألون عن أفعالهم، وعما يكون من ظلمهم وإحسانهم، وكل سيكشف علمه، ويجازى على فعله، ويوقف على قصده، فهذا معنى ما عنه سألت، فافهم هديت، وميز بين لك الصواب، ويذهب عنك بعون الله الارتياب.

١٣٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥] ما معنى الشفاعة ؟

فمعنى ذلك: أنه من عمل عملا أو شفع شفاعة، بقول رضي، وعند الله سبحانه مقبول زكي، كان له من ذلك نصيب، ومعنى النصيب: أي حظ وأجر وثواب،

وعطـــاء عـــلى فعلـــه، ومجازاة على المرضي من عمله [١]، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

١٣٣- وســـألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ مُّقِيتًا ﴾ فهو: مقتدراً [٢]، وذلك في لغة العرب فموجود، أن المقيت هو المقتدر، ألا تسمع كيف يقول الشاعر:

وذو حنق كففت النفس عنه وكنـــت عـــلى ســـوءاته مقيـــتا

يقول: مقتدرا.

وقـــد قال بعض المفسرين: إن معنى ﴿ مُّقِيتًا ﴾ هو: شهيداً [٣]. وليس هذا عندي بصواب، والقول الأول أوضح للحق، وأبعد من الشك.

١٣٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ [النساء:٨٨] ؟

---

(١) في (أ): فعله.

(٢) أخرج أبو بكر بن الأنباري في الوقف والابتداء، والطبراني في الكبير، والطستي في مسائله عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله ﴿ مقيتا ﴾ قال: قادرا مقتدرا. قال:وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أحيحة بن الأنصاري:

وذي ضـــغن كففـــت الـــنفس عـــنه وكنـــت عـــلى مســـاءته مقيـــتا

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ مقيتا ﴾ قال: قادرا.

وأخرج ابن جرير، عن السدي قال: المقيت: القدير. الدر المنثور ٢/٦٠٤.

(٣) أخـــرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد ﴿ مقيتا ﴾ قال: شهيدا حسيبا حفيظا. الدر المنثور ٢/٦٠٤.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ ﴾ هو: مالكم فيهم حزبين تتحاجون ؟! وفي أمرهم تتحاورون ؟! وهذا القول فكان من المؤمنين في أهل النفاق، والكفر والشقاق، فأخبر عز وجل أنه ﴿ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾، أي: أخذهم وتركهم من التوفيق لشرارتهم، وبعدهم من طاعة ربهم، فهلكوا بذلك وصاروا من المعذبين، وعند الله من المقبوحين، وذلك أن هؤلاء القوم الذين ذكر الله اختلاف المؤمنين فيهم، رجعوا إلى مكة من بعد إيمانهم، فقال قوم: هم مؤمنون، وقال آخرون: هم منافقون، قد ارتدوا عن الإسلام، وذلك أنهم عند خروجهم من مكة كتبوا من طريقهم إلى رسول الله صلى الله عليه: إنا على عهدك والتصديق بدينك، إلا أنا نزعنا إلى وطننا، فوهَّموا بذلك على المؤمنين، فبيَّن الله نفاقهم وما كان في ضميرهم من الرجوع عن الدين، وأوضح أمرهم لجميع المؤمنين، ومعنى ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء:٩٠] فالحصر هو: الضيق والحرج.

١٣٥- وقلت: كيف تقرأ ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾؟

بتسكين التاء.

١٣٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء:٩٢]. ثم قال: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [النساء:٩٢، المجادلة:٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل بتحرير رقبة تكفيراً للخطيئة، ومحوا للسيئة، فجعل فيه تحرير رقبة بعد الدية.

ثم قال في آخر الآية: ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٩٢]، فأوجب الصيام لشهرين متتابعين، فمن لم يجد الرقبة، ولم يطق أن يصوم، فعليه أن يطلب الرقبة ويجتهد فيها، وتكون في رقبته دينا حتى يفيدها، أو يمكنه الصيام من قبل المقدرة على الرقبة، فيصوم إن كان تركه أولا لعلة عرضت عليه.

١٣٧- وقلت: هل يحكم على العاقلة بالدية ؟

وكذلك يفعل بهم، والدية عليهم.

١٣٨- وقلت: وإن لم يكن له عاقلة، وله مال هل يخرج من ماله ؟

فقد قيل: إن عاقلته إذ لا عاقلة له المسلمون، لأنهم ورثته إذ لا ورثة له. وإن كان إماما ظاهرا وداه من بيت مال المسلمين لأنهم ورثته، إذ لا ورثة له.

١٣٩- عن رجل قتل مسلما عمداً، هل يجب عليه عتق رقبة ؟

ولم يذكر الله في كتابه، وإنما يلزمه القتل، فإن عفي عنه، وقبلت الدية، فقد أحسن في ذلك إليه، ومَنُّوا بنفسه عليه، وعليه أن يؤديها كما قال الله سبحانه: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة:١٧٨]. ويستحب له أن يكفر بعتق رقبة، فهو أفضل له. فأما أن يكون محكوما به عليه، فليس ذلك بلازم له.

١٤٠- وقلت: فإن قتل قوم رجلا خطأ هل تجزيهم كفارة واحدة ؟

مثل القوم دفعوا جداراً ليطرحوه، ولم يعلموا بما خلفه، فقتلوا رجلاً، فعلى كل واحد منهم كفارة.

١٤١- وقلت: إن قتل قوم رجلا مؤمنا عمدا ؟

فالجواب في ذلك أنهم يقتلون كلهم [١] به.

١٤٢- وقلت: إن عفى بعض الأولياء عن بعض القاتلين ؟

فالجواب في ذلك [٢]: أنه إذا عفي عن بعضهم، أن القتل قد زاح عن كلهم، ولا قتل عليهم، لأن جميعهم بمنزلة رجل واحد، وإذا صفح عنه أحد الأولياء، لم يجز قتله للآخرين، ويجب على كل هؤلاء القاتلين إذا عفي عن بعضهم، وسقط القتل عنهم دية دية، يخرجوها لأولياء المقتول، فإن كانوا خمسة أخرجوا خمسة آلاف، وإن كانوا عشرة أخرجوا عشرة آلاف، وإن كانوا أقل أو أكثر فعلى حساب ذلك.

---

(١) في (أ): كلهم يقتلون به. وسقط من (ج): به.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

وقــد قال قوم ممن لا علم عندهم، ولا تمييز لهم: إنه إذا قتل جماعة رجلا عمدا [1] ســاهم بينهم الولي، فقتل منهم واحدا، وهذا عين الظلم والمحال! وأقبح شيء من الحكــم والأفعال! أن يكونوا كلهم قاتلين معاً، ثم يقتل ولي المقتول منهم واحداً! فــيجمع ذنوبهــم كــلها في رقبته! ويخرجوا سالمين مما دخلوا فيه معه! هذا قول مدخول، لا يقبله إلا كل عقل فاسد مخبول.

وقد سئل عن هذه المسألة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه؟ فقال: نعم لو قتله أهل صنعاء كلهم لقتلتهم به [2]. وقد يروى أن المسالة وردت عليه من صنعاء، ويذكر أنه قال: لو قتله أهل منى لقتلتهم به.

١٤٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ [النساء:٩٧] ؟

قــال محمــد بــن يحــيى عليه السلام: معنى ﴿ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ فهو: عند حضــورهم الأجــل، وانقطاع الأمل، وخروج نفس المتوفى، وما يترل من الموت بجميع الأحياء.

ثم قال: ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾. يقول عز وجل يتوفى أنفسهم وهو ظالمون لها، بما اجــترموه من أفعالهم، وكانوا فيه من المخالفة لربهم، فأهلكوا أنفسهم، وقد كانوا قــادرين على إيصالها إلى الثواب، والنجاة لها من أليم العقاب، فلم يفعلوا واتبعوا الهوى، وارتكبوا الردى، فكانوا بذلك ظالمين، وبتقصيرهم في أمر الله من الهالكين.

---

(١) سقط من (ج): عمدا.

(٢) لما كان عهد عمر اشترك جماعة في اليمن في قتل طفلٍ فاستشار عمر الناس في ذلك، فقال له علي: أرأيت لــو أن نفراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضوا وهذا عضوا، أكنت قاطعهم؟ قال: نعم، قال: فذلك. أخــرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٧٧/٩، والبيهقي في السنن ٤١/٨، ومالك في الموطأ ٨٧١/٢، والبخاري تعليقا في الديات، وابن قدامة في المغني ٦٤٩/٧.

ثم أخبر عز وجل عما يعتذرون به في الآخرة من قولهم: ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾، فلم يجعل الله فيما احتجوا به من ذلك لهم حجة ولا عذرا، بل كان ذلك عليهم نقمة، وإلى العذاب ذريعة.

فهذه الآية فحواها يطول، ولها معاني يوفق الله لها مَن قصده من عباده. وهي توجب على الخلق أسبابا لا يقوم بها إلا من امتحن الله قلبه، وشرح بالإيمان صدره، والقليل المجزي لمن قَبِلَه، خير من الكثير العزيز لمن لا ينتفع به، وقد أعطيناك فيها جملة، وهي للهجرة ملزمة، وعن دار الفسق والكفر للعزلة موجبة، فنسأل الله التوفيق لما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه.

وذكرتَ السكنى مع الظالمين والكينونة بينهم، وقد أجبنا في هذا بجواب شافي هو عندك في كتاب الإيضاح، والقول واحد لا يختلف، ومعاشرة الظالمين فحرام، ومكاونتهم من أعظم الآثام.

١٤٤- **وسألت** عن الظالم يغشى البلد ولا يعذر أهلها أن يمنعوه، فيقيموا في البلد معه هل يسعهم ذلك، أو يجوز لهم أن يساكنوه فيها ؟

قال إن أمكنهم الانتقال منه فلينتقلوا إلى أطراف البلدان حيث لا يلحقهم له [1] حكم، ولا يجوز له عليهم أمر، وإن أضر بهم وحال بينهم وبين الخروج من بلدهم، كانت حالهم كحال من حبسه ظالم [2] لا حيلة لهم في ذلك، فيجب عليهم أن يعادوه بقلوبهم، ولا يدخلوا عليه بشيء من أرفاقهم، وهم معذورون عند الله بحصرهم.

١٤٥- **وسألت** عن الحديث الذي يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في صفة المتقين:

---

(١) في (أ)، (ب): لا يلحقه لهم. مصحفة.

(٢) سقط من (ج): ظالم.

« إن كان الرجل منهم في الغافلين، كتب من الذاكرين، وإن كان في الذاكرين، لم يكتب من الغافلين، يعفو عن من ظلمه، ويعطي لمن حرمه »[^١]، فقد سمعنا عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال: « ليس البر أن تعطي من أعطاك، ولا أن تصل من وصلك، ولا أن تبر من برك، ولكن البر أن تعطي من حرمك وتصل من قطعك، وتبر من عقك، وتعفو عن من ظلمك »[^٢].

---

(١) قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، في صفة المتقين: إن كان في الغافلين كُتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه. نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٣).

(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا، وأدخله الجنة برحمته. قالوا: ما هي يا رسول الله بأبي وأمي؟ قال: تُعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة. رواه البزار، والطبراني، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وعن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك)). رواه الطبراني في الأوسط من رواية الحارث الأعور عنه. رواه المنذري في الترغيب والترهيب ٣٤١/٣ – ٣٤٢ (٢٦، ٢٨).

وأخرج مسلم برقم (٤٦٤٠)، وأحمد برقم (٧٦٥١) بلفظ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ أَمْلِكْ لِسَانَكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ قَالَ ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ.

وفي رواية لمسلم وأحمد، واللفظ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ

أما ما ذكرت من الكينونة مع الغافلين، فلا نعرف عنه ذلك عليه السلام [1].

١٤٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٩٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، فقال: معنى قوله: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾، يعني: من لم يمكنه النقلة والهجرة عن أهل المعصية، الظلمة الفجرة، ثم قال: ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٩٩].

ثم قال سبحانه مؤكدا على من أمكنه النقلة والهجرة، والاعتزال لأهل المعصية والفسق والريبة: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء:١٠٠]. يعني بالمراغم: الاعتزال لجوار [2] أئمة الظلمة والمغاضبة، وإن غاظ ذلك الفساق وأرغمهم وغمهم.

١٤٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تبيين من الله عز وجل للمؤمنين، وإعلام بمن حظر عليهم معاشرته من الفاسقين، ومن أطلق لهم مكاونته من المخالفين.

فنهاهم عز وجل عن الذين حاربوهم وأدخلوا عليهم، واستجلبوا إلى حرمهم الغوائل [3]، ولم ينههم تبارك وتعالى عن من كان غير محارب لهم، ولا موجف عليهم، ولا مكاون لعدوهم، والسقط فهو: العدل وترك الظلم، فأمر نبيه صلى الله

الْمَلَّ وَلَا تَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ.

(١) سقط من (ج): هذا الجواب والسؤال الذي قبله.

(٢) في (ج): لجور.

(٣) في (أ)، (ب): واستجلبوا العدو إلى حرمهم وطلبوا الغوائل.

عليه والمؤمنين معه، أن يقسطوا في من وفى بعهدهم، ويبرأوا من لم يشهر نفسه بعداوتهم، وكان منصفاً لهم، فهذا معنى الآية وتفسيرها.

١٤٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ [النساء:١٠٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿ تَأْلَمُونَ ﴾ ألم الجراح ووجعها عند الجهاد، ومحاربة أهل الكفر والعناد، مع التعب في الحركة والأسفار، والمسير في الليل والنهار، فأخبرهم عز وجل أن عدوهم يألم كما يألمون، ويجد من الألم أكثر مما تجدون، وأنتم فترجون من الله من الرحمة والرضوان، والمغفرة والجنان، ما لا يرجون الكفرة الأشرار، فإذا صبروا على ما فيه هلكتهم، ولا نجاة عند الله سبحانه لهم، فأنتم أولى بذلك وأحق به [1]، إذ أنتم أهل الثواب الكريم، والمحل عند الله العظيم، فكان هذا تثبيتا من الله لثبات المؤمنين، وتقوية منه سبحانه لعزائم المتقين، أهل الصدق واليقين، والطاعة لرب العالمين.

١٤٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء:١٠٥].

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل إكرام نبيه وتعظيمه، من بعد إقامة الحجة على أهل الشرك من أهل الكتاب، ألا يكون لهم خصيما، في ما قد بان لهم من الحق، وعرفوه معه صلى الله عليه من الصدق، ووجدوه في كتبهم، وثبت في عقولهم، وهم يجادلون في الحق بعد ما تبين مضادة لله ولرسوله، فأمره الله ألا يكون لهم خصيما من بعد ذلك، وأن يحكم بما أراه الله الحق، وينفذه عليهم وعلى غيرهم وهم كارهون، وقد ذكر ذلك عز وجل فقال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة:٤٩]. فأمره الله سبحانه أن يحكم بينهم بما أنزل الله، فكان صلى الله عليه ينفذ أحكام الله فيهم، ويمضيها برغمهم عليهم، وقال عز وجل: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر:

(١) في (أ): أولى وأحق بهم. وظنن فوقها بـ (منهم).

٩٤]. فأمره أن يصدع بالحق، وما أنزل [١] عليه من الصدق، وأن يعرض عن مخاطبة الجاهلين، وأهل الزيغ المردة المعاندين.

وقد قيل: إن هذه الآية أنزلت [٢] في طعمة، وذلك أنه سرق درعاً لبعض أصحاب النبي عليه السلام [٣]، ثم استعدى عليه فقامت عشيرته دونه، وجحدوا عنه وسألوا النبي صلى الله عليه أن يبريه عند الناس مما شيع به عليه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء:١٠٥]. معارضة لكلامهم، ولم يكن النبي عليه السلام ليحتج عنه، ولا يفعل ما قالوا، فأنزل الله تحقيق ما ذكر عليه، فقطع النبي صلى الله عليه يده، وكلاهما معنى حسن، والمعنى الأول فأحسن عندنا، وأصوب لدينا.

١٥٠- وسألت عن قول الله سبحانه فيما يحكي عن إبليس اللعين في قوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء:١١٨]؟

---

(١) في (أ): أنزل الله.

(٢) سقط من (أ): أنزلت.

(٣) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق العوفي عن ابن عباس قال: ((إن نفرا من الأنصار غزوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجلا من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعيز فلما رأى السارق ذلك عمد إليها وألقيها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا بريء، وإن سارق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علما، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه فإنه أن لا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبرأه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب الحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾، يقول: بما أنزل الله إليك ... إلى قوله: خوانا أثيما ﴾، ثم قال للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلا ﴿ يستخفون من الناس ... إلى قوله: وكيلا ﴾، يعني: الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين، ثم قال: ﴿ ومن يكسب خطيئة ... ﴾ الآية. يعني: السارق والذين جادلوا عن السارق)). الدر المنثور ٢/٦٧٣.

(قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا قول من إبليس الملعون، يقول: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾، [1] يريد: جماعة وحزبا يضلهم، وعن الحق يصدهم، ويختزلهم من [2] طاعة الله سبحانه، ويحيرهم في أمره، فلما أن كان من شأن الملعون الإفساد والإغواء، والمكر لهم والاستهزاء، والوسوسة في قلوبهم، والتلبيس لدينهم، جعل ذلك على نفسه مثل الفريضة سواء.

١٥١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥]. فقلت: ما معنى الخليل ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى اتخاذه سبحانه إبراهيم خليلاً فهو: اصطفاؤه له، وتفضيله إياه، وتكريمه [3] وتعظيمه، وما من به عليه من فضله وإحسانه.

١٥٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٢٧] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾. ويتامى النساء فهن [4]: الأطفال منهن، ومعنى ﴿ تَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ فهو: تزهدون في نكاحهن، وقد كانت الجاهلية لا يؤتون الصبيان من الميراث شيئا، وكانوا يفعلون ذلك قبل

(١) سقط (أ)، (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): في.

(٣) في (أ): وتكرمته.

(٤) في (أ): فهي.

نزول حكم الميراث وفرضه، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ [النساء:١٢٧]. يقول: تمنعوهن حقهن لصغرهن.

﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ﴾. فهم الصبيان من الذكور (١) والإناث، الذين في أيدي الأوصياء، وغيرهم من الأقارب، والصبي فلا يزال يتيما حتى يبلغ ثم يخرج من حد اليتم، ويجب على الوصي إن آنس منه رشدا، والرشد فهو: الصلاح والعقل والمعرفة، فإذا بان ذلك للوصي سلم ما في يده إليه، وأشهد عند ذلك عليه، وما لم يبن منه رشد، فلا يجب دفعه إليه، بل الحظر واجب عليه.

ثم قال: ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾. والقسط فهو: العدل في أموالهم، والحفظ في أنفسهم.

ثم قال: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٢٧]. يريد عز وجل: أنكم ما فعلتم إليهم من خير، أو أنلتموهم إياه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ۝ ﴾، يقول: عليه مطلعاً، ولكم فيه مكافيا.

وقد قيل: إن معنى ﴿ تَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾. تريدون نكاحهن، والقول الأول أصوب عندنا، لأن معنى ﴿ تَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾. أي: تزهدون فيهن، وذلك في كتاب الله موجود، في قوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:١٣٠]. فصارت الرغبة كراهية.

وقد يكون في موضع آخر من طريق المحبة.

فأما في هذا فليس إلا من طريق الزهد والكراهية، وذلك صحيح في اللغة.

١٥٣– وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ ﴾ [النساء:١٣٥] ؟

---

(١) في (ج): الصبيان فهم الذكور.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿ تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾. يريد لا تتبعوا هوى الأنفس، وما لم يجز الله لكم اتباعه، ولا [1] تعدلوا عند ذلك، ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ ﴾. فمعنى ﴿ تَلْوُۥٓاْ ﴾ أي: تنحرفوا، ولا تقيموا الحق، و ﴿ تُعْرِضُواْ ﴾ فهو: تتركوا الواجب، وتصدوا عنه وتجانبوه، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء:١٢٨]، يقول: عليما مطلعا. فأمرهم أن يعدلوا في شهادتهم، وأن يقولوا بما افترض من الحق عليهم، في القريب والبعيد، وأن يكونوا عندهم في الحق بمنزلة سواء.

١٥٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴿١٣٧﴾ ﴾ [النساء:١٣٧] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم ممن آمن مع النبي صلى الله عليه، ثم رجعوا إلى قريش، وارتدوا عن الإسلام، ثم رجعوا، ثم هفوا ثانية، فرجعوا إلى الكفر، فازدادوا فيه، ومضوا عليه، فأخبر الله سبحانه أنهم حين ازدادوا كفرا، ثم مضوا على ذلك أن الله لا يغفر لهم، ولا يهديهم سبيلا، بل تركهم من التوفيق والتسديد، والعون والتأييد، وحكم عليهم عند ذلك سبحانه بالهلكة والخذلان، بما استوجبوه من تركهم للحق والإيمان، فصاروا بذلك معذبين، ولديه سبحانه من الهالكين، في السلاسل والأغلال، مصيرون إلى شر حال، فأخبر سبحانه أنه لم ينفعهم ما كان من إيمانهم أولا، وما كانوا عليه في إسلامهم، لأن ما ختموا به أعمالهم من الردة والكفر، موجب لهم النار، مصيرون به إلى شر دار، ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٩].

---

(١) في (أ): فلا.

وقد قيل في ذلك: أنهم[١] آمنوا بموسى ثم كفروا به، وغيروا دينه، ثم آمنوا بمحمد ثم كفروا به، ثم مضوا على كفرهم. والمعنى الأول أقرب إلى الحق، وهو الذي وضح من الخبر، والله ولي التوفيق، والعون والتسديد.

١٥٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤١] ؟

وقد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم صلوات الله عليه.

قال: المنافقون[٢] في دين الله، وإحلاله[٣] من كان مخالفاً لقوله فيه بفعاله، يقر بما لا يعمل[٤]، ويقول ما لا يفعل، وفي أولئك، ومن كان كذلك، ما يقول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الصف:٢-٣]. وفي أولئك ما يقول سبحانه: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ﴾ [التوبة:٧٥-٧٦].

١٥٦- وسألت عن قول الله سبحانه فيما عبر[٥] عن قوم موسى إذ: ﴿ قَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء:١٥٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم من بني إسرائيل، سألوا موسى صلى الله عليه أن يريهم الله جهرة، فأنزل الله سبحانه عليهم الصاعقة، فأهلكتهم بظلمهم،

---

(١) سقط من (أ): أنهم.

(٢) في (أ)، (ج): المنافقين.

(٣) في (أ)، (ب): وإحلاله. وفي (ج): واحلالاً له. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في (ب): يعر بعمل. مصفحة.

(٥) في (ب): يخبر.

وشـــدة كفرهم، وما طلبوه من محال مسألتهم، وعظيم فريتهم. فسبحان الذي لا تدركه الأبصار! ولا تحيط به الأقطار! ولا يجده الفكر! ولا يلحقه النظر!

ثم قص عز وجل ما كان من فعل بني إسرائيل وحرهم، إخبارا لمحمد صلى الله عليه وللمؤمـــنين، بمـــا كان عليه أولئك من شرارتهم، وقلة إنصافهم، وبعدواتهم وشدة كفرهم، وهم يرون الآيات العظام فلا يرجعون، ولا لها ساعة يتعظون، ولا إلى الله ســبحانه مـــن جهـــلهم يستفيقون، فأخبرهم سبحانه أن هؤلاء الذين تشاهدون، وبالمعاينة تنظرون، هم من أولئك الذين قد غابوا عنهم، يحتذون بفعلهم، ويسيرون بسيرتهم، أهل جهل وضلال، وباطل وإبغال، وكفر ومحال.

ثم ذكـــر ســـبحانه اتخاذهم العجل بعد أن أنقذهم من آل فرعون، وما أبان لهم في ذلك من اللطف والعون، وما رأوا من الآيات العظام، من انفلاق البحر لهم طرقا، ومســـيرهم [1] فرقاً، في قعره يبسا جددا، فلم ينتفعوا بذلك إذ عاينوه، ولم يرجعوا عن عبادة العجل ولم يرفضوه، فكان هذا ذما لهم، وتبيينا لعوارهم [2]، وتوقيفا على كفرهم.

وقلت: كيف اتخذوا العجل، من بعد أن أخذهم الصاعقة ؟

قـــال [3]: قـــد أخبر الله سبحانه بحياتهم، وبعثهم بعد موتهم، فقال: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

١٥٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء:١٥٧] ؟

---

(١) في (أ): طريقا. وفي (أ): ومسهم. مصحفة.

(٢) في (ب): لعوراتهم.

(٣) سقط من (أ): قال.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد سبحانه بذلك: عيسى صلى الله عليه، لما أخذه الظالمون ليهلكوه، وسجنوه في البيت ليقتلوه، فسلمه الله من كيدهم، ودفع عنه ما هموا به من عظيم كفرهم، والتبس الكافر الذي كان يحرسه شبه عيسى في صورته وخلقه، فلم يفرقوا عند ذلك بينه وبين عيسى عليه السلام، في شيء من أمره، فلما نهضوا لقتل عيسى صلى الله عليه، وجدوا صاحبهم في مكانه فقتلوه، و لم يشكوا فيه، عند ما عاينوه، أنه عيسى صلى الله عليه، فأخبرهم عز وجل عنه فقال:﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾. ثم رفعه الله عنهم وأخرجه من بينهم سالماً مسلماً.

وقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء:١٥٥]. فهذا دليل على حياته وأنهم سيؤمنون به قبل موته، وذلك على ما يروى عند نزوله مع المهدي، وإسلام الخلق ورجوعهم، وما وعد الله به نبيه أن يظهر دينه على الأديان جميعا، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾ [التوبة:٣٣].

١٥٨- وقلت: هل يجوز أن يقرأ: قبل موتهم ؟

وهذا لا يجوز.

والذين لا يؤمنون به فهم أهل الكتاب، وقد يقال: إن عيسى بن مريم صلى الله عليه، يقيم بعد المهدي، سنين ثم يموت.

ومعنى قوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [النساء:١٦٦]، والله سبحانه يشهد بالحق، وقد أخبر أنه من عنده أنزله بعلمه، لا شك ولا امتراء.

ثم قال: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ على صحته وصدقه، و لم يضر الحق جحدان الفاسقين، ولا إنكار المبطلين.

١٥٩- وقلت: لِمَ لم يستشهد عليه الجن والإنس عامة ؟

فكيف يستشهد عليه قوما منهم من يجحده، وأكثرهم يصد عنه وينكره، ولما أن جحده أهل الكتاب وأنكروا أن تكون صفته في كتابهم، وإيجاب تصديقه وطاعته

عليهم، قالت قريش: يا محمد آتنا بمن يشهد على صدقك، فإن أهل الكتاب قد جحدوك، وما جئت به - يعنون اليهود والنصارى - فاحتج بذلك المشركون من قريش ومن كان معهم، وأبطلوا أن يكون ما جاء به محمد صلى الله عليه [1] من الله، فأخبر سبحانه بإكذابهم، وشهد بالصدق لرسوله بقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾. فكانوا صلوات الله عليهم يشهدون على أنه من عند الله، فكانت الملائكة مجمعة على التصديق، وليس منهم مخالف، ولا عن الحق معاند.

١٦٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ [النساء:١٧٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الكلالة: ما خلا الولد [2].

وهذه الآية يروى أنها نزلت في جابر بن عبد الله وفي أخته، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه، فقال له: إن لي أختا فمالي من ميراثها بعد موتها؟ فنزلت هذه الآية [3].

١٦١- وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾، هل أراد الذكور والإناث معا، أو الذكور خاصة دون الإناث ؟

---

(١) في (أ): عليه السلام.

(٢) في (أ)، (ب): الولد والوالد.

(٣) أخرج ابن سعد، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن جرير، وابنالمنذر، والبيهقي، عن جابر بن عبد الله قال: ((دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ ثم صب عليَّ فعقلت، فقلت: إنه لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث ؟ فنزلت آية الفرائض)).

وأخرج ابن سعد، وابن أبي حاتم، عن جابر قال: ((أنزلت فيَّ ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾)). الدر المنثور ٢/٧٥٣.

قـــال: الذكــور والإناث في ، [1] هذا معنى سواء، لأن الأنثى والذكر كلاهما ولد، فكذلــك ولد الولد، إذا لم يكن ولد قاموا مقام الولد، الذكور منهم مثل الذكور، والإناث مثل الإناث سواء، مثل ابن الابن وابنة الإبن وما سواهم كلالة.

وذكــرت أن بعض من يدعي العلم يحجب العصبة بالبنت، ولا يعطيهم شيئا معها ويقـــيمها مقـــام الابن، وليس هذا قول من له علم! وكيف يقيمها مقام الذكر ؟! والله عـــز وجل لم يقمها كذلك مع العصبة، وإنما يقول بهذا بعض فرق الإمامية، الجهلة المفسدين في الإسلام، المعطلين للأحكام، الرافضين للفرقان.

والبنـــت تحجب الزوج عن النصف، وتحجب الزوجة عن الربع، فليس لزوج مع بنـــت [2] أو الإبن إلا ربع، ولا لزوجة مع بنت أو الإبن إلا الثمن، والبنت فلها النصـــف، وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان، وما بقي فللعصبة، مثل العم وابن العم، والأخ وابن الأخ، ومن كان من العصبة.

١٦٢- وقلـــت: إنـــك قبلـــت الحجة في العول، فقد - والحمد لله - قبلت صوابا، وأزحت عنك في ذلك شكا وارتيابا، وفقك الله للهدى، وأعانك على التقوى.

وقلت: إني كتبت إليك أن الفرائض بالاتباع للثقات، فما كان منها - يرحمك الله - منصوصـــا في الكتاب مشروحا، فقد احتزينا به عن النظر في غيره، وما كان فيه مجمـــلاً يحـــتاج إلى تفسير، فذلك موجود في السنة عن رسول الله صلى الله عليه، والاتباع له فرض من الله عز وجل، لقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشـر:٧]. مع ما قد برأه الله منه سبحانه، في كتابه من الـتكلف، فقـــال: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠، يونس:١٥، الأحقـاف:٩]. وقال في موضع آخر: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠

---

(١) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٢) في (أ): ابنه.

مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص:٨٦]. فشهد له سبحانه بالبراءة من التكلف، وأنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه، ثم قال عز وجل: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة:٩٢، التغابن:١٢]. وقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠]. فكل ما جاء به النبي صلى الله عليه، فمن الله أمره به، وإذا صح عنه بسبب ونقله الثقات تبعناه وعملنا به، لأن الله قد أمرنا بذلك أمراً، وحكم به حكماً، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وذكرت في مسألتك هذه عن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، وعن غيره، أشياء لم نقف في شرحها على صحة. فاعلم ذلك، وفي ما كتبنا لك أولا وآخراً كفاية وغنى.

ومن سورة المائدة

١٦٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [المائدة:١]. فقلت: كم هي من الأصناف ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هي البهائم التي أحاز الله أكلها، وأحل لخلقه لحومها، وأنعم على البرية بها، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، وغير ذلك مثل الظباء، وبقر الوحش، والوعل، وما أشبه ذلك من بهيمة الأنعام.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾. فأخبرهم أن هذه البهائم التي من الأنعام مثل الظباء والبقر الوحش، محرمة عند الإحرام، امتحانا من الله لخلقه، وتعبدا منه لعباده، فحظرها عليهم في حال إحرامهم، وأباحها لهم عند إحلالهم، اختبارا منه، ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم:٣١].

١٦٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ... ﴾ [المائدة:٢] إلى آخر الآية [1]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الشعائر فهي: ما تعبَّد الله به خلقه في الحج، مثل الصفا والمروة والمواقف، والجمار، والبدن، فأمرهم الله ألا يبيحوا ذلك ولا يتركوه ولا يفرطوا فيه.

وقد قيل: إنهم في سالف الدهر من بعد إبراهيم يتركون بعض هذه الأشياء، ولا يرون في تركها بأساً، وكان ذلك من فعلهم خطأً، فنهاهم الله سبحانه عنه ومن إحلالها أيضا الإفساد فيها، واستجازة الظلم، والصد عنها.

والمعنى الأول هو تفسيرها، وقد يلحق في الكلام ما يفرع عليك وجوه المسألة، نريد بذلك إفهام المسترشد، وتبيين الحق، والله ولي التوفيق، والعون والتسديد.

﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ فهن: الشعائر، و﴿ ٱلْهَدْىَ ﴾ هو: البدن، و﴿ ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ فهو: تقليدها وإشعارها فهو: شق سنامها، وهو من التعبد الذي أمر الله به فيها، و﴿ ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾، فهي: الأشهر الحرم التي ذكر الله عز وجل حين يقول: ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة:٣٦]. فأخبر بقول الشهر الحرام عن ذكر جماعتها إذ كان ذكرها قد تقدم، وشرحها كما قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ [الانفطار:٦، الإنشقاق:٦]. فإنما يريد: يا أيها الناس. وقال عز وجل: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة:١٩٤].

فأجاز لمحمد صلى الله عليه، ولأصحابه حين تُعدي عليهم في الأشهر الحرم، وعذبوا فيها أن يغزوهم صلى الله عليه فيها، وإنما أراد عز وجل الأشهر الحرم كلها، لا واحدا منها، واجتزأ بقوله: ﴿ ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾. عن ذكر الأشهر، وعلم السامع

---

(١) تكملة الآية: ﴿ ... ولا الهديَ ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب ﴾.

أنه قد أجاز الإنتصار في كلها، لأن هذا من لغة العرب، فصحيح معروف في إيجاز الكلام.[١]

والآمون البيت الحرام، فهم من أمَّه وقصده من المؤمنين، الطالبين لرضى الله، فحرم سبحانه صدهم عنه ومنعهم منه، والاعتراض لهم دونه، تأديبا منه عز وجل لخلقه، ودلالــة على أرشد طرقهم، وإن كانوا لم يفعلوا ذلك، كما قال عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام:١٥٢، الإسراء:٢٤]. فكان ذلك عظة منه وتعليما وتفهيما لما لهم فيه الصلاح، ونهيا عن أفعال الجاهلية الأولين، من إفســادهم[٢] لأمــوال اليتامى، وصدهم عن البيت الحرام، وإن كان المؤمنون لم يفعلــوا ذلــك في إيمانهم، ولكن كان ذلك من الله تعليما لهم، ودلالة على أرشد أمورهم، ثم قد أصبح أهل الظلم اليوم وهو صادون عنه، مانعون لأهل الإسلام منه[٣]، مخيفون للمؤمنين دونه، فالله عز وجل على ذلك المستعان، و إليه المشتكا.

وقد قيل في الآمين البيت الحرام: إنه شريح بن صبيعة في مسيرة من اليمامة إلى مكة[٤]، فأراد المؤمنون أن يعارضوه ويكافوه على ما كان من أخذه لشرح أهل المدينة، وذلك أنه وصل برسول[٥] الله صلى الله عليه، ثم خرج من عنده و لم يسلم، فأجاز بشـــرح أهـــل المدينة فأخذه ومضى به[٦]، وليس تفسير الآية بهذا المعنى، والقول

(١) في (ج): وجاز.

(٢) في (أ)، (ج): فسادهم.

(٣) في (أ): عنه.

(٤)

(٥) في (ب): لرسول.

(٦) أخرج ابن جرير، عن السدي قال: أقبل الحطم بن هند البكري حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعـــاه فقـــال: إلام تدعو؟ فأخبره، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: ((يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، فلما أخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: انظروا لعلي أسلم

الأول أصـــوب إن شاء الله، لأن شريحا كان كافراً معانداً، والله سبحانه فأخبر أنهم يبتغون فضلا منه ورضوانا، والكافر فليس الله عنه براض، ولا له بمقرب.

تم الجزء الرابع

١٦٥- وســـألت عـــن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة:٢] ؟

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين، وتأديب لهم، ودلالـــة عـــلى ما فيه نجاتهم، والسلامة في آخرتهم، فقال: ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾. والشـــنأن فهـــو: البغض والقلى، يريد: لا يحملنكم بغض قوم على أن تعتدوا، وتميلوا عن الحق فتهلكوا، والتعدي فهو: الظلم والحيف، فنهاهم سبحانه عـــن ذلك وحذرهم منه، وأمرهم أن يكونوا منصفين، وبالحق حاكمين، لا يزيلهم عـــنه بغض لمن شنئوا، ولا إيثار لمحبة فيظلموا، ولا يخرجهم ذلك إلى الميل والهوى، وأن ينفذوا أحكامه سبحانه فيهم على السواء، لأن الله عز وجل لم يجعل في حكمه تناقضـــا ولا فســـاداً، ولا زلفة لأحد ولا إيثارا، بل جعلهم في ذلك معاً، وحكم علـــيهم ولهـــم فيه بالسواء، إنصافا لخلقه، وتسوية بين بريته، فقال: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء:١٣٥]. فأمرهم أن يقوموا بالقسط، وهو: العدل في مَن وَلَدَهُم، وقرب نسبه إليهم بالسواء، فلا يحل لمؤمن عرف ربه، وأيقن بيوم بعثه، أن يعدل عن القسط والحق، بالحكم في عدوه وقريبه على ما أمر الله سواء بسواء،

ولي مـــن أشاوره، فخرج من عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر، فمر بسرح من سرح المدينة، فساقه ثم أقبل من عام قابل حاجا قد قلد وأهدى، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث إليه، فنزلت هذه الآية حتى بلغ ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾، فقال ناس من أصـــحابه: يـــا رســـول الله خلِّ بيننا وبينه فإنه صاحبنا. قال: إنه قد قلد! قالوا: إنما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فابى عليهم، فنزلت هذه الآية)). الدر المنثور ٣/٩ — ١٠.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]. والحق فيه الناس جميعا مشتركون.

١٦٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ﴾ [المائدة:٣]. فقلت: ما الأزلام ؟

وهي: القداح التي يستقسمون [1] بها، ويرضون بما يكون من أمرها، فنهاهم الله عز وجل عنها، إذ كانت من فعل الجاهلين [2].

١٦٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ أَكْمَلْتُ ﴾ فهو: أتممت لكم دينكم، وهو ما لا يكون به [3] نقص، ولا يكون بعده تعبد ولا شريعة، ولا نقصان ولا زيادة، لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأتون بشرائع مختلفة، للذي أراد الله سبحانه من التعبد بالأمر والنهي، وامتحان الخلق، وتبيين المطيع من العاصي، وكان سبحانه ينقلهم من طاعة إلى طاعة، حتى ختم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه، وأكمل به التعبد، وجعل الإسلام خاتم الأديان إلى آخر الدنيا، لا دين بعده ولا فرض سواه، ولا نقصان فيه ولا زيادة، فمحمد صلى الله عليه خاتم النبيين، ودينه أكمل أديان المتعبدين، قال [4] سبحانه: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾. فذكر أنه قد ارتضاه لخلقه، واختاره وافترضه عليهم، فكملت به النعمة، وقامت على العباد به

---

(١) في (أ)، (ج): يقتسمون.

(٢) في (أ)، (ب): الجاهلية.

(٣) في (أ)، (ج): له.

(٤) في (أ)، (ب): قال الله.

الحجة، فهذا معنى ما عنه سألت، وهذه الآية فنزلت على رسول الله صلى الله عليه بعرفة وكان ذلك يوم الجمعة [1].

١٦٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ [المائدة:٣]﴿ غير متجانف لإثم ﴾ ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل بقوله: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾، يقول: غير منحرف له، ولا قاصد لمحرم عليه.

ألا تسمع كيف يقول من قبل هذا: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ والمخمصة فهي: المجاعة، يقول: فمن اضطر في ذلك إلى أكل شيء مما قد حرم عليه، مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، وكان ذلك على حد مخمصة وجوع، فلا إثم عليه، ومن تجانف له لظلم نفسه، واستحلال لما حرم عليه منه، فهو المعاقب فيه والمأخوذ به.

---

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس قال: أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا تحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه فلا ينقص أبدا، وقد رضيه فلا يسخطه.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير،عن قتادة في قوله: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ قال: أخلص الله لهم دينهم، ونفى المشركين عن البيت، قال: وبلغنا أنها أنزلت يوم عرفة، ووافقت يوم جمعة.

وأخرج ابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾، قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم عرفة، يوم جمعة حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حجهم.

وأخرج ابن جرير، والطبراني، عن عمرو بن قيس السكوني، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينزع بهذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ حتى ختمها. فقال: نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة.

وأخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه، عن سمرة قال: نزلت هذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو بعرفة واقف يوم الجمعة. الدر المنثور ١٧/٣، ١٩.

١٦٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة:٤]. فقلت: هل يجوز لمن أطلق كلباً معلما على صيد فأكل الكلب بعض الصيد، أن يأكل الرجل ما بقي منه ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الجوارح فهي: الصقور والشواهين والبواشق [1] والباز، ومعنى المكلبين فهو: ما علموا من الكلاب، فإذا كان الكلب معلما لصيد يُغرى فيأخذ، ويدعا فيجيب، ثم أُغري على صيد فلحقه فقتله، ثم لحقه صاحبه فوجده قد أكل منه، فلا بأس بأكل ما بقي لأنه معلم [2]، وقد أطلق الله سبحانه كل ما أمسك الكلب المعلم.

وأحب لمن توارى كلبه من عينه في الجبال والغياض، ألا يأكل ما فضل منه، لأنه لا يؤمن أن يكون الصيد تردى أو غرق، فإذا قتله في موضع براز من الأرض وهو يبصره، ثم أكل منه ولحقه صاحبه، فلا بأس بأكل بقيته.

وقد قال بعض الناس: إن الكلب إذا أكل من صيده، فلم يمسك على صاحبه، وإنما أمسك لنفسه [3]. وليس ذلك بصواب، بل كان السلف عليهم السلام يجيزون أكله على ما ذكرت لك.

---

(١) في (ج): والواسق.

(٢) رواه الإمام الهادي في الأحكام ٢/ ٣٧٧، عن عدي بن حاتم، وأبي ثعلبة الخشني، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) وأخرج ابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلبين ﴾ قال: هي الكلاب المعلمة، والبازي يعلم الصيد، والجوارح يعني: الكلاب، والفهود، والصقور، وأشباهها، والمكلبين: الضواري، ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ يقول: كلوا مما قتلن، فإن قتل وأكل فلا تأكل.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس قال: إنما المعلم من الكلاب ن يمسك صيده فلا يأكل،كل منه حتى يأتيه صاحبه.

١٧٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:٦]. فقلت: هل يجوز غسل اليدين قبل الوجه أو يسع ذلك ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى: ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾. فهو أمر من الله بغسل الوجه، عند وضوءه للصلاة، والغسل فهو: الإنقاء للدرن بالماء.

ثم قال: ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾. فأمر سبحانه بغسل اليدين، بعد الوجه.

ثم قال: ﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾. فأمر بمسح الرأس مسحا، و لم يأمر بغسله.

ثم قال: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾. تقرأ بالنصب عطفا على الوجه واليدين.

ولا يجوز لأحد أن يقدم مؤخراً ولا يؤخر مقدما، فمن فعل ذلك فقد خالف حكم الله عز وجل، وترك ما أمر به، ولا يجوز لأحد أن يغسل اليدين قبل الوجه، ولا أن يغسل الرجلين قبل مسح الرأس، فمن فعل من ذلك شيئا أعاده، ولو أن رجلا نسي غسل وجهه حتى غسل يديه، ومسح رأسه، وغسل رجليه، لوجب عليه أن يستأنف الوضوء ويبتدئه، ولو أنه غسل وجهه، ونسي المضمضة والاستنشاق، لوجب عليه أن يعيد وضوءه، فيتمضمض ويستنشق، ويغسل وجهه، ثم يده اليمنى، ثم اليسرى، ثم يمسح رأسه وأُذنيه، ورقبته، وغابته، والغابة فهي: ما تحت اللحية، ثم يغسل رجله اليمنى، ويخلل أصابعه، ثم رجله اليسرى فيفعل كذلك بها.

فإن نسي يده اليمنى غسلها، ثم أعاد اليسرى، ثم رأسه، ثم رجليه. وإن نسي اليسرى غسلها، ثم أعاد مسح رأسه. وكذلك إن نسي مسح رأسه مسحه ثم أعاد غسل رجليه، وإن نسي رجله اليمنى غسلها، ثم أعاد على اليسرى، وإن نسي

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس قال: إذا أكل الكلب فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه. الدر المنثور ٢٢/٣ – ٢٣.

اليسرى غسلها فقط وقد تم وضوءه. فعلى هذا فقس الوضوء، فكل ما قدمت شيئا من الأعضاء قبل المقدم قبله، غسلت المقدم، ثم أعدت ما كان بعده، وبذلك أمر الله ذو الطول والإحسان، والنعمة والامتنان.

والاستنجاء فواجب، لأن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ [المائدة:٦]. فأوجب الاستنجاء عند الوضوء وافترضه، وليس من قال إن الاستنجاء لا يكون إلا من الغائط حجة، لأن الله قد ذكر الاستنجاء عند الوضوء وافترضه، فإن قال قائل: ليس إلا من ملامسة النساء والغائط، فما تقول في البول؟ فليس يدعا غائطا! ولا يدعا المذي غائطاً! فيجب عليه أن يقول: إن المذي والبول لا يقطعان الوضوء، ولا يجب منهما الاستنجاء.

وإن قال بذلك قائل فقد خرج من حد المعرفة، وخالف الكتاب وما نطق به، مع ما جاء في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من الأمر بالاستنجاء نصاً والتشديد فيه.

ومن أعجب عجائبهم أنهم يرون إعادة الوضوء من الريح والدود يخرج من الدبر، فيرون إعادة الوجه واليدين والرأس والرجلين، ولا يرون الاستنجاء، فالذي وقع منه من الحدث ونقض الوضوء أحق بالغسل والإنقاء، مما لم يحدث فيه شيء من الأشياء، بل الوجه واليدان والرأس على غاية الطهارة والنقا، وإنما جاءت الإعادة مما كان من الحدث والأذى، فالذي جاء منه الحدث أحق بالغسل والإنقاء، وإلا فإن عارضهم معارض فقال: من أين قلتم بإعادة الوضوء من الرعاف والقيء؟ وليس له ذكر في كتاب الله! فنحن نراكم لا توجبون الاستنجاء، وهو في كتاب الله قائم، فكيف توجبون ما ليس في كتاب الله؟! فيجب عند ذلك ألا يعيدوا الوضوء من الدم، ولا من القيء، وإذا فعلوا ذلك فقد خرجوا من المعرفة إلى الجهل، ومن الحق إلى الضلال.

ولكن يقال لمن قال بهذه المقالة: إن الله سبحانه قد أمرنا بإعادة الوضوء على لسان نبيه صلى الله عليه، فكل ما جاء به محمد صلى الله عليه فمن الله عز وجل، ومن

خالف قوله صلى الله عليه فقد خالف حكم ربه، وكذلك أيضا الاستنجاء قد ذكره الله في كتابه، ووكده نبيه بلسانه، وقد كان جدي القاسم صلوات الله عليه قد أجاب فيها، واحتج بحجج في كتاب الطهارة [1]، وهو عندكم مثبت، وفي ما ذكرنا حجة وغنى، لمن قصد الحق واهتدى.

١٧١- وسألت عن قول الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة:١١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: القوم الذين أرادوا أن يبسطوا أيديهم فهم: بنو قريظة، وبنو النظير، وذلك أن النبي صلى الله عليه، وقعت عليه الدية التي لزمت في الرجلين اللذين قتلهما المسلمون، وظنوا أنهما لم يسلما، وكانا ممن يطالبه المسلمون بالقتل، فقدما على رسول الله صلى الله عليه فأسلما، ثم خرجا فقتلهما بالحرة من لم يعرفهما، ولم يقع عنده إيمانهما، فقتلا خطأً، بلا تعمد ظلم ولا اجتراء، فخرج صلى الله عليه، يستعينهم في ديتهما، فرحبوا به ولقوه [2] بأحسن لقاء، وقالوا: اقعد يا محمد حتى نأتيك، فقعد صلى الله عليه ومعه أنفار من أصحابه، يسير أقل من عشرة أو عشرة، ثم مضوا من عنده، فأزمعوا بقتله عليه السلام، وتعاملوا على ذلك، فأنزل الله عليه جبريل عليهما السلام، فأخبره بخبرهم، وما يهمون به من مكرهم، فنهض صلى الله عليه مسرعا، وكان الذي بينه وبين المدينة قريبا، ثم جاءوا يطلبونه في الموضع الذي تركوه فيه فلم يجدوه، فأرسلوا إليه يعاتبونه في مضيه من قبل أن يأتوه، فأعلمهم صلى الله عليه بما كان منهم وما أرادوا به، ونهض في حربهم من ساعته، فأذلهم الله وأخزاهم، وأباح عزهم وأرداهم [3].

---

(١) انظره في مجموع كتبه ورسائله بتحقيقنا.

(٢) في (أ): ولقيوه.

(٣) أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك، عن ابن عباس قال: ((إن عمرو بن أمية الضمري

وكـــان من أمرهم ما قد وقعت عليه، فسلم الله نبيه من كيدهم، وحيَّرهم [1] عما أرادوا مـــن قـــتله، وجعـــل دائرة السوء بأعدائه، وكان ذلك كفاً لأيديهم وقبضا لانبساطها، على إتلاف نبيه والمؤمنين معه، فكفى الله شرهم، وأوهن كيدهم، وما هموا به من عظيم فعلهم، وردهم بغيظهم.

١٧٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [المائدة:١٤] ؟

قـــال محمـــد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ أَغْرَيْنَا ﴾ أي: خذلنا وتركناهم من التوفـــيق والتسديد، لما كان من معصيتهم، وتركهم لما أمروا به من عظيم [2] طاعة

حـــين انصـــرف مـــن بئر معونة، لقي رجلين كلابيين معهما أمان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقتـــلهما و لم يعلم أن معهما أمانا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وســـلم إلى بني النضير ومعه أبو بكر وعمر وعلي، فتلقاه بنو النضير فقالوا: مرحبا، يا أبا القاسم لماذا جئـــت؟ قـــال: رجـــل من أصحابي قتل رجلين من بني كلاب معهما أمان مني، طلب مني ديتهما، فأريد أن تعيـــنوني. قالوا: نعم، أقعد حتى نجمع لك. فقعد تحت الحصن وأبو بكر وعمر وعلي، وقد تآمر بنو النضير أن يطـــرحوا عليه حجرا، فجاء جبريل فأخبره بما هموا به، فقام بمن معه، وأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم ... ﴾ الآية)).

وأخـــرج ابـــن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر قالا: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني النضير يستعينهم على دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمـــية الضـــمري، فلما جاءهم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن، فمروا رجلا يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه. فقال عمر بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى النبي صلى الله علـــيه وآله وسلم الخبر فانصرف، فأنزل الله فيهم، وفيما راد هو وقومه ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ... ﴾)). الدر المنثور ٣٦/٣ – ٣٧.

(١) في (أ): وخبرهم. مصحفة.

(٢) سقط من (ب): عظيم.

خـالقهم، فلما أن خذلهم ضلوا عن رشدهم، ووقع البلاء بينهم، والبغضاء [١] في قلوبهـم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٧٤]، يريد بـالإملاء: الترك والخذلان، فدام ذلك فيهم، وفي أولادهم وعقبهم إلى يوم القيامة [٢]، بما اكتسبوا لأنفسهم، واجتلبوه من الخذلان على فعلهم.

١٧٣- وسـألت عـن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [المائدة:١٥] ؟

قـال محمـد بـن يحيى عليه السلام: هذه المخاطبة من الله عز وجل لأهل الكتاب وتوقيف لهم، والرسول فهو: محمد صلى الله عليه، قال: ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾، يـريد: مـا كنتم تغيرون من أحكامه، وتكـتمون من صفة محمد صلى الله عليه ونبوته، والأمر بطاعته، فكان مما يخفون الـرجم [٣]، فأبانـه لهـم، وأوقفهم فيه على كذبهم، ومثله من الأشياء التي كانوا يحـرفونها، وعمن لا يعرفها [٤] من الخلق يغمضونها، فكان هذا شاهدا له صلى الله

---

(١) في (ب): والضغناء.

(٢) في (ج): يوم يلقونه.

(٣) خـرج ابن المنذر، عن ابن جريج قال: لما أخبر الأعور سمويل بن صوريا الذي صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الرجم أنه في كتابهم، وقال: لكنا نخفيه، فنزلت ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ وهو شاب أبيض طويل من أهل فدك.

وأخرج ابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ﴾، قال: هو محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم، ﴿ يبين لكم كثيرا ﴾، يقول: يبين لكم محمد رسولنا كثيرا مما كنتم تكتمونه الناس، ولا تبينونه لهم مما في كتابكم، وكان مما يخفونه من كتابهم فبينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس: رجم الزانيين المحصنين. الدر المنثور ٤٣/٣.

(٤) في (ج): يعرفه.

عليه بالنبوة، إذ أخبرهم بما كانوا يخفون، وأظهر لهم كثيرا مما كانوا يسترون، مما لم يكن ليدرك علمه إلا بالوحي من الله عز وجل. ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ فالذي يعفو عنه صلى الله عليه فهو: ما ستره عنهم، وعفى عن كشفه لهم.

ومن العفو أيضا: تخفيف الله سبحانه التعبد الذي كان عليهم لو رجعوا إلى طاعة الله، لكانوا في التكليف كالمؤمنين، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا معه، فزاح عنهم ما كان من التشديد الأول في التعبد، لأن الله عز وجل جعل أمة محمد أمة وسطا في التعبد، فخفف عنهم المحن العظيمة، والأسباب الشديدة، فضلا منه وإنعاما، ومنة وإحسانا.

١٧٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة:١٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا قول من اليهود والنصارى يكذبون فيه، ويقولون البهتان والزور، والفاحش من جميع الأمور، فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، فقال: ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾، يقول: مثل من قد خلق من الأمم، تؤمرون وتنهون، وتماتون وتحيون، وتثابون وتعاقبون.

ثم قال: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾، والذي يشاء عز وجل المغفرة له فهو: المطيع لأمره، المتبع لحكمه، فحكم لمن كان كذلك بالثواب والنعيم، والنجاة من العذاب الأليم، ولم يحكم سبحانه بالمغفرة إلا لمن أطاعه واتقاه.

وكذلك عز وجل يعذب من عصاه، وخالف أمره وأباه، فقد شاء سبحانه عند ذلك عذابه، وحكم به عليه في فعله واكتسابه، وما كان من صدوده وعناده، فلا يشاء تبارك وتعالى للمؤمنين إلا الثواب.

وكذلك فلن يشأ سبحانه ولن يحكم أبدا للعاصين بنجاة، وإذا لم يحكم لهم سبحانه بالنجاة، فقد شاء لهم العقاب، وحكم عليهم بأليم العذاب.

١٧٥- وقلت: قد قال قوم: إن الله عز وجل حين قال: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾. فقد [1] أبطل الفعل والعمل!!

فقد أخطأوا في قولهم، وتأولوا غير ما نطق به كتاب ربهم، ولو كان ذلك لفسد الوعد والوعيد، وإذا فسد الوعد والوعيد، جاز أيضا أن يفسد البعث والحشر، لأنه يقول سبحانه: ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزمر:٢٠]. ويقول: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٣٩].

فإذا دخل أهل الجنة النار، ذهب الوعد ووقع الظلم، وإن جاز أن يدخل أهل الجنة النار جاز أن يدخل أهل النار الجنة، وإن جاز ذهب الوعد والوعيد، وبطل الأمر والنهي.

فإذا بطل ذلك فسد إرسال الأنبياء، وكان عبثا واستهزاء، والله سبحانه بريء من ذلك [2]، متعالي عنه.

بل وعده الحق، وقوله الصدق، لا يخلف الميعاد، ولا يظلم العباد، ولا يدخل النار أهل طاعته، ولا يوصل الجنة أبدا من مات على معصيته، عز سلطانه، وعظم برهانه، وجل عن كل شأن شأنه.

فأما ما زعم أهل الحديث، واحتجوا به من قوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فقالوا هو في تعذيب المؤمنين إن شاء [3]، وإدخال الكافرين الجنة إذا شاء، فبئس ما نطقوا !! إذ عن الحق عدلوا، وله في كل الأمور باينوا. وإنما أراد الله عز وجل، بقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾. من الموت والحياة، والأمر والنهي، والخلق والتصوير، والتعبد والتقدير، فهذا معنى الآية، لا ما ذهبوا إليه من فاحش قولهم، وعظيم فريتهم، فأين قوله سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ

---

(١) في (ب): قد.

(٢) سقط من (أ)، (ب): من ذلك.

(٣) سقط من (ج): إن شاء.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] ؟!!

بعـــدا والله ممن أدخل النار إن يؤتى خيرا، أو غبطة أو سرورا، أو يعرف لصالح [1] عمله جزاء، أو ينال أبدا راحة أو نعماء، كذب المفترون على الله في قولهم، وضلوا يقينا عن طريق رشدهم، بل هو تبارك وتعالى عدل في فعله، غير ظالم لخلقه، بريء ممـــا نسبه إليه أهل الإفك من عباده، وليس قولهم لهذا [2] المقال، الفاسد المحال، إلا مـــثل قولهـــم: إن الله سبحانه يقضي بالمعاصي، ويأمر بها ويشأها، ويعذب خلقه علـــيها، ومثل قولهم: إن الله جسم وصورة، فوصفوه بما نفى عن نفسه، وشبهوه بـــالمحدثين مـــن خلقه، فأوجبوا أن خالقهم مصور مجسم، فيه آثار الصنع والتدبير، والتأليف والتقدير، فحكموا بجهلهم أنه مخلوق كخلقهم، مؤلف كأحدهم، فصاروا يعـــبدون شـــبحا مقدرا، وجسما مؤلفا، فكفروا وهم لا يعلمون، وعبدوا غير الله وهم لا يشعرون.

عمىً من قلوبهم، وقلة معرفة بخالقهم، وجهلاً بدينهم، يخبطون في عشوى مظلمة، لم يستضيئوا بنور الحكمة، ولم يقتبسوا من معدن الرسالة، فيعرفوا الحق، ويقفوا منه على الصدق، اتبعوا الشهوات، وتركوا الواضح من المحكمات، وصاروا في المهالك والظـــلمات، وأخـــذوا دينهم من كذب المقالات، فضلوا عن الصواب، وصاروا بذلك إلى شر مآب، ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝ ﴾ [إبراهيم:٢٩].

فـــلا تلتفت - يرحمك الله - إلى شيء من مقالتهم، فإنها حجج داحضة، وأقاويل مختلطة، ومذاهب مهلكة، فهم كما قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ ﴾ [الكهف:١٠٤].

١٧٦- وسألت عن معنى قوله: ﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [المائدة:١٩] ؟

---

(١) في (ج): لصلاح.

(٢) في (ج): هذا.

والفـــترة فهي: المدة التي بين الرسل، وقد يقال: إنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام أربعمائة سنة، وبين موسى وعيسى مثل ذلك (١).

١٧٧- وســألت عــن قول الله سبحانه: ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ [المائدة:١٨]. فقلت: ما معنى الأنبياء، وهل يجوز أن يدعا باسم النبوة غير الأنبياء ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الأنبياء فهم: المبلغون عن الله عز وجل، والمقيمون لـلحجج على خلقه، والملوك الذين جعلهم الله فيهم، فهم ولاة أمرهم، العادلون فـيهم، المحكـوم من الله بالطاعة لهم، ثم قال سبحانه: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٠]، فهو: ما آتاهم من الملك والنبوة، والآيات المـنزلات بينهم، وما خصوا به في عصرهم، وفضلوا به على غيرهم، فكان ذلك لهم نعمة، وعليهم لله حجة.

١٧٨- وقلت: هل يجوز أن يدعا أحد من الناس باسم الأنبياء ويسمى نبياً ؟

فهــذا - يــرحمك الله - لا يجوز، ولكن قد يجوز أن يقول (٢): مُنبي، يريد: مخبراً. كما قال الشاعر:

أنبيت عمراً حُزَّ بين السنابك ألا فمتى بالفائزين كذلك (٣)

قـــال: أنبيت. يريد: أخبرت، ويقال أنبأني فلان عن فلان، وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطـر:١٢]، يقــول: لا يخــبرك مثل خبير، فجعل الإخبار إنباء. قال الشاعر:

أنبيــت أن أبا قابوس أو عدني ولا مقـــام على زأر(١) من الأسد

---

(١) أخـــرج ابن المنذر، عن الضحاك قال: كانت الفترة بين عيسى ومحمد أربعمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة. الدر المنثور ٣/٤٦.

(٢) في (أ)، (ب): يقال. وفي (ج): مني يقول...

(٣) لم أقف على هذا البيت.

وقال الشاعر أيضا:

أنبيت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخبثة لنفس المنعم (٢)

فقال: أنبيت. أي: أخبرت، ولا يجوز أن يقال لإنسان: نبي، ولكن يقال: منبي.

١٧٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة:٢١] ؟

والمقدسة فهي: المفضلة الطاهرة، وقد يقال: إنها بيت المقدس والشامات كلها (٣)، وهي التي قال الله سبحانه: و﴿ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [سبأ:١٥] (٤).

---

(١) في (ج): زاد. والبيت من قصيدة للنابغة الذبياني بلفظ:

ولا قرار على زرأ من الأسد

انظر ديوانه.

(٢) البيت لعنترة بن شداد من المعلقة. انظر ديوانه.

(٣) أخرج ابن جرير، عن مجاهد في قوله: ﴿ الأرض المقدسة ﴾ قال: هي المباركة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن قتادة في قوله: ﴿ الأرض المقدسة ﴾ قال: هي الشام. الدر المنثور ٣/ ٤٧.

(٤) أخرج ابن جرير، عن مجاهد ﴿ القرى التي باركنا فيها ﴾ قال: الشام.

وأخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعني: بين مساكنهم ﴿ وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿ قرى ﴾ فيما بين منازلهم والأرض المقدسة ﴿ ظاهرة ﴾ يعني: عامرة مخصبة، ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ يعني: فيما بين مساكنهم وبين أرض الشام، ﴿ سيروا فيها ﴾ يعني: إذا ظعنوا من منازلهم إلى أرض الشام من الأرض المقدسة.

وأخرج ابن عساكر، عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ ظاهرة ﴾ قال: قرى بالشام. الدر المنثور ٦/٦٩٢ – ٦٩٣

والمقـــدس فهـــو: اسم لما طهر من الأنجاس، ونقي من المعاصي والأدناس، فيقال: مقدس. أي: مطهر.

١٨٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ [المائدة:١٨]، فقلت: من الرجلان ؟

قـــال محمـــد بن يحيى عليه السلام: قد قال فيهما الناس بأقاويل مختلفة [١]، وهما - حـــاطك الله - فـــرجلان كانا خائفين لله، عارفين بأمره، مسلّمين لحكمه، متبعين لأمـــر موســـى صلى الله عليه [٢]، وقد قيل: إن أحدهما يوشع بن نون [٣]، وليس معرفة أسمائهما مما تعبَّد الله به خلقه، فافهم هديت ذلك.

---

(١) أخرج ابن جرير، عن الضحاك ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ بالهدى فهداهما فكانا على دين موسى، وكانا في مدينة الجبارين.

وأخرج ابن جرير، عن سهل بن علي ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ بالخوف.

وأخرج عبد بن حميد، عن مجاهد في قوله: ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ قال:هم النقباء. الدر المنثور ٣/٠٥٠.

(٢) أخـــرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابي عباس في قوله: ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ قال: هي مدينة الجـــبارين، لمـــا نزل بها موسى وقمه بعث منهم اثني عشر رجلا، وهم النقباء الذين ذكرهم الله تعالى ليأتوهم بخـــبرهم، فساروا فلقيهم رجل من الجبارين فجعلهم في كساءته، فحلمهم حتى أتى بهم المدينة ونادى في قومه فاجـــتمعوا إلـــيه فقالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى، بعثنا لنأتيه بخبركم، فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل، وقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: أقدروا قدر فاكهتهم، فلما أتوهم قالوا: يا موسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ [المائدة:٢٤]، ﴿ فقال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ وكانـــا مـــن أهل المدينة أسلما واتبعا موسى، فقالا لموسى: ﴿ ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾. الدر المنثور ٣/٤٩.

(٣) أخرج ابن جرير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ قال رجلان ﴾ قال: يوشع بن نون وكالب.

وأخـــرج عبد بن حميد، عن عطية العوفي في قوله: ﴿ قال رجلان ﴾ قال: كالب ويوشع بن النون فتى موسى.

وقلت: هل كان هؤلاء القوم الذين أمروا بدخول القرية مع موسى مؤمنين ؟

فقد كانوا قد آمنوا بموسى عليه السلام وصدقوه، ثم ضعفوا عن الدخول على الجبارين، ورغبوا في الدنيا، وخافوا القتل والفناء، فصاروا بذلك من العاصين، ولما أمروا به من المخالفين، ولذلك حرم الله عليهم مصر أربعين سنة، إذ كان امتناعهم من دخول القرية على الظالمين محبة للدنيا، وميلاً إلى الهوى، وطلب الدعة، ورغبة في العاجلة، فأقاموا عند ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة.

وقلت: لِمَ جاهد بهم [١] وهم فاسقون منافقون ؟

وفسقهم ونفاقهم فإنما بان عندما أُمروا بالجهاد، وافترضه عليهم ذو العزة والأياد. ثم سأل موسى ربه عند مخالفتهم لأمره، وصدودهم [٢] عن طاعته، أن يفرق بينه وبينهم، إذ كانوا غير مطيعين له.

وقلت: ما معنى ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ [المائدة:٢٦] ؟

والتيه: فهو التحيُّر عن القصد لما يطلب، وذلك أنه لما حرمت عليهم مصر أقبلوا يطلبونها وهم لا يهتدون لطريقها، فحيناً يذهبون يمينا، وتارة يمشون شمالاً، ومرة يرجعون على أعقابهم، متكمهون في حيرتهم، ممعنون في تيههم، يتكبدون بطون الأودية والفيافي والقفار، فلما أن لم يهتدوا لقصدهم [٣]، و لم يعرفوا الطريق التي يؤمون في سيرهم، قيل: ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ لتحيرهم [٤] عما يريدون.

وقلت: ما كان طعامهم وشرابهم ؟

وقد تقدم تفسير ذلك في أول مسائلك.

الدر المنثور ٣/٤٩.

(١) في (ج): جاهدوهم.

(٢) في (أ): وصدهم.

(٣) في (أ)، (ب): لتيههم.

(٤) في (أ): لحيرتهم.

وقلت: ما كانت الحجة في الفترات على الأمم ؟

والحجة عليهم فالتمسك بدين النبي الذي بعثه الله إلى أولهم والإقرار به، فهو عليهم حجة إلى ظهور مرسل من بعده إليهم، فكان موسى عليه السلام في عصره حجة على أهل دهره، وكان القيام بدينه عليهم واجبا، وفرضا من الله سبحانه لهم لازما، إلى أن بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، ثم كان عيسى حجة حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فختم به النبيين، وبعثه إلى جميع العالمين، ، وجعل دينه أفضل الأديان، مفروضاً على جميع المربوبين، إلى يوم الدين وحشر العالمين ، [١]، وكانت بين المرسلين فترات قد فسرناها في أول كلامنا.

وقلت: هل كان للأنبياء أوصياء ؟

وكذلك كان الأمر فيهم، كانت الأنبياء لم تزل لهم الأوصياء صلوات الله عليهم، حتى لم يمت نبي إلا وله وصي يقوم بدينه، وبتعليم أمته، ويأمر فيهم بالتقوى، ويجنبهم عن الردى، ويبين لهم طريق الهدى، فمنهم من يتبع أمره، ومنهم من يصد عن سبيله، ويخالف حكمه، وذلك فعل الأشقياء، الظلمة الجهلاء بالدين، إخوان المنافقين، وأتباع الجايرين، وأشباه أولئك الآن فموجودون في الأرض، يحذون أفعالهم، ويتبعون آثارهم، عجل الله سريعاً إهلاكهم.

١٨١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢]، فقلت: ما معنى هذا ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل أنه من قتل نفسا مؤمنة ظلما وتعمداً وتعدياً، فكأنما [٢] قتل الناس جميعا، لأنه قد ظلم وتعدى، واستوجب

---

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) في (ج): مؤمنا ظلما وتعديا فكأن.

العقاب بفعله، فيما [1] اكتسبه من عظيم جرمه، والعقوبة [2] والهوان، والخلود بين طبقات النيران.

و﴿ كَتَبْنَا ﴾ فمعناه حكمنا بالعقوبة عليهم، والتعذيب لمن فعل ذلك منهم.

ومن [3] معنى ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ فهو: بالتعليم للدين، والتفهيم لأحكام رب العالمين، وأحياها بذلك وأنجاها من أليم عقوبة الله عز وجل، التي جعلها على أهل الجهل والغفلة، عما افترض عليهم من تعليم الدين، والنفقه فيما جاء به خاتم النبيين، فكان إحياؤه للنفس هو بالتعليم والتفهيم، لما افترض الله على جميع المسلمين.

ومن إحياء النفس: الدفع عن المسلمين، والحقن لدماء المؤمنين، والذب عن المستضعفين. ووجه أخر من وجوهها أيضاً: أنه لما كان هذا الحكم من الله عز وجل في ابن آدم، وجب أن يكون حكماً خاصاً في الأنبياء والأئمة، أن من قتل منهم نبياً أو إماما، كان كأنما قتل الناس جميعاً، إذ حكم الأنبياء والأئمة سوى حكم الخلق، وبهم يهتدى من الحيرة، ويستضاء من الظلمة، وينصف المظلوم، وينعش الضعيف، وتقسم الأموال وتحقن الدماء، ويظهر من الله سبحانه على الخلق بهم النعماء، فإذا قتلوا فقد قتل الخلق، وأهلك العباد، وأفسدت البلاد، فنعوذ بالله من الضلال بعد التقى، ومن الحيرة بعد الهدى.

١٨٢- وسألت عن رجل قتل قوماً عمداً ثم أراد التوبة من جرمه، والإقادة من نفسه، فقلت: كيف يصنع ؟ أيجمع الأولياء، أم كيف يعمل ؟

---

(١) في (ج): بما.

(٢) في (ج): العقوبة.

(٣) سقط من (أ)، (ب): من.

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا فعل ذلك فاعل فكان أولياء المقتولين في بلد واحد، فليجمعهم ثم لِيُقدهم نفسه، فيحكموا (١) فيه بما رأوا، فإن رأوا الصفح عنه فذلـــك جائـــز (٢)، وعليه لهم الديات، وإن صفح بعضهم وقتل بعض (٣) ، فذلك جائـــز، لأن هذا حكمه خلاف حكم مَن قتل وله أولياء كثير، وهم فيه مستوون، فـــإذا وهب أحدهم سقط القتل عن القاتل، و لم يكن للباقين (٤) أن يقتلوا، وهؤلاء فإنما هم أولياء لقتلى (٥) متباعدين، وفي الأنساب غير مجتمعين، فلولي هذا أن يقتل، ولولي هذا (٦) أن يعفو.

وإن كـــان قتل رجلاً بالري وأولياؤه فيها، وقتل آخر بجرجان، وقتل آخر بآمل، وقتل آخر بوارفوه كان هؤلاء في بلدان شاسعة، ومواضع باينة، رأيت له أن يكتب إلى كـــلهم، يعلمهم بتوبته ورجعته إلى الله سبحانه، وأنه خارج من خطيئته، بإقادة نفســـه لهم، ويُعلم كل أولياء المقتولين بمن يطلبه بالقتل، وأنه سيعرض نفسه للأول فـــالأول، فمن صفح عنه وأخذ الدية أعطاه إياها، ومن قتله فبحقه، وإن سلم صار إلى الآخـــر كمصيره إلى الأول، ونحب له إذا كتب إلى أوليائهم أن يذكر لهم أمر الدية، ويتوقف عن القود حتى تتصل به كتبهم، فمن قَبِلَ الدية أرسل بها إليه، ومن أبى أقاد نفسه، فإذا فعل ذلك فقد خرج إلى الله من ذنبه (٧).

---

(١) في (ج): ليقدم نفسه فليحكموا.

(٢) في (أ): جاز.

(٣) سقط من (ب): وقتل بعض.

(٤) في (أ): للثانين.

(٥) في (أ): القتلى متباعدون. مصفحة.

(٦) في (ج): ولولي الآخر.

(٧) في (أ)، (ب): دينه. مصفحة.

وإن قتله واحد منهم دونهم، كان قد [1] أدى ما يجب عليه، من بعد التوبة والاستغفار، والإخلاص في العلانية والإسرار، والتأدي إلى من ظلم، والخروج مما [2] آساء فيه إلى نفسه واحترم.

١٨٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة:٣٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية فيها أحكام من الله عز وجل حكم بها على الفاسقين، وألزمها مَن عَنَدَ من جميع المفسدين، فجعل على من حاربه سبحانه، وسعى بالفساد في أرضه، وأخاف عباده، أحكاما على قدر جنايتهم [3]، وجعل عليهم حدودا تنعذ على ما يكون من أفعالهم، فمن سعى في الأرض فساداً من جميع الناس، وقطع الطريق على المسلمين، وقتل المجتاز عليها، كان حكمه إذا أخذ وظفر به أن يقتل ويصلب.

وإذا [4] أخذ أموال المسلمين على الطريق، و لم يقتل نفساً قطعت يده ورجله من خلاف [5]، وإذا عاد لقطع الطريق من بعد قطع اليد والرجل، نفي من الأرض وأدب على قدر ما يرى الإمام [1].

---

(١) سقط من (أ): قد.

(٢) في (أ): ممن. مصفحة.

(٣) في (ج): جناياتهم.

(٤) في (ج): فإذا.

(٥) أخرج الشافعي في الأم، وعبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن عباس في قوله: ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... ﴾ الآية. قال: إذا خرج المحارب فأخذ المال و لم يقتل يقطع من خلاف، وإذا خرج فقتل و لم يأخذ المال قتل، وإذا خرج فقتل

وقـد قيل في النفي: إنه يحبس، ومن النفي أيضا الطرد من البلد والإخراج منها، فـيكون خروجهم نفياً من أرضها، وإبعاداً (٢) له من الفساد فيها، وهذه الأحكام فلا تكون إلا للأئمة، الحكام على الأمة.

١٨٤- وسـألت عـن قـول الله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ [المائدة:٣٨] ؟

وأخذ المال قتل وصلب، وإذا خرج فأخاف السبيل و لم يأخذ المال و لم يقتل نفي.

وأخـرج عـبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة، وعطاء الخراساني في قوله: ﴿ إنما جزاء الذين يحـاربون الله ورسوله ... ﴾ الآية. قال: هذا الذي يقطع الطريق فهو محارب، فإن قتل وأخذ مالا صلب، وإن قتل و لم يأخذ مالا قتل، وإن أخذ مالا و لم يقتل قطعت يده ورجله. الدر المنثور ٣/٦٨-٦٩.

(١) أخـرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن عطاء ومجاهد قالا: الإمام في ذلك مخير، إن شاء قتل، وإن شاء قطع، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن سعيد بن المسيب، والحسن، والضحاك في الآية قالوا: الإمام مخيَّر في المحارب يصنع به ما شاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الضحاك قال: ((كان قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميـثاق، فنقضوا العهد وقطعوا السبل، وأفسدوا في الأرض فخير الله نبيه فيهم إن شاء قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض. قال: هو أن يطلبوا حتى يعجزوا، فمن تاب قبل أن يقدروا عليه قُبِل ذلك منه)).

وأخرج عبد بن حميد، عن الحسن في قوله: ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ قال: من بلد إلى بلد.

وأخرج ابن جرير، عن الحسن قال: ينفى حتى لا يقدر عليه.

وأخـرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الزهري في قوله: ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ قال: نفيه أن يطلب فلا يقدر عليه، كلما سمع به في أرض طلب. الدر المنثور ٣/٦٩.

(٢) في (ج): وبعادا.

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا الحكم من الله عز وجل في السارق خلاف حكمـــه أولا في المفسدين في الأرض، لأن الله عز وجل جعل عقاب مخيف الطريق وقاطعها قطع اليد والرجل، وعلى السارق في المدن والحوانيت والبيوت قطع اليد لا غـــير، لأن قاطع الطريق مجاهر لله بالمعصية، معلن بالجرأة، مفتخر بالمخالفة، مخيف للمســـلمين في طـــرقهم، ذاعر لهم في اختلافهم، فجعل الله عليه في ذلك قطع اليد والـــرجل، جـــزاء على فعله، وتشريدا لأهل البغي من خلقه، وتحذيراً لأشكاله من المـــردة المفســـدين، فيما كان من مجاهرته بالفعل العظيم، والجرأة بذلك على رب العالمين.

وســـارق الحـــانوت والبيت ذليل غير مخيف لطريق، ولا قاطع لسبيل، ولا ذاعر للمســـلمين، ولا معلن بمعصية على رب العالمين، فجعل عليه في سرقته الغيبة الخفية لـــلحانوت والبيـــت قطع اليد، فلما نزلت الآية بقطع اليد لم [1] يدر المسلمون أي يديـــه يقطعون، لو لا أن رسول الله بيَّن ذلك وشرحه عن الله، فقال صلى الله عليه وآلـــه وســـلم هي اليد اليمنى لسارق البيت، وما كان في الحرز [2]. وقال في الذي يـــأخذ عـــلى الطـــريق [3] اليد اليمنى والرجل اليسرى، فكان تبيين ما يقطع من الأعضـــاء باسمه عن [4] الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما كـــان تبيين الصلاة بعد ذكرها مجملة في الكتاب على لسان نبيه عليه السلام سواء سوءا، لا شك في ذلك ولا امتراء.

---

(١) في (ج): و لم.

(٢) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، من طرق عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿ فاقطعوا أيمانهما ﴾.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن إبراهيم النخعي أنه قال: في قراءتنا، وربما قال: في قراءة عبد الله ﴿ والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم ﴾. الدر المنثور ٧٣/٣.

(٣) في (أ)، (ج): طريق.

(٤) في (ب): من.

وقد قال بعض الناس: إن القاطع إذا قطع الطريق قطعت يده ورجله، ثم عاد الثانية فنهب سائر الطريق قطعت [١] رجله الأخرى ويده، أو سرق من بيت أو حرز قطعت يده الأخرى [٢]. وهذا قول فاحش لا يحكم به عدل في نفسه، ولا حاكم بكتاب ربه، لأن ذلك من القتل غير القتل [٣]، والله سبحانه فإنما جعل عليه القطع ولم [٤] يجعل عليه القتل، لأنه إذا قطعت يداه ورجلاه فقد قتل، إذ لا يقدر أن [٥] يأكل ولا يشرب، ولا يقوم ولا يتحرك إلا تحريكاً ضعيفا، ولا يصلي ولا يتوضىء للصلاة ولا يغسل عن بدنه دنسا، ولا يميط درنا، ولا يدفع عن نفسه بلاء، ولا يجر إليها ساعة رخاء، ولكن إذا كان ذلك ممن قطعت يده ورجله أُدِّب ونفي، وفي ذلك ما بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [٦] صلوات الله عليه أنه قال: « لا بد له من يد يأكل بها ويميط بها الأذى، ويقيم بها الفرض، ورجل يمشي بها، في ما لا بد له منه» [٧].

---

(١) في (ج): فقطعت.

(٢) هو مذهب الشافعي، واستدل بحديث أبي هريرة برفعه: إن السارق إذا سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله. رواه الدارقطني.

قلت: والحديث ضعيف. فيه: إسماعيل بن سعيد، والواقدي، وخالد بن سلمة.

(٣) في (أ): المهل وعين. مصفحة.

(٤) في (أ)، (ج): لم.

(٥) سقط من (أ): أن.

(٦) سقط من (ج): علي بن أبي طالب.

(٧) عن علي عليه السلام: أنه كان يقطع يمين السارق، فإن عاد فسرق قطع رجله اليسرى، فإن عاد فسرق استودعه السجن، وقال: إني لأستحي من الله أن أتركه ليس له شيء يأكل به، ولا يشرب، ولا يستنجي به إذا اراد أن يصلي. مسند الإمام زيد / ٣٣٩ – ٣٤٠، والمحلى لابن حزم ٣٥٤/١١، وكنز العمال برقم (١٣٩٢٩)، والمصنف لعبد الرزاق ١٨٦/١٠، ومصنف ابن أبي شيبة ١٢٦/٢، وخراج أبي يوسف /٢٠٧،

وقلت: هل تكون يده ورجله إذا تاب معذبتين [١]؟

وإنما حال يده ورجله كحال سائر ما بقي من يده إذا مات العبد وهو مؤمن تائب، حشر ورد إليه ما قطع منه، وخرج على حال السلامة والكمال، وليس لليد عقوبة في الآخـرة دون الـبدن، ولا للـبدن عقوبة دون البصر، ولا للرأس عقوبة دون الـرجلين، بـل الإنسان وجميع جوارحه مشتركون في العذاب، أرأيت - أن كان القياس كما ذكرت - لو أن ظالما لما قطع يدي مؤمن وأذنيه وأنفه، ثم أقام مدة من الدهـر حـياً، ثم نكص عن دينه وخدعه الشيطان في أمره حتى مات على ضلال، وصار بذلك إلى شرحال، أمثابة يداه وأذناه وأنفه ؟! إذ بنّ منه وهو مؤمن ؟! والله سـبحانه فقـد حكـم في الخلق بردهم في الآخرة على أكمل صورهم، وليسوا بمنقوصـين مـن خلقهم، بل هم خارجون على أكمل أحوالهم، بذلك حكم فيهم ربهم.

فـإن قلت: ترد إليه يداه وأذناه وأنفه، فقد عذب معه جزء بان منه، وهو مؤمن! وإن قلت: يجعل له سوى ذلك فقد عذب من لم يعص و لم يطع، ولا بد أن يكون هـذه الـيد المقطوعة التي ذكرت أنها تعذب أو تثاب، وهي منفصلة من جثة [٢] صاحبها، بائنة على حيالها، أن يكون فيها روح وتمييز للنعيم، فقد جعلت يداً تُميِّز وتعقل، وتألم وتنعم، وهي بائنة من مركبها، منفصلة من جثة صاحبها، و لم نسمع

والمغني ٨/٢٦٤، ٢٦٥.

وفي رواية: أن عمر أراد أن يقطع سدوما الثالثة. فقال علي: لا تفعل، إنما عليه يدو رجل، فالله تعالى يقول: ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم مـن خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾، فلا ينبغي أن تدعه ليس له قائمة يمشي عليها، ولا يد يأكل بها. فإما أن تعزره وإما أن تستودعه السجن، فاستودعه السجن. مصنف عبد الرزاق ١٠/١٨٦، والمحلى ١١/٣٥٥، والمغني ٨/٢٦٤، وكنز العمال برقم (١٣٩٢٨).

(١) في (ج): معذبتان. مصحفة.

(٢) سقط من (أ)، (ج): جثة.

(١) بذلك في خبر ولا في كتاب، و لم (٢) يقله ذو عقل ومعرفة، وتمييز وبصيرة، لأنا رأينا اليد إذا بانت من صاحبها تحرق بالنار وهو لا يجد لها ألماً، ولا تجد هي لذلك وجعـاً، ولا يشاهد منها عند احتراقها جزعاً، وهذا من المقال عجيب ! ما سمعنا بأحد تكلم به، ولا قامت له فيه حجة، فافهم ما به قلنا في ذلك.

١٨٥- وسألت هل تقطع يد السارق بإقراره على نفسه، وهل يلزمه رد السرقة ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا أقر السارق على نفسه بالسرقة مرتين من غير إفـزاع ولا بـلاء - لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لا حد على معترف بعد بلاء » (٣)- فإذا لم يخف و لم يَرَ سوءاً سُئل عن عقله ؟ فإن كان صحيح العقـل، سـئل أحـر أم مملوك، فإذا شهد على حريته، قطع الإمام يده. وما حال اعترافه بالسرقة، إلا كحال اعترافه بالزنا، وإن رجع السارق عن إقراره من قبل أن ينفذ فيه الحكم لم يقطع، لأن حاله كحال شاهدين شهدا على رجل بالسرقة، فلما قرب إلى القطع نكل أحدهما أو كلاهما، فلا قطع عليه عند نكولهما.

وأما السرقة فإن وجدت معه أخذت بعينها، وإن لم توجد معه وكان قد استهلكها لم يحكـم علـيه بغرمها، لأنه قد استهلكها ونفذ الحكم عليه من الله فيها، فحاله كحـال مـن اغتصب مَرَةً بكراً على نفسها، فأقيم الحد عليه فلا عقر (٤) لها، لأن الحـد قد نفذ فيه، فلا يجتمع حد وعقر، كذلك لا يجتمع قطع وغرامة، وإنما ذهب من قال بعقر المكرهة إلى إن للإمام أن يحسن النظر في أمرها، وله أن يفعل في ذلك مـا يوفقـه الله له، ويرى من طريق نظر العلماء واستحسانهم، لا من طريق فرض مؤكد كغيره مما هو مشدد.

---

(١) في (أ): يسمع.

(٢) في المخطوطات: ولا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) أخرجه الإمام زيد في المسند /٣٣٥. ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٣٠/٦٨٠.

(٤) العقر: المهر.

١٨٦- وسألت عن قول سبحانه: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ ﴾ [المائدة:٤٧] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل بقوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾، أي: يتبعون ويحكمون بما أنزل الله [1] فيه، من الأمر بطاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدلالة والبشارة به، فإن حكموا بذلك فسيؤمنوا برسوله ويوقنوا [2] بنبوته، وما أمروا به من اتباعه، وإن حرفوا و لم يحكموا على أنفسهم [3] وعلى من تحت أيديهم بما أنزل الله في الإنجيل من الاتباع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كفروا بالإنجيل وجحدوه، وخالفوا حكمه ونبذوه، فهذا معنى الآية ومخرجها.

١٨٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل: أنه من رجع من المؤمنين عما عاهد الله عليه وعقده في رقبته، فإن ذلك عليه وبال وله مهلك، ولن يضر الله سبحانه بشيء من فعله، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ثم قال سبحانه ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾. وإتيانه بهم فهو: إيجاده نبيه [4] صلى الله عليه وآله وسلم من خلقه قوما راغبين، وإلى الله سبحانه من ذنوبهم متنصلين، ولدعوة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مجيبين، فيشرح صدورهم، ويعينهم على أمورهم، ويبينهم [5] لنبيه.

---

(١) سقط من (ج): الله.

(٢) في (أ)، (ب): فسيؤمنون برسوله ويقرون.

(٣) في (ج): نفوسهم.

(٤) في (ج): إيجاد لنبيه.

(٥) في (أ): فسبهم. مهملة. وفي (ج): فسيتبهم. وكذلك هي مهملة في (ب). وما أثبت اجتهاد.

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾، صحيحة مودتهم لله ولرسوله، ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٤]، يريد: رحماء بالمؤمنين مطيعين لهم، غير متكبرين عليهم ولا متطاولين، بل هم خاضعون لله متذللون، ليسوا بجبارين ولا فراعنة شياطين.

ومعنى ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنما هي للمؤمنين، فقامت « على » مقام « اللام »، ولم يذكر عز وجل أنهم [1] ارتدوا ولا كفروا، وإنما قال من يرتدد منكم، فكان ذلك تنبيهاً للمؤمنين وتعريفاً، وموعظة وزجراً، وقد يقال: أن الآية [2] في قوم كرهوا الجهاد، وهم الذين: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [النساء:٧٧]. وقد تقدم تفسير أمرهم في وسط مسائلك.

١٨٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة:٥٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه[3]، فيقال: إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سقط من (أ)، (ب): أنهم.

(٢) سقط من (أ)، (ب): الآية.

(٣) نزلت الآية في أهل البيت محمد ـ وعلي ـ وفاطمة ـ والحسن ـ والحسين عليهم السلام. وقد رواه أغلب المحدثين فممن رواه:

مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة في باب فضل أهل بيت النبي ﷺ، رقم(٤٤٥٠) بسنده عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٤٧/٣، والبيهقي في السنن ١٤٩/٢، وابن جرير في تفسيره ٥/٢٢ عن عائشة.

وذكـــره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير الآية. وقال أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن أبي حاتم، وذكره الزمخشري في الكشاف في تفسير آية المباهلة، وكذلك الفخر الرازي، وقال: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

وأخـــرجه الترمذي في السنن ٢٠٩/٢، بسنده عن عمر بن أبي سلمة، والطحاوي في مشكل الآثار ٣٣٥/١، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ١٢/٢. وابن جرير في تفسيره ٣١٩/٢٢ عن أم سلمة.

وأخرجه أحمد في المسند ٣٠٦/١. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٩٧/٢، والمحب الطبري في الذخائر/ ٢١.

والـــترمذي ٢٠٩/٢ بسنده عن أنس. والطبري في تفسيره ٥/٢٢، والحاكم في المستدرك ١٥٨/٣، وأحمد في المســـند ٢٥٢/٣، والجزري في أسد الغابة ٥٢١/٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠٣/٧، نقلا عن ابن أبي شـــيبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه. وابن جرير ٧/٢٥ بسنده عن حكيم بن سعد.

والحاكم في المستدرك ٤١٦/٢، عن أم سلمة، وأيضا في ١٤٧/٣، والبيهقي في السنن ١٥٠/٢، والطحاوي في المشكل ٣٣٤/١، ٣٤، والخطيب في تاريخه ١٢٦/٩، وابن جرير ٧/٢٢.

وأخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ورواه الســـيوطي أيضـــا في الـــدر المنثور ١٩٨/٥، ١٩٩، قال وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت ... الحديث.

ورد بألفاظ مختلفة، ومقامات متعددة، والمعنى واحد. فيها أن رسول ﷺ، صلى تسعة أشهر، وفي رواية ثمانـــية أشـــهر، وفي رواية ستة أشهر، بأتي كل يوم وقت صلاة الغداة، وفي رواية وقت كل صلاة بيت علي وفاطمة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرجه أيضا أحمد في المسند ٣٣٠/١ عن عمرو بن ميمون. و١٠٧/٤، عن شداد بن أبي عمار. و٢٩٢/٦ عن أم سلمة. و٢٩٢/٦، عن شهر بن حوشب.

والنســائي في الخصائص/٤. والبغدادي في تاريخه ٢٧٨/١٠ عن أبي سعيد.

وهـــو في منزله، فقال: لقد [1] نزلت عَليَّ آية عجيب أمرها، فانظروا من ذا الذي أدى الزكاة وهو راكع؟ فإذا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد جاءته مســكينة وهو راكع فسألته المنفعة، فمد يده إليها فأخذت خاتمه من يده، فوجده

والمحب الطبري في الرياض ١٨٨/٢. وابن عبد البر في الإستيعاب ٥٩٨/٢ عن أبي الحمراء.

وأبو داود الطيالسي في مسنده ٢٧٤/٨، وهو في كنز العمال ٩٢/٧.

وفي مشكل الآثار ٣٣٢/١، ٣٣٦، ٣٣٨.

وفي مجمع الزوائد ١٦٩/٦، ١٢١، ٢٠٦، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٨/٢. رقم (٦٣٧ ــ ٧٧٤).

ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١٣٢/١(٧٣)، ١٤٨/١(٨٣)، ١٥٧/١(٩٢)، ٤٠٦/١ (٣٢٤)، ١٩/٢(٥٠٨)، ١٢٤/٢(٦١٠)، ١٣٨/٢(٦٢١)، ١٧٤/٢(٦٥٢).

والحـــبري في تفسيره/٢٩٧(٥٠) عن أم سلمة،/٢٩٩(٥١) عن شهر بن حوشب،/٣٠٠(٥٢) عن أم سلمة،/٣٠٢(٥٣) عـــن أم سلمة،/٣٠٤(٥٤) عن أم سلمة،/٣٠٦(٥٥) عن أبي سعيد الخدري،/٣٠٧(٥٦) عن ابن عباس/٣٠٩(٥٧) عن أبي الحمراء،/٣١٠(٥٨) عن أنس بن مالك،/٣١١(٥٩) عن أبي الحمراء.

وأخـــرجه فـــرات الكوفي في تفسيره ٣٣٢/١(٤٥١) عن شهر بن حوشـب، (٤٥٢) عن أم سلمة، ٣٣٣/١(٤٥٣) عن أم سلمة، ٣٣٤/١(٤٥٤)عن أم سلمة، ٣٣٤/١(٤٥٥) عن أبي عبد الله الجولي، ٣٣٥/١(٤٥٦) عن شهر بن حوشب، ٣٣٦/١(٤٥٧) عن أم سلمة، ٣٣٦/١(٤٥٨)عن عمرة الهمدانية، ٣٣٧/١(٤٥٩) عن أم سلمة، ٣٣٧/١(٤٦٠) عن أبي جعفر الباقر، ٣٣٨/١(٤٦١) عن أبي سعيد الخدري، ٣٣٩/١(٤٦٢) عن أبي الحمـــراء، ٣٣٩/١(٤٦٣) عن جعفر الصادق، ٣٤٠/١ (٤٦٥) عن ابن عباس، ٣٤٠/١(٤٦٦) عن عمرو بن ميمون.

وفي تفســـير ابن كثير ٤٨٤/٣ ٤٨٦ عند تفسير الآية أورد تسع روايات، عن أنس، وأبي الحمراء، ووائلة بن الأسقع، وأم سلمة بثمان طرق، وعائشة بطريقين، وأبي سعيد الخدري، وسعد، وزيد بن أرقم.

وقد تركت ذكر الكثير ممن رواه خشية التطويل.

(١) سقط من (ج): لقد.

معها تقلبه في يدها، فكان صلى الله عليه المتزكي في صلاته، والمتصدق في ركوعه، دون جميع أهل دهره.

١٨٩- وسألت لِمَ جاء الوحي لجماعة وإنما هو واحد ؟

وهـذا مـن لغة العرب صحيح جيد، لأن الواحد من العرب يقول: فعلنا وصنعنا، وإنما يـريد نفسه، والله سبحانه يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ [ق:٣٦]. ولـيس أحـد يحيي ويميت إلا الله تبارك وتعالى، فجاز أن يقول: إنا نحن وإن كان واحـداً، كمـا قال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [النساء:١٠٥، الزمر:٢]. وهذا فصـيح في اللغـة حسـن، وكما قال سليمان صلى الله عليه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل:١٦]. فقال: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ فخرج لفظه يـدل عـلى أنهـم جماعة علموا ذلك، ولم يكن أحد في عصره علم ذلك إلا هو وحده، فهذا حجة فيما سألت عنه، ومبين لذلك [1] إن شاء الله.

١٩٠- وسـألت عن قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [المائدة:٦٠]، فقلت: ما معنى ذلك ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم صلوات الله عليه عن هذه المسـألة فقال: جَعلُهم فهو: تبديله لهم تبارك وتعالى، وقوله: ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾. فإنمـا هـو نسق وتمام لما تقدم من الأول، ولحق من قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٦٠]. يريد: منزلة ومحلاً ومرتبة عند الله ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [المـائدة:٦٠]، والمسـخ المقدورة الممقوتة [2] تقديماً وتأخيراً وتعريفاً،

---

(١) في (ب): وتبيين لذلك. وفي (ج): ومبين لك.

(٢) في (ج): المقدرة والممقوت.

ولست تحتاج - والله محمود - إلى تفسير فيما يجوز في شأن [١] القرآن من التقديم والتأخير.

١٩١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة:٦٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل أن أهل التوراة والإنجيل لو أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم، لدرّت أرزاقهم، وكثرت نعمهم، وأكلوا - كما قال - ﴿ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾، ولأنزل الله عليهم من السماء البركات، ومن [٢] الأرض النعم السابغات، كما قال عز وجل: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن:١٦]. وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦].

فلما أن كانت البركات تأتي من السماء والأرض، قال: ﴿ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾، فكان هذا دليلاً وشاهداً على كفر أهل الكتاب، في تحريفهم [٣] للتوراة والإنجيل، وتركهم ما فيهما من أمر الله ونهيه وأحكامه، وفي مثل ما ذكرت في الآية ما يروى عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه أنه قال: « بحق أقول لكم يا بني إسرائيل أن لو اتقيتم الله حق تقاته، لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، وعن أيمانكم وعن شمائلكم، فإن قلتم: كيف ذلك، فانظروا إلى الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا، فإن قلتم: نحن أكبر أجوفا، فانظروا إلى بقر الوحش والظباء والسباع تغدو خماصا وتروح بطانا، لا تحرث ولا تزرع والله يرزقها

---

(١) في (ج): بيان.

(٢) سقط من (أ): من.

(٣) في (ج): وتحريفهم.

وإيـاكم »[1]، وفي [2] كـتـاب الله عز وجل الشاهد لذلك، قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢ - ٣].

١٩٢- وسألت عن القسيسين، فقلت: ما معنى هذا الاسم ؟

يقـال [3]: إنه النجاشي وأصحابه، والقسيسون فهم: كبار النصارى، يصلون بهم ويقدمونهم ويعظموهم.

١٩٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٥، المائدة:٨٩] ؟

قـال محمـد بن يحيى عليه السلام: اللغو فهو مالا يعتمد فيه اليمين، ولا يقصد به جـرأة على رب العالمين، وإنما يقع من طريق الغفلة والسهو، فاللغو [4] ما لا يكون له حقيقة ولا قصد ولا ضمير [5]، وقد قيل في اللغو: إنه الرجل يحلف على الشيء ما فعله وقد فعله، وليس هو عندي كذلك.

---

(١) قـال عيسى عليه السلام: لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسـون. أليست الحياة أفضل من الطعام؟! والجسد أفضل من اللباس؟! انظروا إلى طيور السماء لا تزرع ولا تحصـد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟! ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة؟! ولماذا تهتمون باللباس؟! تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، ولا تتعب ولا تغزل! إنجيل متّى ٦/٢٤ – ٢٩.

(٢) في (أ): في.

(٣) في (أ)، (ج): وإنه يقال...

(٤) في (أ): واللغو.

(٥) أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن إبراهيم قال: اللغو، أن يصل الرجل كلامه بالحلف، والله لتجيئن، والله لتأكلن، والله لتشربن، ونحو هذا لا يريد به يميناً، ولا يتعمدبه حلفا، فهو لغو اليمين ليس عليه كفارة.

وأخـرج عـبد بن حميد وأبو الشيخ، عن قتادة قال: اللغو: الخطأ، أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كما حلفـت عليه، فلا يكون كذلك تجوّز لك عنه ولا كفارة عليك فيه، ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾،

١٩٤- وسألت هل يجوز أن يحلف على الحقوق بالقرآن والطلاق ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ذلك جائز. وقد قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستحلف على القرآن، وأمير المؤمنين عليه السلام من بعده. وأما الطلاق فلا يدخل في ذلك، لأن الله يقول عز وجل: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨]. وفي اليمين بالله كفاية لمن عرفه، والطلاق فقد يستحلف به بعض من لا معرفة له بالقرآن، فيكون هيبته للطلاق والعتاق أشد عليه من اليمين على الكتاب، وفي كتاب الله المقنع والكفاية، فافهم هديت.

١٩٥- وسألت عن من حلف فحنث، وهو لا يقدر على كفارة. فقلت: كيف يعمل ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن الله سبحانه جعل الكفارة أربعة أشياء، رأفة بعباده، ورحمة لخلقه، فَسَّحَ بذلك عليهم، وجعله على قدر ما يمكن من طاقتهم، إطعام أو كسوة أو عتق أو صيام، فإذا لم يقدر على إطعام ولا كسوة ولا عتق ولا صيام، كان ذلك عليه ديناً حتى يقوى على الصيام فيصوم عند صحته إن كان به

قال: ما تعمدت فيه المآثم فعليك فيه الكفارة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، عن مجاهد ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ قال: بما تعمدتم.

وأخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن مجاهد ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ قال: الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كذلك، ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾، قال: الرجل يحلف على الشيء وهو يعلمه.

وأخرج أبو الشيخ، عن عائشة قالت: إنما اللغو في المراء والهزل والمزاحة في الحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وإنما الكفارة في كل يمين حلف عليها في جد من الأمر في غضب أو غيره ليفعلن أو ليتركن، فذاك عقد الأيمان الذي فرض الله فيه الكفارة. الدر المنثور ٣/ ١٥٠ – ١٥١.

مرض، أو يرزق فيكفّر، أو يستعين [١] إمام حق إن كان في عصره فيعينه، أو يحمل كفارته عنه.

وقلت: فإن كَفّر برُزٍّ أيعطيه بقشره ؟

ونحـن نعطيك في هذا أصلاً تعتمد عليه والذي يجب في الإطعام من رز أو ذرة أو بر أو شعير، أن يطعم كل مسكين ما يشبعه ويكفيه بإدام [٢] يومه، فإذا فعل ذلك فقد أدى ما عليه.

وقلت: أيما أفضل أعطى المساكين حباً أو يسويه لهم خبزاً ؟

والخبز لهم والإشباع [٣] والتقديم إليهم ما قد فرغ من تعبه وعن شغله أفضل، وإن دفع من الحب ما يكفي خبزاً وأدما أجزاه، وخلصه وكفاه.

وقلـت: إن أوصى رجل عند موته للمساكين بألف رغيف ولم يسم من أي طعام هو ؟

قال: ينظر إلى ما كان يأكل ويجريه على عياله، ويستنفقه الناس في البلد، فيخبز لهم منه [٤]، وإن كان مختلفا كان أفضلها أحب إلي.

وأمـا قولـه: ألف رغيف فهذا شيء مجهول، لأن الخبز يتفاضل، فرغيف فيه مد، ورغـيف فـيه مدان [٥]، ورغيف فيه ربع مد وثلث مد، وأقل وأكثر، وأصلح ما يفعل في مثل هذا أحد وجهين، ينظر إلى خبز هذا الرجل الذي كان يعمل في منزله

---

(١) في (ج): ويرزق فيكفر وتستعين.

(٢) في (أ)، (ب): بأدمه.

(٣) في (ب): والإصباع.

(٤) سقط من (ج): منه.

(٥) في المخطوطات: مدين. والصواب ما أثبت.

فيعطي المساكين على ضربه [١]، لأنه لم يأمر إلا بما يعرف من أرغفته التي لو نذر في حياته أن يطعم عشرة أرغفة لم يطعم إلا من خبزه الذي في بيته، لأن اعتقاده لم يكن إلا ذلك، و لم يعتقد خبز غيره.

والوجه الثاني: وهو أحبها إلي أن يخبز لهم ألف رغيف من أوسط ما يعرف من خبز أوسط أهل البلد، وشكل ذلك الرجل [٢]، ثم يعطى المساكين من طريق نظر عدل من المسلمين، يتحرى ذلك ويعدل فيه.

وقد قيل: إن هذه وصية مجهولة إذ لم يجد فيها حد [٣] كيل أو وزن فلا يجاز منها [٤] شيء، والذي أراه أصلح في الدين، وأسلم عند رب العالمين، ما شرحت لك، فاعلم ذلك.

وقلت: هل يعطي الرجل قريبه [٥] إذا كان فقيراً من كفارته شيئا ؟

واعلم - حاطك الله - أنه إن كان ممن تجب عليه النفقة، فلا يحل أن يعطيه من كفارته شيئا، وإن كان ممن لا تجب عليه نفقته فهو من المساكين والفقراء، غير أنا لا نحب أن يعطى المسكين أكثر من شبعه يومه ذلك، ويعطى الفقراء معه، ولا يخص بالكفارة واحداً ولا اثنين فيعطيهم إياها كلها، ولا بد أن يعطي عشرة مساكين كما أمر الله عز وجل.

١٩٦- وسألت عن رجل استحلف بطلاق فحلف بطلاق، وسمى اسم [١] امرأته وهو يعني امرأة [٢] أخرى، وافق اسمها [٣] اسم امرأته، و لم ينو لمرأته طلاقاً فقلت [٤]: هل يحنث ؟

---

(١) ضربه: نوعه.

(٢) كذا في جمع المخطوطات.

(٣) سقط من (ب): حد.

(٤) في (أ): فيها.

(٥) في (ج): قرابته.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا نوى غير امرأته وسمى باسم مشابه لاسمها، ولم يعتقدها في قلبه، فلا حنث عليه، وإنما يقع الحنث بالاعتقاد والقصد، لأن تطليقه مَرَّةً ليست له بزوجة عبث، وكذب منه للذي حلف له.

١٩٧- وسألت عن رجل له امرأتان باسم واحد، فقال فلانة طالق، وأشهد الشهود على لفظه، ولم يدر أيهما عنى، ولم ينسبها إلى أبيها [٥] فتعرف ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يسأل أيهما عقد عليها قلبه ونيته، فالتطليقة لازمة لها، وهو أولى بها في عدتها، فتكون معه بثنتين.

ثم قلت: أرأيت إن مات عند لفظه بطلاقها، ولم يسأل أيهما أراد، ووقعت الشبهة واللبسة ؟

فهذه - يرحمك الله - شبهة قد وقعت، إذ الاسمان مستويان، ولم يسأل الزوج أيهما نوى، فكلاهما تقول لصاحبتها: أنت المطلقة، وليس معها على ذلك بينة، يصح المقصود بها منهما ؟

فالجواب في ذلك [٦] عندي: أنه يلزمهما تطليقة تطليقة، ويرثانه إذ هما في العدة التي جعل الله على المتوفى عنها زوجها، وكل مطلقة طلقت أو مات عنها زوجها، وهي في عدتها أو ماتت فهي ترثه ويرثها، إلا أن تكون التطليقة الثالثة التي لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره، فلا ترثه إن مات ولا يرثها، قياس [٧] ذلك: رجل له

(١) سقط من (ج): اسم.

(٢) سقط من (ج): امرأة.

(٣) سقط من (ب): اسمها.

(٤) سقط من (أ)، (ب): فقلت.

(٥) في (أ): ينسبهما إلى أبيهما.

(٦) في (أ)، (ب): فيه.

(٧) في (أ)، (ب): وقياس.

ثـلاث نسوة، ثم حلف بطلاق مرة [١] من نسائه، فحنث و لم يدر أيتهن عنى، و لم يعـتقد مـنهن واحدة، بعينها، فالطلاق [٢] لازم لهن كلهن، وله عليهن الرجعة في عدتهن.

١٩٨-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾ [المائدة:٩٤] ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ﴾ هو: ليمتحننكم بالصيد الـذي ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾، أراد بذلـك عـز وجل: الاختبار لهم والامـتحان بالطاعـة ليـنظر كيف صبرهم، وقد كان عز وجل عالما بهم، ولكن امتحـنهم بذلك ليكافئ المطيع على فعله، ويعاقب المسيء على عمله، فكان الصيد في إحـرامهم كثيرا لا يذعر منهم كما كان يذعر، حتى لو شاء أحدهم أن يضربه بالسـيف لضربه، أو يطعنه بالرمح لطعنه، فكان ذلك من الله سبحانه اختباراً لهم كمـا اختبر أصحاب الحيتان، فكانت الحيتان في يوم سبتهم تأتيهم شرعا، حتى لو شاءوا لأخذوها بأيديهم، وإذا كان سائر الأيام لم يقدروا عليها إلا بالشبك والحيل والطلب.

وقلـت: فـإن قتل رجل صيدا متعمدا ثم قتل صيدا ثانيا، هل يجب عليه كفارة أو كفارتان ؟

والذي يجب عليه في كل ما قتل وهو محرم كفارة كفارة، ولو قتل خمس بقرات من الوحش، لوجب عليه خمس بقرات من الأوانس، فإن لم يجد فقيمتهن في ذلك البلد الـذي قـتل فـيه. فإن لم يجد القيمة وجب عليه عدل ذلك صياما، وهو ثلاثمائة وخمسون يوما، عن كل بقرة سبعون يوما.

---

(١) في (أ): مرته. مصحفة.

(٢) في (ب): والطلاق.

وقلت: لِمَ قال الله سبحانه: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة:٩٥]. ولم يقل: يحكم به ذو عدل ؟

وذو العدل فهو واحد، وذوا عدل فهما اثنان، فأراد الله سبحانه أن يحكم في هذه القيمة ذوا عدل، لأن الأثنين أوثق من الواحد، وأجدر أن تصح القيمة بالتراجع بينهما، والنظر فيها منهما، ولم يجز سبحانه شيئا من الأحكام إلا بشاهدين.

١٩٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ﴾ [المائدة:٩٦]، فقلت: لم يذكر الله سبحانه الخمس في الكتاب في صيد البر والبحر ؟ وسألت من أين أوجبناه نحن وليس له في كتاب الله ذكر ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك - إن معنى ما ذكرنا [(١)] من الخمس في البحر والبر وأوجبناه، معنا فيه آية من كتاب الله عز وجل، والذين لم يوجبوه وأنكروه، فإنما استحلوا ذلك فرخصوا [(٢)] فيه لأنفسهم، وجرت بهم سوء [(٣)] العادة عليه، وعدموا المؤدب والمنبه فصار عندهم حكما واجبا باستحسان أنفسهم، وقلة المنكر عليهم، وليس ما فعله العباد بجهل أو تجاوز وترخيص، تبع فيه الأول الثاني، وتبع الثاني الثالث، بحكم الله إذ [(٤)] رضوا به وأجمعوا عليه، لأن إجماعهم على غير الحق غير موجب لهم صدقا، ولا مثبت من الله اتباعا، فلا تنظر إلى الإجماع على ما لا يشهد له به كتاب ولا سنة [(٥)]، وإنا وجدنا الله سبحانه يقول في كتابه: قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ [الأنفال:٤١]. فقال من شيء، ولم يقل شيئا واحدا، فكل ما وقع عليه

---

(١) في (أ)، (ب): إنما ذكرنا.

(٢) في (أ)، (ب): استحلوا ورخصوا.

(٣) سقط من (ج): سوء.

(٤) في (ج): إذا.

(٥) في (ب): له كتاب الله ولا سنة.

اسم الغنيمة فقد أوجب فيه الخمس، فإن [١] كنت تقول: حتى تجده لك مسمى [٢] في كتاب الله خمس البحر، قلت [٣] تجده كذلك، ولكن [٤] قوله سبحانه: ﴿ مَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾. يوجب في البر والبحر [٥] الخمس، وإلا فإن قال لك مناظر: أوجدنا للمعادن في كتاب الله تسمية في الخمس، أو في الركاز ؟ فلن تجد ذلك أبداً !

وإذا لم تجده عليك أن تطرح الخمس من المعادن والركاز. وكذلك اللؤلؤ والجواهر، الذي يخرج من البحر ليس فيه أيضا خمس.

وإذا قال بذلك قائل فقد رد حكمه وضآد أمره، وعاند نبيه، وخالف فرضه، وإن أوجب الخمس فقد أصاب الحق، وإذا أوجبه في هذه الأشياء التي ليس لها في كتاب الله ذكر، فكذلك [٦] أيضا يجب [٧] في الأشياء الأخرى [٨] سواء سواء، وقد احتججنا في هذا بحجج قد صارت إليك، ووصلت بك. والقاسم صلوات الله عليه، فإنما أراد بقوله: يحول الحول عليه ثم تكون فيه الزكاة. أن كل ما كان من الغنائم فإنما أراد يجب فيه الخمس عند أخذه، ثم ليس فيه شيء على مالكه غير ذلك حتى يحول عليه الحول، فإذا حال عليه الحول وجبت عليه فيه الزكاة، إذا كان

---

(١) في (أ)، (ب): وإن.

(٢) في (ب): تجد ذلك مسمى.

(٣) في (أ): فأنت. مصحفة.

(٤) في (ب): الله عز وجلن وليس تجده كذلك ولكن.

(٥) في (ج): البحر والبر.

(٦) في (أ)، (ج): وكذلك.

(٧) في (أ)، (ب): لا يجب. مصحفة.

(٨) في (أ): الأخر.

قيمته مائتي درهم أو عشرين [1] مثقالا، لأن بعض الناس يوجب فيه من بعد الخمس العشر، ولسنا نرى ذلك حتى يحول عليه الحول، ثم فيه ربع عشره، وعلى ذلك يجري حسابه في العشرين مثقالا نصف مثقال، وفي المأتي درهم خمسة دراهم، ولا اختلاف عندنا أن القاسم صلوات الله عليه، كان يوجب الخمس.

وكذلك يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وبذلك كان يقول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وبه أقول وعليه أعتمد، فكفى [2] بالآية شاهدا ومثبتا.

وقلت: إن كثيرا من أئمة الحلال والحرام، لم يتكلموا في ذلك بشيء.

واعلم - حاطك الله - أن أئمة السلف أعلم، ومعهم من التوفيق والتسديد ما ليس مع الآخرين، ولعلهم لو سئلوا عنها، أو كشفوا عن جوابها، أن يجيبوا فيها بما أجبنا.

٢٠٠-وسألت هل يوصي المريض في مرضه، بما عليه من الأعشار والأخماس ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام [3]: ذلك عليه واجب وله لازم، لأنه حق لله سبحانه في رقبته، واجب عليه تأديته، لأن الزكاة غلها عظيم، وقد أوعد الله سبحانه فيه لفاعله العذاب الأليم.

وفي ذلك ما يقول رسول الله صلى الله عليه: « مانع الزكاة، وآكل الربا، حرباي في الدنيا والآخرة » [4]. وقال عليه السلام: « لا تقبل الصدقة من غلول » [5].

٢٠١-وسألت عن إمام قائم في بلد هل يجوز التوجيه بالأعشار والأخماس إليه ؟

---

(١) في (أ)، (ج): عشرون.

(٢) في (أ)، (ب): وكفى.

(٣) سقط من (ج): محمد بن يحيى عليه السلام.

(٤) أخرجه الإمام زيد في المسند /٢٠١.

(٥) أخرجه الإمام زيد بن علي في المسند /٢٠٢، وفي أمالي أحمد بن عيسى [رأب الصدع ٥١٩/١ (٨٥٦)].

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ذلك واجب على الناس أن يرسلوا إليه بأعشارهم وأخماسهم، لأن الله سبحانه قد فرض ذلك عليهم، وأمره بقبضه منهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣].

وقلت: إن وجه الرجل بها مع رسول الإمام فذهبت هل يغرم ؟

واعلم - هداك الله - أنه لا يجب عليه غرامة، لأنه قد سلمها [1] إلى رسول صاحبها المأمور بقبضها.

وكذلك أيضا إن جعل الإمام لأهل البلد أن يوجهوا بها إليه مع رسل ثقات، فأرسلوا بها مع ثقة كما أمرهم، فذهبت في الطريق فلا شيء عليهم، لأنهم قد نفذوها على ما أمرهم به فيها، وإذا خرج بها إنسان بغير أمر الإمام، فذهبت منه في الطريق، فهو ضامن لها أبدا حتى يوصلها إلى صاحبها، لأن الضمان لازم له إذا خرج بها بغير مشورة ولا رأي ولا إطلاق بذلك، فهي في رقبته حتى يسلمها.

٢٠٢- وسألت عن رجل اشترى من رجل ما يجب عليه فيه الخمس، وقد علم أن البائع لم يخرج خمسه، فقلت: هل يجب عليه هو أن يخرج الخمس ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يجب على المشتري إذا علم أن البائع قد غل، ولم يود الأمانة المفروضة عليه، أن يخرج خمس ما اشتراه.

وقلت: إن تاب البائع هل يجب عليه للمشتري ثمن ما أخرج ؟

وذلك واجب عليه لازم له، وقد قيل في ذلك: إن الخمس إنما هو على الغانم لا على المشتري، ليس على المشتري أن يخرج خمساً [2]. وليس هذا عندي بقول، بل

---

(١) في (ج): سلمه.

(٢) عن الحارث بن أبي الحارث الأزدي أن أباه كان أعلم الناس بمعدن، وأنه أتى رجلاً قد استخرج معدنا فاشتراه منه بمائة شاة متبع، فأتى أمه فأخبرها، فقالت يا بني إن المائة ثلاثمائة، أمهاتها مائة، وأولادها مائة، وكفائها مائة، فارجع إلى صاحبها فاستقله، فرجع إليه فقال: ضع عني خمس عشرة، فأبى ذلك، قال: فأخذه، فأذابه فاستخرج منه ثمن ألف شاة، فقال له البائع: رد البيع، فقال: لا أفعل، فقال: لأتين علياً فلأشِيَنَّ بك،

أرى لمـــن عرف الحق أن يتخلص مما غله ذلك الظالم، ويخرجه من يديه، فإن ذلك أقرب إلى الصواب، وأبعد من الباطل والارتياب.

مـــثل ذلك: مثل رجل [١] باع سلعة كانت بينه وبين رجل، فاغتصب شريكه حقه الذي كان معه فيها، وقد علم المشتري وأيقن بسهم المغصوب الذي اشتراه من هذا الغاصب، فعلى المشتري له إن كان مؤمنا أن يرد إلى المغصوب سهمه، لأنه اشتراه ممن لا يملكه، وقد أيقن بذلك عند شرائه، وتقرر ظلمه في قلبه، فلا يجوز [٢] لنفسه ولا يسوغها أخذ حرام قد علمه وأيقن به، وله على البائع قيمة هذا السهم إذا قدر علـــيه ووجـــد حاكمـــاً يحكم له به، لأنه باعه ما لا يملك ظلما وعداونا، وجهلا وعصيانا.

٢٠٣-وســألت عـــن قـــول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة:٩٦].

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: هما كما ذكر عز وجل لن يستويا عند الله تبارك وتعالى في منزلة، ولا يحلان لديه في درجة، لأن الخبيث وإن كثر وغزر حرام، كثير الآثام، وعقوبته والمجازاة فيه [٣] الخزي الطويل، والويل والعويل، في العذاب الأليم، الدائـــم المقـــيم، فعاقبته وخيمة، وآثامه جمة، وليس فيه لأحد منفعة، بل هو عليه وبال، ومضرة في جميع الأحوال.

فقـــال: إن أبـــا الحارث أصاب معدناً، أتاه علي فقال: أين الركاز الذي أصبت؟ فقال: ما أصبت ركازاً إنما أصـــابه هذا، فاشتريته منه بمائة شاة متبع، فقال له علي: ما أرى الخمس إلا عليك. قال: فخمس المائة شاة. الأمـــوال /٤٣١، والمغني ٢٩/٣، والمحلى ١١٠/٦، وكنز العمال برقم (١٦٩١٨). موسوعة فقه الإمام علي عليه السلام /٣٠٧ – ٣٠٨.

(١) في (أ)، (ب): ظالم.

(٢) في (أ): ولا. وفي (ب): يجيز.

(٣) في (ب): عقوبته والمجازاة عليه. وفي (أ): وعقوبته المجازاة.

والطيب فزكي، مطهر مرضي، يثاب عليه بأكرم الثواب، مقبول عند الله في كل الأسباب [(١)]، وقد يكون الطيب ، من المكاسب الحلال، البعيدة من الحرام، السالمة من الآثام، وقد يكون الطيب ، [(٢)] من المؤمنين أهل البصائر والدين، والمعرفة واليقين، فقد سماهم الله سبحانه طيبين، فقال: ﴿ ٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النور:٢٦]. فكل هذا يسمى: طيباً، إذ هو من النحس بعيد [(٣)]، وعند الله سبحانه مكرم قريب.

وقد يكون الخبيث من مكاسب الدنيا وجمائع الكفرة، وزهاها [(٤)] وكثرة زينتها، وكبرها في أعين أبناء الدنيا، وعظمها في صدورهم، لما يرون من العدد والتملك [(٥)]، فتهواهم قلوبهم، وتأمقهم [(٦)] أنفسهم، فيزدرون [(٧)] عند ذلك جمائع المؤمنين، لقلة عددهم، وخمول الدنيا وزينتها لديهم، فلا ينظرون إليهم من الإعجاب بما ينظرون به أبناء الدنيا، فمدح الله الطيب من كل شيء، وعاب الخبيث. ثم قال: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾، فهو غير زكي، ولا نامي رضي، فذمه الله سبحانه و لم يحمده، فهذا معنى الآية، والله ولي العون والتوفيق.

وفي أهل الكفر والعصيان، ما يقول ذو المنة والإحسان: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢١]. فقال ولا تنكحوهن ولو أعجبكم حسنهن، ثم قال ولا

---

(١) في (ج): الأشياء. مصحفة.

(٢) سقط من (أ)، (ج): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (ج): من النحس بعيد.

(٤) سقط من (ج): وزهاها.

(٥) في (ج): والتمليك.

(٦) في (ج): وتهواهم.

(٧) في (ب)، (ج): فيزدروا.

تــنكحوهم يعني الرجال، ولو أعجبكم كثرة أموالهم، وشرف أصولهم، لأنهم عند الله مذمومون، ولديه من الهالكين.

٢٠٤-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة:١٠٥] ؟

قــال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، فهم: المؤمنون المصدقون بالله، الذين آمنوا نفوسهم من عذاب الله، بما كان من اجتنابهم لمعصيته، واتباعهم لحكمه، فأمنوا بذلك من العقاب، وصاروا به إلى محل الخلد والثواب.

ثم قال: ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾، يقول عز وجل: أصلحوها بالطاعة لله فاستنقذوها.

ثم قــال: ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾، يــريد سبحانه: أنه لن يضركم[1] ضلال الضالين، ولا تحاسبون بفعل المبطلين، ولا تسألون عن شيء من أعمال المفسدين، وإنما أفعالهم عليهم، وضرهم[2] في رقابهم.

وقد ذكر أن اليهود قالوا للمسلمين: كيف تطمعون بالنجاة، وآباؤكم مشركون، ولســتم بــناجين من فعلهم ؟! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾. وقــال سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾ [الأنعـام:١٦٤، الإسراء:١٥، فاطر:١٧، الزمر:٧]. فأخبر أنه لا يعذب أحدا بجرم أحد، والداً كان أو ولداً.

٢٠٥-وســألت هل يُعَرِّف الله عز وجل الخصمين المتنازعين بقبيح أفعالهما، وما يكون من تظالمهما ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: كذلك الله عز وجل يُوقِف كلا على فعله، ويحاسبه على عمله، وينصف المظلوم من ظالمه.

---

(١) سقط من (أ): من ضل إذا اهتديتم، يريد سبحانه: أنه لن يضركم.

(٢) في (ب): وضرها.

ألا تسمع كيف يقول عز وجل ويخبر عما يتكلم به الظالمون، حين يقولون: ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف:٤٦]. ويقول عز وجل: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

٢٠٦-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم عليه السلام، فقال: كذلك أمر الله لا شريك له، كما قال لكل من آمن، أو حضره الموت فأوصى: أن يشهد على وصيته ذوي عدل من المؤمنين، فإن لم يمكنه من يشهده فأشهد [١] من غيرهم من أمكنه، فإن رتيب بهما وأتهما [٢]، أقسما وحلفا - كما قال الله سبحانه لا شريك له - على شهادتهما لا [٣] يشتريان بشهادتهما ثمنا [٤] ولا يأخذان عليها جعلا.

٢٠٧-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١٠٩] ؟

---

(١) في (أ)، (ب): يمكنهم من يشهد فاشهدوا. مصحفة.

(٢) في (ج): ربب بهما ولهما.

(٣) في (أ)، (ب): ألا.

(٤) في (ج): شيئا.

قال محمد بن يحيى عليها السلام [١]: معنى قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾، فهو: يوم القيامة وهو اليوم الذي قال الله عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]. فيحضر عز وجل أنبياءه وأممهم، ثم يقول سبحانه [٢] لهم عندما يكون من تغيير الأمم وأفعالهم [٣]، خلاف ما أعطوا أنبياءهم من أنفسهم، وأبانوه من علانيتهم، عند كشف سرائرهم، وتوقيفهم على أعمالهم، التي خالفوا فيها ما كان من ظاهرهم، فيقول تبارك وتعالى لأنبيائهم: ما هذا أجبتم، أي ليس هذا الفعل الذي أعاقبهم عليه، وأجزيهم فيه، الذي أعطوكم من أنفسهم، و لم يفوا بما أظهروا لكم من ألسنتهم، بل كانت له أعمال دون ذلك، فيقول الأنبياء صلوات الله عليهم [٤]: سبحانك ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١٠٩]. أرادوا بذلك: أنه لا علم لهم بضمائرهم، ولا ما استجن في قلوبهم، و لم يكن عندهم من العلم إلا ما أظهروا من أنفسهم، ولا يعلمون منهم إلا ما كان يظهر من قولهم، الذي كانوا يبدونه لأنبيائهم، وهو ظاهر الأمور لا باطنها.

ألا ترى كيف يقولون: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾. فهذا دليل على أن الله عز وجل أعلم أنبياءه بما كان في ضمائر من أرسلهم إليهم، إذ سألهم عند [٥] معاقبته لهم مما لا علم لهم به.

وأما ما يقول به من لا علم [١] له أنه سألهم يوم القيامة سبحانه عن مطيعي أممهم فأنكروه و لم يعرفوه، فعلى ما أحضرهم عز وجل شهودا، إذا [٢] كانوا لا يعرفون

---

(١) في (أ)، (ب): رضي الله عنه.

(٢) سقط من (ج): سبحانه.

(٣) في (ج): وفعالهم.

(٤) في (أ): عليهم السلام.

(٥) في (أ): كان من ضمائرهم أن سألهم عند. وما أثبت اجتهاد وتلفيق من الجميع.

مـــن أطاعهم في عصرهم، فهذا ما لا يقول به أحد يميز، وليس القول فيه إلا القول الأول، الذي قلنا.

وقـــد قـــيل في ذلك: عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، في قوله: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ [المـــائدة:١٠٩] ﴿يـــوم يجمع الله الرسل، فـــيقول ماذا أجبتم ﴾. فقال: يقول ماذا أجابكم قومكم ؟ وهذا في بعض مواطن القـــيامة، ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾. من شدة هول المسألة، وهول ذلك الموطن، ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩ ﴾.

ثم رجعـــت إليهم عقولهم، فشهدوا على قومهم أنهم قد بلغوهم الرسالة [٣]. وهذا قول ليس هو عندي بثابت، بل هو مدخول.

---

(١) في (ج): لا معرفة.

(٢) في (أ): إذ.

(٣) أخـــرج ابـــن أبي حاتم، وأبو الشيخ، من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ يوم يجمع الله الرسل فـــيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ﴾ قال: فرقا تذهل عقولهم، ثم يرد الله عقولهم إليهم، فيكونون هم الذين يسألون يقول الله: ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ [الأعراف:٦].

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن في قوله: ﴿ فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ﴾ قال: من هول ذلك اليوم.

وأخـــرج أبو الشيخ، عن زيد بن أسلم قال: يأتي علىالخلق ساعة يذهل فيها عقل كل ذي عقل، ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾.

وأخـــرج الفـــريابي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجـــاهد في قوله: ﴿ يوم يجمع الله لارسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ فيفزعون فيقول: ماذا أجبتم؟ فيقولون: لا علم لنا، فيرد إليهم أفئدتهم فيعلمون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السدي في قوله: ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قـــالوا لا علم لنا ﴾ قال: ذلك أنهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول، فلما سئلوا قالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلا

وكـيف يحزن أولياء الله ورسله المطهرون في ذلك اليوم ؟! والله سبحانه يخبر بأن المؤمنين الذين آمنوا في ذلك اليوم غير محزونين ولا خائفين، وذلك قوله عز وجل: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٣].

فكـيف يحـزن من تتلقاه الملائكة عند خروجه من قبره، تبشره بالرضا من الله عز وجل ؟ والجنة وحسن الثواب، والأمن من أليم العقاب. والقول الأول الذي قلنا به في صدر جوابنا هذا هو أقرب إلى الحق، ، وهو الصواب عندنا، وبالله نستعين على طاعة خالقنا ، (١).

٢٠٨-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة:١١٠]. فقلت: ما معنى روح القدس ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هو الروح المطهر الزكي المكرم، فلما أن أيده الله به (٢) كـان فضلاً منه سبحانه عليه، وتعظيماً لعيسى صلى الله عليه (٣)، وقد قيل: إنه جبريل صلى الله عليه (٤) أيده الله به عز وجل وأعانه به على أهل الكيد له والطلب لتلفه.

وأمـا ما سألت عنه من قوله عز وجل: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ ﴾ [مريم:٢٤]، فقد تقدم تفسيرها إليكم.

٢٠٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة:١١١] ؟

آخر فشهدوا على قومهم. الدر المنثور ٢٢٧/٣.

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) سقط من (ج): الله به.

(٣) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٤) في (ج): إن جبريل. وفي (أ)، (ب): عليه السلام.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ هو: ما أوحى عز وجل إلى عيسى صلى الله عليه [1]، من الأمر لهم والنهي والدعاء إلى الله عـز وجل، فلما كان ذلك إليهم جاز أن يقول: ﴿ أَوْحَيْتُ ﴾، لأن الأمر والنهي كان فيهم ولهم [2].

٢١٠-وسـألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [المائدة:١١٢] ؟

قـال محمـد بـن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم عليه السلام عن هذه المسألة، فقال: معنى ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾، يقولون: هل ذلك مما يجوز طلبنا له؟ والحواريون فلا يشكون ولا ينكرون في أن الله سبحانه [3] يستطيع ويقدر، والشك في هـذا كفـر بالله عز وجل، فهل يتوهم على الحواريين الشك في قدرة الله عز وجل؟!

وقال: ﴿ يَسْتَطِيعُ ﴾ يقرأ بالياء، ولا يقرأ بالتاء.

٢١١-وسـألت عـن قول الله سبحانه: ﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة:١١٥].
فقلت: هل أنزلها عليهم أم لا ؟

قـال محمـد بن يحيى عليه السلام: بل قد أنزلت عليهم، ألا تسمع كيف يقول عز وجل [4] وقوله الحق: ﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾.
ومعـنى قولها [1]: ﴿ عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ [المائدة:١١٤]، ، وإنما سألوا أن تكون لهم المائدة عيدا، فكان ذلك يوم عيد من أعيادهم، فقالوا: ﴿ لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ ،

---

(١) في (أ): عليه السلام.

(٢) في (أ): لهم ومنهم. وفي (ب): لهم وفيهم.

(٣) في (ج): فلا ينكروا ولا يشكوا في أن الله يستطيع. وسقط من (أ): في.

(٤) سقط من (أ): عز وجل.

(٢)، أرادوا جميعهم، والأول منهم فهو تُبُلهم المقدمون، والآخر المؤخر فهو: الأوسط منهم التابع للأول، وهذا موجود في لغة العرب، يقول بلغت الرسالة أولهم وآخرهم، يريد بقوله ذلك أي: جميعهم، ويقول القائل: خرجوا عن آخرهم، يريد بقوله: ذلك أي: جميعهم، فهذا من الكلام (٣) حسن جميل جائز، وقد قيل: إنها لم تنزل عليهم (٤)، وليس ذلك (٥) عندي كذلك، لأن الله سبحانه يقول:﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾. وقوله الحق، ووعده الصدق، تعالى علواً كبيرا.

٢١٢-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم عليه السلام، فقال: هذا تسبيح وإكبار لله جل جلاله (٦) عن أن يقول في ذلك على الله ما كان (٧) وما يكون، يقول: إفك مفترىً مكذوب، لا يصح فيه أبداً قول في

---

(١) في (أ)، (ب): قوله. والضمير في: قولها، عائد على الحواريين.

(٢) سقط سهوا من (ج): ما بين القوسين.

(٣) في (أ)، (ب): عن آخرهم وهذا الكلام.

(٤) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، عن الحسن قال: لما قيل لهم: ﴿ فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها، فلم تنزل عليهم. الدر المنثور ٢٣٧/٣.

(٥) سقط من (ج): ذلك.

(٦) في (أ): له وإكبار لله عز وجل عن. وفي (ب): جلاله عن أن يحويه قول أو يناله، عن.

(٧) في (أ): الله سبحانه على ما كان.

فطــرة، ولا يقوم في سليم من عقل ولا فكرة [١]، فقال صلى الله عليه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة:١١٧]. فأنــبأهم صلى الله عليه [٢] أنه عبد له كما هم كلهم جميعاً لله عز وجل [٣] عبيد، وأخبر الله سبحانه من قوله في ذلك بما لا تنكره النصارى كلها، وإن اختلفت في أديانها، وفرّقتها البلدان في كل مفترق من أوطانها، لمـــا رأوا منه عيانا وأيقنه من غاب عنه منهم إيقانا، من عبادته عليه السلام لله [٤]، واجــتهاده في طاعة الله عز وجل، فكان في [٥] ما عاينوا من مشابهته لهم في الخلقة، دلــيل مــبين على أنه عبد لله، يجري عليه من حكم الله في [٦] أنه عبد لله ما جرى عليهم، بما بان من أثر تدبير الله وصنعه فيه وفيهم.

٢١٣–وسألت عن قول الله سبحانه [٧] في ما يذكر عن إبراهيم صلى الله عليه [٨] حين يقول: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد إبراهيم صلى الله عليه [١] بقوله: ﴿ أَضْلَلْنَ ﴾ [٢]، يعــني: الأصنام التي اعتكف عليها الجهال واتخذوها آلهة من دون الرحمن [٣]،

---

(١) في (أ): عقل سليم ولا فكرة.

(٢) في (أ): عليه السلام.

(٣) سقط من (ج): كلهم جميعا لله عز وجل.

(٤) في (أ): لله سبحانه.

(٥) سقط من (ج): عز وجل. وفي (أ)، (ب): وكان.

(٦) في (أ)، (ب): الله عز وجل أنه.

(٧) في (أ): عز وجل.

(٨) في (أ): عليه السلام.

وجهلـوا في فعـلهم، وتبعوا فعل من مضى من أسلافهم، أهل [٤] الجهل والعمى، والمـيل عن طريق الهدى، ثم قال صلى الله عليه [٥]:﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾. يقول: على ملتي وديني [٦]،﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، أراد بقوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٧] صفة لله سبحانه بالمغفرة والرحمة، والرأفة والمنة، على من آب [٨] إليه راجعاً عن معصيته، تائباً من ذنبه.

ومن سورة الأنعام

٢١٤-وسـألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝ ﴾ [الأنعـام:٦]، فقلـت: ما تأويل القرن، وذكرت أنه يقال عندكم: ثمانون سنة ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: القرن: الخلف الذي يكون بعد الأول الفاني [٩]، فأمـا ما يقال به من ثمانين سنة [١٠] فليس ذلك بشيء، لأنا قد رأينا قوماً يزيدون

---

(١) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٢) في (أ): أضللن كثيرا من الناس.

(٣) في (أ): واتخذت آلهة من دون الرحمن عز وجل.

(٤) في (ج): وتبعوا من مضى من سلفهم. وفي (أ): من أهل.

(٥) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٦) سقط من (ج): يقول على ملتي وديني.

(٧) سقط من (أ)، (ب): أراد بقوله: ﴿ غفور رحيم ﴾.

(٨) في (أ)، (ب): تاب.

(٩) أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي مالك في قوله: ﴿ من قرن ﴾ قال: أمة.

(١٠) أخـرج عبد الرزاق، والفريابي، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن سالم بن أبي الجعد قال: سأل علي بن أبي طالب هلالاً الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة

علـى الثمانين في عصر واحد، ولكن القرن: ما خلف من قد مضى، ويقال: القرن لأنهم غير الأولين، فسبحان الله العظيم [١] رب العالمين، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلفـت في قرن فأنت غريب[٢]

٢١٥-وسألت متى يقسم مال المفقود ؟

قـال محمد بن يحيى عليه السلام: يقسم مال المفقود إذا مضى عليه من السنين ما لا يجـوز أن يـبلغه أحـد من أهل دهره، فإذا مضت السنون التي لا يمكن أن يبلغها المفقود اقتسم ماله.

٢١٦-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ [الأنعام:٢٠] ؟

منها اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة.

وأخرج سعيد بن منصور، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود في قوله: ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ قال: الحقب ثمانون سنة.

وأخرج البزار، عن أبي هريرة رفعه ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ قال: الحقب: ثمانون سنة.

أخـرج هـناد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ قال: الحقب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير مثله.

وأخـرج عبد بن حميد، عن أبي هريرة ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ قال: الحقب ثمانون عاماً، اليوم منها كسدس الدنيا. الدر المنثور ٣٩٥/٨.

(١) سقط من (أ): العظيم.

(٢) البيت لأبي العتاهية، بلفظ:

إذا مضى القرن الذي كنت فيهم

انظر ديوانه.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الذين أُوتوا الكتاب فهم: اليهود والنصارى، وهم يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ويثبتون صفته، ويقفون على صحة أمره، وما أمروا به من طاعته، كما يعرفون أبناءهم، مشروح ذلك في كتبهم، مبين لهم، ولكـــن جحدوا ما عرفوا، وأنكروا ما علموا، فضلوا وخسروا، ذلك هو الخسران المبين.

٢١٧-وســألت عن قول الله سبحانه في سورة الزمر [١]: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر:١٥] [٢]؟

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: صدق الله العظيم [٣]، إن الخاسرين الذين خسروا مـــا ذكر من [٤] أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بتفريطهم [٥] فيما ينجيهم، وتركهم الـــنظر لأنفســـهم في مـــا يحييها، ومن عذاب ربها ينجيها، حتى خسروا أنفسهم، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، ومعنى ﴿ وَأَهْلِيهِمْ ﴾ فهو ما جعله [٦] الله سبحانه لهـــم على الطاعة، من الحوريات والخلد والنعيم، الذي جعله لجميع المخلوقين ثواباً عـــلى طاعـــتهم، فـــلما أن عصوا الله عز وجل وآثروا دنياهم، واختاروا حلاوة فسقهم، خسروا أنفسهم وأهليهم، ثم قال سبحانه [٧]: ﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ

---

(١) سقط من (ج): في سورة الزمر.

(٢) في (ج): أورد الآية هكذا: ﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾.

(٣) في (ج): عز وجل.

(٤) سقط من (أ)، (ب): ما ذكر من.

(٥) في (أ): خسروا بتفريطهم.

(٦) في (ج): معنى. وفي (أ): هو ما جعله.

(٧) سقط من (ج): سبحانه.

ٱلْمُبِينُ ﴾. تأكيداً في الخسران [(١)]، وتقريعاً على التقصير، لأنه خسران لا يجتبر، إذ كل خسران في الدنيا يستلحق ويدرك ويستعاض، إلا من خسر بتقصيره نفسه، فأوردها جهنم وترك ما أعد الله عز وجل على طاعته، مما ذكر سبحانه للمطيعين من الجنان، والرضى والرضوان، والحور الحسان، وذلك الفوز العظيم، والمحل الكريم، ولمثل ذلك فليعمل العاملون، وله فليقصد [(٢)] الطالبون.

وقلت: إنه يقال: ما من مؤمن [(٣)] ولا كافر إلا وله مترله في الجنة ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أما الكافر فليس له مترلة ولا [(٤)] كرامة، ولا مرتبة عند الله سبحانه ولا سلامة، والله سبحانه [(٥)] فإنما خلق الخلق جميعاً ليعبدوه، فقال جل ذكره: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]. فجعل الجنة للمطيعين، والعقاب للعاصين، ولو قبلوا ما تُعُبِّدوا به كما قبله [(٦)] المؤمنون لكانوا من المثابين، وعند الله عز وجل من المكرمين، بل غلبت عليهم شقوتهم، وتركوا أفضل المنازل لشرارتهم ورداوة أفهامهم، وإنما هلكوا بنفوسهم، ولم تأتهم الهلكة من ربهم، بل أعذر إليهم وأنذر، وأوضح [(٧)] وبيّن، وكلف وسهل وبذل المغفرة وأمهل، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢].

---

(١) في (ج): الخسران المبين.

(٢) في (ج): فيقصد.

(٣) في (ج): وقلت: إنه صلى الله عليه قال: ليس من مؤمن.

(٤) في (أ)، (ب): فلا شيء له، ولا.

(٥) في (ج): عز وجل.

(٦) في (ج): قبلوا.

(٧) سقط من (ج): وأوضح.

٢١٨-وســألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٢٢]. فقلت: ما معنى مسألة الله عز وجل لهم ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام [١]: معنى قوله عز وجل: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾: تبكيــت لهم وتقريع وإذلال، عندما تنقطع بهم الأسباب، ويعاينوا ما كذبوا به من أليم العذاب، لأنهم كانوا يساوون الله عز وجل بخلقه، ويعبدون الأصنام، ويوقدون النيران، ويرون ذلك عندهم حسناً جائزاً.

ومن الشركاء أيضا: طاعة الجبارين الظلمة المتمردين، فيشركونهم [٢] ويجعلون لهم من الطاعة ما لله عز وجل، فيبتغون [٣] منهم الرضا، ويتبعون في ذلك الغي والهوى، ويــتركون عياناً رشدهم، مصدقون لهم في كفرهم، مستمعون من كلامهم، حتى ضــلوا وهلكــوا، وعن سبيل الحق يقيناً عدلوا، فأصحبوا من المعذبين، وعند الله ســبحانه من الهالكين. ألا تسمع كيف يقولون [٤]: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، ويقولون [٥] عندما يرون العذاب: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب:٦٧]. وقالوا ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت:٢٩]. فكـــل ذلك ندمٌ وأسفٌ على ما فاتهم من التعلق بـــالحق، والمـــيل عن طريق الصدق، بغرور [٦] ما كانوا يعبدون، وخديعة ما كانوا

(١) في (أ): رضي الله عنه.

(٢) في (ج): فيشركونهم لهم.

(٣) في (أ): ويبتغون.

(٤) في (أ)، (ب): ما يقول سبحانه.

(٥) في (أ): فيقولون.

(٦) في (ج): طرق الغرور. وفي المخطوطات: في طريق. وما أثبت اجتهاد.

يطيعون، وأما قولهم: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٢٣]، فإنما ذلك كذب منهم وكلام عند معاينة العذاب، يرجون به ما لا ينالون جهلا منهم وإيقانا بالعقاب [1]، وتقطعاً من الأسباب، لقبيح ما عاينوا [2] في الآخرة من المآب، جهنم يصلونها فبئس المهاد.

٢١٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ [الأنعام:٣٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام [3]: هذا تسهيل من الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه لما علم من غمه بإعراض الخلق عن الله، ومعصيتهم له، ومخالفتهم لحكمه، فلما كبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه، وعظم عنده إعراضهم عن الله، واشتد عليه ما يرى من شرارهم، قال الله سبحانه: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. والنفق فهو: محتفر [4] في الأرض، ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾، يقول: أو ترقا [5] في السماء فتأتيهم بآية، وهذا غاية الاجتهاد، الذهاب في الأرض والسماء، فقال سبحانه [6]: إنك قد جئتهم من الآيات والعلامات، والحجج الواضحات الباهرات، بما في أقل منه يؤمن [7] من كان له قلب أو معرفة، ولم يترك غاية في حرص ونصيحة، واجتهاد وموعظة، فما تريد أن تعمل لهم بعد

(١) في (أ): بالعذاب. وسقط سهوا من (ب): يرجون به ما لا ينالون جهلا منهم وإيقاناً بالعقاب.

(٢) في (أ): لقبيح. وفي (ج): ما عاينوه.

(٣) في (أ)، (ب): رضي الله عنه.

(٤) في (أ): المتحفر.

(٥) في (أ)، (ب): ترقا.

(٦) سقط من (أ): سبحانه.

(٧) في (ج): يوقن.

ذلك؟! أتذهب [1] في الأرض أو في السماء؟! ولن [2] تقدر على ذلك، ليس عليك من الأمر إلا ما قد فعلت، ألا تسمع كيف يقول مشركوا قريش: ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ [الإسراء:٩٣]. فذكروا أنه لو رقى في السماء لن يؤمنوا [3] لشدة كفرهم، وعظيم عنادهم.

٢٢٠-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام:٣٨] ؟

وقد تقدم تفسيرها إليكم في مسائلكم الأولى، والله سبحانه باعث جميع خلقه، كما ذكر في كتابه.

وقلت: هل في الجنة خيل وإبل ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه [4]: إن يكن لأهل الجنة فيها طربة وشهوة [5]، فسيجعلها الله لهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف:٧١]. فكلما أحبوا أحضر لهم [6]، أو وقع في نفوسهم [7] تصور من ساعته لهم على قدر مرادهم، كرامة منه سبحانه لهم، وجزاء على فعلهم، فهذه المنزلة العظيمة، والدار الكريمة، التي يرغب فيها مَن عقل، وينافس فيها مَن فهم، نسأل الله حسن الاستعداد ليوم الحساب، فإنما نحن له وبه.

وقلت: هل في النار عقارب وحيات ؟

---

(١) في (ج): يريد أن يعمل لهم بعد ذلك؟ النهب.

(٢) في (ب): وليس.

(٣) في (أ)، (ب): لم يؤمنوا به.

(٤) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى رضي الله عنه.

(٥) في (أ): طرب وشهوة.

(٦) في (أ): أحضره الله لهم.

(٧) في (ج): ووقع في أنفسهم.

وقـــد قـــيل بذلـــك (١)، وروي: أن الله سبحانه (٢) يجعلها عذاباً لأهل النار، وغير مســـتنكر أن يجعل الله ذلك لهم، لأن في النار ما هو أشد منها عذاباً وأشد تنكيلا، مـــن سلاســـلها وأغلالها ومقامعها، وانطباق لهبها على من صار إليها، وفي ذلك عقـــاب ألـــيم، وعذاب عظيم، فشرابهم الحميم، وطعامهم الزقوم، لا (٣) يشبع ولا يغـــني مـــن جـــوع، في الـــذل الهوان، والذلة (٤) والصغار، يدعون فلا يجابون، ويســـترحمون فـــلا يـــرحمون، ويستقيلون فلا يقالون، قد تقطعت بهم الأسباب، وصـــاروا إلى شر محل ومآب الجمر يفترشون، واللهب يلتحفون، وبألوان العذاب

---

(١) عن عبد الله بن الحارث بن حزء الزبيدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة. رواه أحمد، والطبراني، من طريق ابن لهيعة عـــن دراج عـــنه. ورواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم من طريق عمرو بن الحارث، عن دراج عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وعن يزيد بن شجرة قال: إن لجهنم لجبابا، في كل جب ساحلا كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي، وعقـــارب كالـــبغال الـــدلم، فإذا سأل أهل النار التخفيف، قيل: اخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشـــفاههم وجـــنوبهم، وما شاء الله من ذلك فتكشطها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران، ويسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم فيقال: يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين. رواه ابن أبي الدنيا.

وعـــن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ زدناهم عذابا فوق العذاب ﴾، قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال. رواه أبو يعلى، والحاكم موقوفا، وقال: صحيح على شرط الشيخين. الترغيب والترهيب ٤/ ٤٧٦.

(٢) سقط من (ج): سبحانه.

(٣) في (ج): ولا.

(٤) في المخطوطات: القلة. وصوب في (أ): بما أثبت.

يعذبـــون، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء:٥٦].

قد علت أنفاسهم، واشتدت زفراهم، ونضحت جلودهم، واسودت وجوههم، في الكربات دآئبون، وفي الخزي مقيمون، ولهول البلاء هم كالحون، قد أبسلوا بحسرة نفوســهم [١]، وأيقنوا بالخلود في عذاب ربهم، فعظمت الحسرة، واشتدت النقمة، وزاحت عنهم النعمة، فلا يرون أبداً راحة، ولا يذوقون في عذابها [٢] فترة، أدمغتهم في رؤوســهم تغلي، والصديد من [٣] أبدانهم يجري، لباسهم القطران، تلهبه عليهم الــنيران، مقــرنون في الأصفاد، معذبون بأنواع العذاب، ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطـر:٣٦]، لا يسـتريحون ســاعة فيســلون، ولا يجــدون نعمة فيلهون، ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ﴾ [المعارج:١١-١٥].

أكســبهم ذلــك شهوات غفلتهم، وتضييع العمل في أيام مهلتهم، والتكذيب بما أوعــد بــه ربهم، والطاعة للمتمردين الظلمة من أهل د هرهم، آثروا أياماً تفنى [٤] وتــزول، ودنــيا متغيرة تحول، فصاروا في ذلك إلى طول البلاء، ومقاساة الشقاء، الذي لا انقطاع له ولا فناء، أولئك الذين خسروا أنفسهم، وأخذوا بذنوبهم، حيث ﴿ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

---

(١) في (ج): أنفسهم.

(٢) في (ج): عذابهم.

(٣) في (ج): الصدود. مصحفة. وفي (أ): والصديد في.

(٤) سقط من (ج): تفنى.

٢٢١-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام:٤٢] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام [١]: الأمم الذين كانوا قبله [٢] عليه السلام، فهو مثل من [٣] كان من أمة إبراهيم، وأمة إسماعيل، وأمة موسى وأمة [٤] عيسى، ومن كان مثلهم من الأمم الخالية، الذين أرسل الله سبحانه إليهم رسله، معذرين ومنذرين، ومعلمين [٥] من الجهالة، ومنقذين من الهلكة، فلما كانت منهم القسوة والصدود، والميل عن الحق والعنود [٦]، أخذهم الله عز وجل بالبأساء والضراء، والبأساء فهو: ما كان [٧] من عقابه وانتقامه من أعدائه، وما كان [٨] يحل بهم من خسف وقذف بالحجارة، وقتل بالسيف، ومسخ وإهلاك، فكان هذا من البأساء [٩] ومثله كثير.

والضراء فهو: من جنس البأساء، ومن الضراء أيضاً: نقص الأموال والأنفس والثمرات، والجوع والحشرات، فكل ذلك ليرجعوا إلى الله عز وجل ورسله عليهم السلام، ويصدقوا بالحق ويؤمنوا به، فمنهم من يؤمن فيحكم له بالنجاة، ومنهم من

---

(١) في (أ)، (ب): رضي الله عنه.

(٢) في (أ): فيه. مصحفة.

(٣) في (أ): ما.

(٤) سقط من (أ): وأمة.

(٥) في (ج): والمعلمين.

(٦) في (أ): عن الحق والميل والعنود.

(٧) في (أ): يكون.

(٨) سقط من (أ)، (ب): كان.

(٩) في (ج): البأساء والضراء.

يستعصم [1] في كفره ويدوم على شرته، فيترل به البلاء، وتتراصف عليه النقم، فيكون ذلك عبرة لمن بعدهم، وإهانة وتخويفاً لهم، وردعا للمتخلف، ومانعاً من الزيغ والتكلف، فيكون [2] في ما نبههم الله به، وعرف به مسئهم [3] نعمة وفلاحاً، وسلامة وصلاحاً [4]، وما ربك بظلام للعبيد.

٢٢٢-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝ ﴾ [الإسراء:٣١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل نهيهم عن قتل أولادهم، (ومنعا لهم عن الظلم والتعدي عليهم، وذلك أن الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم) خشية إملاق [5]، والإملاق فهو: الفقر.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ ﴾ [التكوير:٨-٩]. وذلك أنهم كانوا يئدون [6] أولادهم، والوأد فهو: الدفن، فكان أحدهم إذا ولد له ولد [7]، وليس له مال، خشي عليه الفقر، فوأد [8] ولده، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ

---

(١) في (أ): يستعظم.

(٢) في (ج): فيكونون.

(٣) في (أ)، (ب): مشيتهم. وفي (ج): مستهم. وما أثبت اجتهاد.

(٤) في (أ)، (ج): وفلاح وسلامة وصلاح.

(٥) في (ج): الإملاق. وسقط من (ج): ما بين القوسين.

(٦) سقط من (أ)، (ب): كانوا.

(٧) في (أ)، (ب): إبنة ... عليها الفقر.

(٨) في (أ): فاد. وفي (ب)، (ج): فاود. وما أثبت اجتهاد.

نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾. فأخبرهم سبحانه أنه الرازق لهم ولأولادهم، ونهاهم عن قتلهم.

ثم قال: ﴿ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرًا ۝ ﴾. يقول: خطأ، وفعلا عظيما، أنتم به مأثومون، وعليه معاقبون.

٢٢٣-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ ﴾ [الأنعام:٤٣]. فقلت: هل كان ينفعهم التضرع، إذ [١] رأوا البأس ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لو لا أن الله سبحانه قد علم أن تضرعهم ينفعهم، ما قال: ﴿ تَضَرَّعُواْ ﴾، فأعلمهم بقسوة قلوبهم، ولو تضرعوا وتابوا لقبل توبتهم، ورفع العذاب عنهم، ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ فلم يتضرعوا، ولا إلى الله سبحانه من ذنوبهم رجعوا، بل مضوا في خطاياهم، وأصروا على كفرهم، حتى أنزل الله سبحانه العذاب بهم، فكان [٢] ذلك من تزيين الشيطان، فاستحقوا من الله عز وجل الخذلان، وقد نفع قوم يونس التضرع، حين أقبل العذاب وعاينوه، فأخلصوا [٣] عند ذلك لله عز وجل [٤]، قلوبهم، وعلم [٥] صحة التوبة منهم فدفعه [٦] عنهم.

٢٢٤-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝ ﴾ [السجدة:٢٩] ؟

---

(١) في (أ)، (ب): إذا.

(٢) في (أ): وكان.

(٣) في (ج): وأخلصوا.

(٤) سقط من (أ): لله عز وجل.

(٥) في (أ): وعلم الله سبحانه.

(٦) في (أ): فرفعه.

قال محمد بن يحيى عليهما السلام [1]: كذلك حكم الله عز وجل في أعدائه، إذا جاء يوم الفتح عليهم، والنصر منه فيهم، فلم ينفعهم عند العلو منه [2] عليهم توبة، ولم يقالوا زلة.

ألا تسمع كيف يذكر الله سبحانه عنهم في ما كانوا يقولون إذا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه بفتح: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [السجدة:٢٨]، يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه [3] وللمؤمنين استبطاء منهم، وتكذيبا به، فأخبرهم عز وجل أن يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم عند الظهور عليهم، وهو فتح مكة الذي وعد الله به نبيه صلى الله عليه [4].

وقد قيل في ذلك [5]: إن يوم الفتح هو يوم إهلاك [6] الله لهم، وإنزاله الموت بهم [7].

وقيل أيضا [8]: إنه يوم القيامة [1]، والقول الأول أصوب وأصح [2]، لأنه إنما تقبل التوبة من قبل المقدرة.

---

(١) في (أ)، (ب): رضي الله عنهما.

(٢) سقط من (ج): منه.

(٣) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٤) في (أ): الله عز وجل نبيه به عليه السلام. أخرج ابن مردويه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾، قال: فتح مكة)). الدر المنثور ٥١٠/٧.

(٥) سقط من (أ)، (ب): في ذلك.

(٦) في (أ): يوم هلاك.

(٧) أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس في قوله: ﴿ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين ﴾ قال: يوم بدر فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم ﴿ ينفع الذين كفروا إيمانهم ﴾ بعد الموت. الدر المنثور ٥٥٧/٦.

(٨) في (أ): وقد قيل.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة:٣٤]. فجعل التوبة لهم من قبل المقدرة، ولم يجعلها عند المقدرة عليهم، بعد رد الحق والصدق عنه، فلما كان السيف قائما والحرب ثابتة، فليس إلا القتل لأعداء الله، فأما إذا وقعوا في الأسر فليس يحل قتلهم، ولا يسع عند الله سبحانه إهلاكهم، إلا أن يقاتلوا وهم مأسورون فتحل بذلك دماؤهم، وفي قتال الظالمين سيرٌ مذكورة، وأخبار صحيحة، فمنهم من يقتل أسيره، ومنهم من لا يَقتل، وكل ذلك بَيِّنٌ عند أهل العلم والفهم، واضح عند من شرح الله صدره، ونوَّر بالحكمة قلبه.

وقلت: إن خرج أهل القرية المحاصرون، مستأمنين إلى الإمام من قبل أن يدخل عليهم قريتهم، ويعلو بالسيف رؤوسهم، فإذا [٣] خرجوا إليه قبل ذلك منهم، ووجب [٤] عليه الأمان لهم، والحقن لدمائهم، لا يجوز له غير ذلك، ولا يسعه عند الله إلا فعله، فإن قتلهم من بعد أن خرجوا إليه من مدينتهم، تائبين مستأمنين، فقد ظلم وتعدى، وخرج من الصواب، وصار من الجهل إلى شر مآب.

وقلت: فإن أعطاهم بعض من معه الأمان، هل يجوز له بعد ذلك قتالهم وقتلهم وأخذ أموالهم ؟

وهذا ما [٥] لا يجوز ولا يحل، ومن فعل ذلك من الأئمة فهو ظالم، لأن المؤمنين كما قال رسول الله صلى الله عليه: « المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم

---

(١) أخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله: ﴿ قل يوم الفتح ﴾ قال: يوم القيامة. الدر المنثور ٥٥٧/٦.

(٢) في (ج): أصح وأصوب.

(٣) في (أ): وإذا.

(٤) في (أ): ذلك وجب. وسقط من (ج): منهم.

(٥) سقط من (أ): ما.

أدنـــاهم »[1]، فإذا أمَّن أهلَ دار الحرب رجلٌ من قواد الإمام، أو من أصحابه فقد حقنـــت دماؤهم، ولا قتل عليهم، فإن قتلهم بعد أمان قائد الإمام، أو أحد[2] من أصحابه قاتل وقد علم بأمانه لهم، قتل من قتلهم، وإن لم يعلم القاتل أنهم أُمِّنوا[3] وجـــب عـــلى الإمام أن يخرج دياتهم، لا يجوز له إلا ذلك ولا يسعه غيره، وسِيَرو الحـــرب دقيق علمها، غامض تفسيرها، لا يخلصها ولا يقوم بها، ولا بما أوجب الله ســـبحانه فـــيها، إلا أهل العلم والمعرفة، والديانة والبصيرة، فيكون يعمل بمعرفة، ويسير على أوضح طريقة، وأبعدها من لبسة.

وقلـــت: إن خدعهم بالأمان بالقول واللسان، وليس له في ذلك اعتقاد، ليخرجوا إليه من الحصار، هل يجوز له سفك دمائهم ؟

وليس يفعل ذلك من الخلق إلا كافر ظالم غاشم، لأن ضمير أهل العدل وكلامهم ســـواء، وإذا قال بلسانه شيئا فلا بد له من إمضائه وتنفيذه على ما تكلم به، لأن الخـــدع والكذب من أفعال الظالمين، المردة الجائرين، وهذا ما لا يجوز فيه التأويل، لأنه إذا قال: لكم الأمان. فهو الأمان، لا نكث له في وقت ولا أوان.

وقلت: إن قتلهم هل يكون ظالما لهم ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن قتلهم من بعد ذلك فقد ظلمهم، وسار بسيرة الباطل فيهم، وحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

---

(١) أخـــرجه البخاري برقم (٦٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٤٣٣)، والترمذي برقم (٢٠٥٣)، والنسائي برقم (٤٦٥٣)، وأبو داود برقم (١٧٣٩)، وأحمد برقم (٥٨١).

(٢) في (ج): وأحد.

(٣) في (أ)، (ج): أومنوا.

ولقـــد سمعـــت أبي الهـــادي عليه السلام، ونحن في الحرب، وقد خرج رجل من أصحابنا [1] فدعا رجلا من العدو وقال له: هلم إلي، فليس عليك بأس.

فـناداه الهـــادي علـــيه السلام، فلما جاءه، قال له ما أردت بالرجل حين دعوته، وقلـــت: لا بأس عليك ؟ قال أردت أن أمكر به. فقال والذي نفسي بيده لو قتلته بعـــد هذا أو مكرت به، لضربت رقبتك، ولألحقتك به، أتغدر به من بعد أن توهمه ألاّ بأس عليه [2] حتى يسترسل إليك ؟

وكان صلوات الله عليه [3] إذا أعطى أمانا قوما محاربين له، زالت الجبال من قبل أن يزول، بل يحفظهم في أموالهم، ويحوطهم في غفلاتهم، ويفيء بذمته لهم.

ولقد رأيته عليه السلام، وقد دخل عليه [4] ظالم يقال له: ابن كبالة، أحد عبيد أهل اليمن، وكان قد استأمن إليه ليغدر به، وصح له ذلك وأيقن به، فلما علم ذلك منه حذره صلوات الله عليه، فأدخله وقد ملأ الدار رجالا، فلما أن قعد ابن كبالة، بين يديـــه عليه السلام أقبل يرتعد وأيقن بأن الهادي عليه السلام قد عرف أمره، وصح له خبره، وأيقن بالقتل وهو قاعد بين يدي الهادي إلى الحق عليه السلام، قد أدخله مـــنفردا من أصحابه، وترك عسكره على الباب، فكتب رجل من قواد الهادي إلى الحـــق علـــيه السلام، رقعة ودفعها إليه يشاوره في قتل العبد، إذا خرج من عنده، فكتـــب صلوات الله عليه، في الرقعة قد صح لي ما هو عليه من الغدر، وأيقنت بما قـــدم فيه كما أيقنتم، ولكن لا أبدأه حتى يبتديني، ولا استحل ذلك في ديني، فإن أحد يده إليه قتلته، ثم أذن للكلب فخرج، فلما أن صار خارجا مع أصحابه، أقبل

---

(١) في (أ): أصحابه.

(٢) في (أ)، (ب): به بعد أن توهمه ألا بأس عليك.

(٣) في (أ): عليه السلام.

(٤) سقط من (أ): عليه.

علينا بالحرب، فكان من الأمر مالا أشك أنه قد بلغكم، وكفى الله شره. فما استحل صلوات الله عليه أن يبتدأه من بعد أن أيقن بغدره.

إن للأئمة عليهم السلام أزمة من الحق تزمهم عن معاصي الله، وتردهم إلى طاعته، لا يستغيرون عن [1] الحق في رضا ولا سخط، ولا خوف ولا أمن، فرحمة الله وصلواته على الهادي إلى الحق ورضوانه ومغفرته، فقد عظمت علينا مصيبته، وجلت لدينا رزيته.

وسألت [2] عن أشياء كثيرة في الحرب بيَّنا لك بعضها، وبعضها أنت عنه مستغن، وإن [3] يظهر الله حقا، فسوف يبدو لك من سنن المحقين، في قتال الظالمين، ما يبين به الحق، ويشهد لصاحبه بالصدق، نسأل الله العون والهداية، بمنه ورأفته. ولكل مسألة جواب، ولو علمنا أن بك فاقة، أو يلزمك إليه حاجة، لأجبناك في مسائلك، غضب من غضب، ورضي من رضي، ولَبيَّنا لك على شرحك، ولكن أنت بمعزل عن ذلك في وقتك هذا، ولم نحب أن نجيبك على كل ما سألت، لعلل وأسباب. نسأل الله التوفيق للصواب، ولكل سيرة ومذهب، والقليل الظاهر يدل على الكثير الغامض، والشقي من أهلك نفسه، بالتقحم في ما لا ينفعه عند ربه، ولا ينقذه منه، فالزم بيتك ومن كان مثلك، ولا تتفرق بكم السبل، فإن الحق أبلج، والباطل لجلج، وما بقي لأحد من شك ولله الحمد [4].

٢٢٥-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً

---

(١) في (ج): من.

(٢) في (أ): وقد سألت.

(٣) في (أ): مستغنٍ فإن.

(٤) في (ج): والحمد لله.

فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام:٤٤]. فقلت: كيف أخذهم بفرحهم بما آتاهم ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لم يأخذهم عز وجل بما تَوَهَّمتَ، ولكن أخذهم سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، بذنوبهم.

الا تسمع كيف قال [1] عز وجل: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾. يقول: لما نسوا ما أمروا به، وبعثت الأنبياء عليهم السلام فيه.

ومعنى ﴿ نَسُواْ ﴾ فإنما هو: تركوا وغفلوا وسهوا، فلما تركوا ما أمرهم الله عز وجل به، وأعرضوا عنه ونسوه، فتح عليهم سبحانه كما قال أبواب كل شيء يحبون، لإقامة الحجة عليهم، فكان ذلك إملاء لهم، وتأخيرا لعقوبتهم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾ [آل عمران:١٧٨]. فكان ذلك إملاء لهم، وما فتح الله سبحانه عليهم أوكد في الحجة، وأشد للأخذ، وآلم للعقوبة، والله سبحانه فلا يخشى فوتا [2] ولا يعجل، وإنما يعجل من يخشى الفوت، أو يضره شيء فيتقيه، والله عز وجل فلا يضره شيء من معصيتهم، ولا تنفعه طاعتهم، بل هم ضارون في ذلك لأنفسهم، فلما أن فرحوا بما أُوتوا وجعلوه في معاصي الله عز وجل، ونسوا ما أمرهم به، أخذهم سبحانه بغتة، وذلك أشد حسرة، يكون الأخذ على الغفلة، فإذا هم مبلسون، فانقطع عنهم اللهو والعبث واليسارة والغناء، وصاروا إلى الآخرة مبلسين، وعند الله عز وجل مهلكين.

والمبلس فهو: الذي ليس له ولا في يده شيء، العادم لما كان معه، الآيس مما كان يؤمله، فدامت [3] حسراتهم، وحصلوا بذنوبهم [1] حيث ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا

---

(١) في (أ): يقول.

(٢) في (ج): فواتا.

(٣) في (ج): قد دامت.

إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

٢٢٦-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:٥١]، فقلت: كيف أمر أن ينذر به الخائف، دون الآخر ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الإنذار فهو: التحذير مما أعد الله عز وجل للعاصين، وحكم به على المخالفين، فقد أمره سبحانه أن ينذر خلقه أجمعين، فلما قبل قوم وأنكر آخرون، قال عز وجل: أنذر به الخائف إذ قد [٢] غلب العاصي، فكان المنتفع به المصدق الخائف لله سبحانه فيه، وذلك موجود في اللغة، إذا وعظ رجل جماعة وفيها [٣] من لا يقبل عظته، قال: أعظ بها من يؤمن بالله سبحانه، يريد: إن لم يستمع [٤] هؤلاء المعرضون، انتفع به من كان من المؤمنين، فلما أن كان المعرضون عن الله، لا يذكرون حشرا، ولا يخافون وعيدا، وكان المؤمنون يخافون الله عز وجل ويخشونه، قال: أنذر به الذين يخشون. لما أن كان أولئك لا يحذرونه ولا يقبلونه، وقد كان إلى جميع الخلق كافة، وقد قال الله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات:٤٢-٤٥]. فقال: ﴿مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾، فأما من لا يخشاها فليس له في إنذاره حيلة لقلة قبوله، ومن لم يقبل الإنذار، فلم ينتفع به، وإذا لم ينتفع به فهو مقيم على غفلته، غير حذر ولا نذر لما ينذر به، فلم تبق التذكرة والتفهيم، إلا لمن قبلها وأخذ بحظه منها.

---

(١) في (ج): بنفوسهم.

(٢) سقط من (أ): قد.

(٣) في (أ): وكان فيها.

(٤) في (ج): يسمعه.

٢٢٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٢] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ لَا تَطْرُدِ ﴾ فهو: لا تبعد ولا تُقْصِ [1]، فكان ذلك من الله تفهيماً لنبيه، وأمراً بحفظهم، ورداً على من سأل طردهم، ومحمد صلى الله عليه فلم يطرد أحدا، وإنما قالت له قريش لما دعاهم إلى الله سبحانه، فقالوا: كيف نؤمن يا محمد وقد سبقنا من ليس له قدر فينا ولا رياسة، من أوساط الناس وأتباعنا ؟! فاطردهم، فإن طردتهم آمنا بك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية تقريعا لهم، وردا عليهم، وأمراً بخلاف قولهم، وشهد الله سبحانه لمن اتبع رسوله بالدين، وإخلاص النيات، فقال: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾. فأخبر أنهم يقصدونه ويطلبون ما عنده، فكان هذا مدحاً لهم، وثناء عليهم، وذماً لغيرهم، ثم أخبر نبيه عليه السلام أنه إن فعل ذلك كان من الظالمين، وهو صلى الله عليه فلم يكن ليفعل ذلك بالمؤمنين، بل كان شفيقاً عليهم، عارفاً بحقوقهم، وكانت مسألتهم هذه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كمسألة أصحاب نوح عليه السلام، حين سألوه طرد من كان معه من المؤمنين، حسدا لهم لما سبقوهم إلى الإيمان بالله عز وجل، فـ ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء:١١١]، والأرذلون في اللغة فهم: الذين لا خطر لهم [2]، ولا قيمة ولا رياسة، سقاط الناس ومن لا ينظر إليه منهم، فسموهم بهذا الاسم، احتقارا لهم، واستخفافاً بهم، وكانوا عند الله أفضل منهم وأعلا درجة، وأعظم مرتبة، فكان من [3] قول نوح صلى الله عليه: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) في المخطوطات: ولا تقصي. والصواب ما أثبت.

(٢) في (ج): والأرذل في اللغة فهو الذي لا خطر له.

(٣) سقط من (أ): من.

إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [هود:٢٩-٣٠].

فسألوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما سأل إخوانهم المبطلون في سالف الدهر نوحاً وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وكذلك أهل الباطل أفعالهم متقاربة، وأمورهم متشابهة، ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة:١١٨]. يعني: الأولين والآخرين فيما يسألون الأنبياء، ويتقحمون به في[1] جميع الأشياء، فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، والضلالة بعد الهدى.

٢٢٨-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٥٣]. فقلت: ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الفتنة هي المحنة، والفتنة تكون من العذاب، وهذه لغة في اليمن، إذا غاظ إنسان إنساناً، قال: فتنني، قال الله سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ ﴾ [العنكبوت:١-٢]. يقول: لا يمتحنون[2]، وقد امتحن الله سبحانه المؤمنين بجهاد الظالمين، وفتن الظالمين بمحاربة المحقين، وعذبهم على ذلك، وأوجب عليهم النكال فيه وبه، ومعنى فَتَنَهم فهو: عذبهم، لأن الفتنة قد تكون من العذاب، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الطارق:١٠]. فقال: ﴿ فَتَنُواْ ﴾، يريد: عذبوا، وقد فسرنا لك في مسائلك الأولى الفتنة على كم هي[3] من الوجوه.

وأما ما سألت عنه من القراءة في قوله سبحانه: ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [الأنعام:٥٥]. فقلت: كيف يقرأ ؟

---

(١) في (أ): من.

(٢) في (أ)، (ب): يمتحنون.

(٣) في (أ)، (ب): كم من الوجوه. وفي (ج): كم هي الوجه. ولفقت النص من الجميع.

وقد مضى إليكم المصحف الذي فيه القراءة الصحيحة، فاعتمد عليه وخذ به، فقد[1] استغنينا عن جوابك فيما سألت عنه من القراءة بما صار إليكم[2]، وفيه الكفاية والجزاء.

٢٢٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾ [الأنعام:٥٩] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الغيب فهو: ما استتر واستجن[3] وغَبِيَ فلم يعلم، وذلك لا[4] يعلمه إلا الله المطلع على السرائر، العالم بالضمائر، فلا يعلم الغيب من الأشياء إلا هو، ولا يعرف منه إلا ما[5] دل عليه وفتحه وبيَّنه لعباده وأخبر به، ومفاتح[6] الشيء فهو: علمه، لأنه لا يوصل إلى ما كان منغلقاً عن الخلق، (إلا بمفتاحه، وإنما هذا مثل ضربه عز وجل لخلقه، وبينه لعباده، بأنهم يعلمون الإغلاق لا يفتحها إلا المفاتيح، فلما أن كان الغيب منغلقا عن الخلق)[7] والله سبحانه العالم، قال[8]:﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾. إذ هو العالم بالمحجوبات، المطلع على السرائر المستورات.

ثم قال: ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝ ﴾ [الأنعام:٥٩].

---

(١) في (أ)، (ب): وقد.

(٢) في (ج): إليك.

(٣) في (ج): واستخفى.

(٤) في (ج): ولا.

(٥) في (أ): لما. وفي (ب): بما.

(٦) في (أ)، (ب): ومفتاح.

(٧) في (ج): فقال.

(٨) سقط سهوا من (ج): ما بين القوسين.

يـــريد بذلـــك [١] عز وجل: أنه العالم به المطلع عليه، وإنما [٢] أخبر سبحانه بعلمه وإحاطـــته بجمـــيع الأشياء، فقال: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ عند ســـقوطها، ولا تغبى عنه عند انحتاتها [٣]، كذلك [٤] الحبة في ظلمات الأرض، فهو مطلـــع على مكانها، عالم بقرارها، ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

والكـــتاب فهـــو: العلم. فسبحان من لا يستتر عنه علم محجوب !! ولا يســـقط عليه دقيق من الأمور [٥]، ولا جليل في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

٢٣٠- وســـألت عـــن قول الله سبحانه: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام:٦١] ؟

وقد مضى إليك جوابها، فلا تعد سؤالا فيما قد نفذ إليك جوابه [٦].

٢٣١-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨].

قـــال محمـــد بن يحيى عليهما السلام: الذين يخوضون في آياته عز وجل فهم: أهل الشرك، وخوضهم فيها فهو: تكذيبهم بها، وطعنهم عليها، واستهزاؤهم فيها وبها،

---

(١) سقط من (أ): بذلك.

(٢) في (أ): فإنما.

(٣) في (ج): ايجادها. مصحفة.

(٤) في (أ): فكذلك. وفي (ب): وكذلك.

(٥) في (ج): الأمر.

(٦) سقط هذا السؤال من: (أ)، (ب).

فأمـــره الله سبحانه ألاّ يقعد معهم، وهذه المخاطبة فلنبيه عليه السلام، وللمؤمنين عامـــة، دلهم الله سبحانه على أفضل الأعمال، وأدبهم بأحسن الآداب، ونهاهم عن القعود مع الخائضين.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

فـــنهاه عز وجل ألاّ يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، ولم يكن صلى الله عليه يغشى حِلَقَهم، ولا يجالسهم، وإنما كانوا يغشونه ويقعدون عنده، فإذا وعظهم وتلا علـيهم مـــا أنزل الله سبحانه إليهم، خاضوا في ما لا يجوز من الأقوال، وتكلموا بالباطل والمحال، فأمره الله سبحانه عند ذلك بالقيام عنهم، والمجانبة لهم، من بعد ما كان من إقامته صلى الله عليه الحجة عليهم [1].

٢٣٢-وســـألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٧٠] ؟

قـــال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا غاية الوعيد من الله عز وجل لمن اتخذ دينه لعـــبا ولهـــوا، كما قال سبحانه [2]: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق:١٧]. فكان هذا وعيداً لهم، وتعريفا بجهلهم.

ثم قـــال عز وجل: ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾. والحياة فهي هذه المهلة، التي جعـــلها الله لكـــل نفس متحركة، فاغتروا بالدنيا، ومالوا إلى الهوى، وتبعوا الجهل والـــردى، وآثـــروا العاجلـــة على ما جعل الله لهم في الآخرة من العطاء، والفوز والجزاء.

---

(١) في (أ)، (ب): إقامته عليهم الحجة.

(٢) في (أ)، (ب): الله سبحانه.

وقوله: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾. يقول: أعذر [١] وانذر من قبل أن تبسل نفس، والإبسال فهي: كلمة عربية، يقول القائل لمن خالف أمره، ولم يقبل نصيحته إذا وقع في البلاء: بسلاً بسلاً.

وهي من طريق التبكيت والتقريع، والخذلان والإفراد، يقول أبسلوا أي: أفردوا.

٢٣٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [الأنعام:٧١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا مثلٌ ضربه الله عز وجل لكل من عَنَدَ عن الحق، وتركه من بعد الدعاء إليه والتبيين له، فكان حاله في جهله وعمائه [٢] عن الحق بعد إذ [٣] عاينه ورآه، كحال المستهوي في الأرض، والمستهوي فهو: المتحير الضال في الأرض، الذاهب عن القصد، المائل عن الصدق، التارك للحق، من بعد أن شرع [٤] له الدين، وأبانه الله لجميع العالمين.

والشيطان فقد يكون من الجن والإنس، وهم المغوون [٥] المفسدون المتحيرون.

٢٣٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: معنى ﴿ ٱلْقَادِرُ ﴾ [٦]، فهو: الله سبحانه القادر على خلقه، الذي لا يعجزه ما طلب، ولا ينجو منه من هرب. ثم قال سبحانه: ﴿

---

(١) في (ج): يقول أي: أعذر.

(٢) في (أ)، (ب): وعماه.

(٣) في (ج): أن.

(٤) في (ب): شرح.

(٥) في (ج): المغرورون.

(٦) في (أ)، (ب): هو القادر.

عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾، فأخبرهم سبحانه أنه [١] إن شاء أنزل عليهم عذاباً من فوقهم ، [٢]، وهو مثل ما كان [٣] يكون من القذف بالحجارة والصواعق، وما يترل الله من النقم بأعدائه، المعرضين عن طاعته، ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾، فهو مثل الخسف وما يترل من متالف الأرض لهم، وذهاب معايشهم، ونقص ثمارهم، وهو سبحانه قادر على ذلك إذا أراد كونه، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره.

ومعنى ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا ﴾، فهو: يذلهم ويخزيهم [٤] ويفرقهم، حتى يصبحوا بعد العز أذلاء، وبعد الجماعة شيعاً، تتفرق [٥] في الأرض، ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ [الأنعام:١٥٩]. يقول: من بعد الاجتماع على الدين، تفرقوا عن ذلك، ومضوا في سبيل غيره، فمال كل [٦] قوم في هوى. والتفرقة لهم والتبديد [٧] شيعاً، فهو من أشد الذل والهوان، والقلة والصغار.

﴿ وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾، فهو بالخذلان لهم والترك من التوفيق، حتى يقع بينهم الشحناء، والبأس والبلاء، فيقتل بعضهم بعضاً، ويقع عند ذلك العداوة

---

(١) سقط من (أ): أنه.

(٢) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (أ)، (ب): كان.

(٤) في (أ): ويخرجهم. مصحفة.

(٥) في (أ)، (ب): أذلة، وبعد الجماعة شيعا يتفرقون. وفي (ج): أو بعد الجماعة.

(٦) في (ج): فما كل. مصحفة.

(٧) في (ج): في التبديد.

والبغضاء، فيكون اجتماعهم على الباطل سبباً لإهلاكهم، وطريقاً إلى تبديدهم [١]، ونكاية من الله لهم، وإزالة لنعمهم، وإذهاباً لعزهم.

٢٣٥–وسـألت عن قول إبراهيم عليه السلام [٢] لأبيه آزر. فقلت: ما معنى هذا الاسم ؟

وقـد يقال: إن اسم أبيه كان آزر، فدعاه باسمه [٣]، وليس هذا مما تعبَّدك الله، ولا أوجب عليك معرفته، ويقال: إن آزر هو الصنم [٤] الذي كانوا يعبدون [٥].

٢٣٦–وسـألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام:٧٥] ؟

قـال محمـد بن يحيى رضي الله عنه [٦]: الملكوت فهو: ما خلق الله من السماوات والأرض ومن فيهن، وما أظهر [٧] في ذلك من قدرته وملكه، سبحانه لجميع خلقه،

---

(١) في (أ)، (ب): تبدوهم.

(٢) سقط من (أ)، (ب): عليه السلام.

(٣) أخرج أبو الشيخ، عن الضحاك في الآية قال: آزر أبو إبراهيم. الدر المنثور ٣/٣٠٠.

(٤) أخـرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد قال: آزر لم يكن بأبيه ولكنه اسم صنم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي قال: اسم أبيه تارح، واسم الصنم آزر.

وأخـرج ابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ قال: ليس آزر بأبيه ولكن ﴿ إذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ وهن الآلهة، وهذا من تقدم القرآن، إنما هو إبراهيم بن تورح. الدر المنثور ٣/٣٠٠.

(٥) في (أ): يعبدونه.

(٦) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى رضي الله عنه.

(٧) في (ج): ظهر.

لا يمتنع عليه ، شيء من مفطوراتها، ولا يحجب عنه ، [١] شيء من محجوبات سرائرها، فأرى إبراهيم عليه السلام قدرته وسلطانه، كما قال: ﴿ لِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ ﴾.

ومعنى آراه فهو: عرَّفه وهداه، فكان ذلك [٢] تكرمة له وتثبيتاً [٣] وتعريفاً، مثل ما كان أراه من الطير الذي أمره بأصرها، عند مسألته لله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، وغير ذلك مما أطلعه عليه سبحانه، فأراه الله عز وجل [٤] من قدرته التي قامت بها الدنيا، وما فيها من جميع الأشياء، ما بهره وزاد [٥] في تثبيته وعظم به شكره، وعلم بذلك منزلته عند الله سبحانه وكرامته، وقد كان بالله عارفاً، وله مجلاً، ولأمره مقدماً، ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [يس:٨٣]. فأخبر أن ملكوت كل شيء في يده وملكه، سبحانه وتعالى عما يقول به المبطلون، وأهل الزيغ الظلمة الحائرون، والكفرة الملحدون، عز وجل ربنا وتعالى عما يقولون علوا كبيرا [٦].

٢٣٧-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ ﴾ [الأنعام:٧٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: سألت أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه عن هذه الآية، فقال: معنى ﴿ جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ فهو: غشيه وأجنه، وركبه وأظله،

---

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) سقط من (أ)، (ب): ذلك.

(٣) في (أ): وتبيينا.

(٤) في (أ)، (ب): فأراه سبحانه.

(٥) في (ج): وزاده.

(٦) في (أ): الظلمة الملحدون، الكفرة الحائرون. وسقط من (أ)، (ب): علوا كبيرا.

ومعنى ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ فهو [١] توبيخ وتقريع لعبدة النجوم على غلطهم، وكفرهم في عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم، فقال: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾. يريد: أي هذا [٢] ربي الذي تزعمون أنه لي ولكم رب؟! وتدعونني إلى عبادته من دون إلهي وخالقي ؟!! وهو زائل، ذاهب غافل [٣]، هذا ما لا يكون [٤] لي رباً ولا يجوز أن يدعا خالقاً، وكذلك قوله في الشمس والقمر على هذا المعنى الذي قاله في النجم، يريد بذلك كله: التوقيف لهم على خطأ فعلهم [٥]، والشرك بربهم، ألا ترى كيف قد تبرأ [٦] من أعمالهم في عبادة النجوم والشمس والقمر، حين يقول: ﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام:٧٨]. من بعد التقريع لهم والتوقيف.

٢٣٨-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنعام:٨١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الفريقان فهما: فريق الحق وفريق الباطل، ألا تسمع كيف يقول عز وجل في أول المخاطبة، ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ [الأنعام:٨١]، يقول صلى الله عليه: إن الذي معكم وما تعبدون من هذه النجوم والشمس والقمر والأصنام أشياء لم يترل الله بها [٧] سلطاناً، يعني: حكما ولا أمراً

---

(١) سقط من (أ): فهو.

(٢) في (أ): أهذا.

(٣) في (ج): غافل ذاهب.

(٤) في (أ)، (ب): هذا لا يكون.

(٥) في (أ): أفعالهم.

(٦) في (ج): بيّن. مصحفة.

(٧) سقط من (ج): بها.

ولا وحـــياً، وإنما ذلك ابتداع منكم وعمى وكفر، واتباع هوى، فكان صلى الله عليه على بينة وبرهان من الله عز وجل.

والفريق الذي هو حقيق [١] بالأمن فهو: إبراهيم صلى الله عليه ومن تبعه، الماضون عــلى بصـــيرة، المتبعون لحكم الله، الصادون عن الهوى، التاركون لما ضل فيه أهل الجهل والفتنة الأشقياء.

فكـــان هـــو صلى الله عليه [٢] أحق بالسلامة، وأولى بالجنة والكرامة، إذ هو على المحجـــة، ومن أمره على بصيرة وبينة. فكان حقيقا من الله بالثواب، وحسن الموئل والمآب [٣].

ثم قـــال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢].
فدل على الفريق بعينه، ونسبه [٤] بمذهبه ونعته.

فقـــال: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾. يقـــول: لم يدخلوا فيه فسادا، ولم يلبســـوا فيه ظلما، ولا بعد اليقين والمعرفة شكا، فكانت هذه حجة على المشركين لإبراهيم الخليل عليه السلام، آتاه الله سبحانه [٥] إياها، وفهّمه الاحتجاج بها صلى الله عليه ورحم وكرّم [٦]، ولقد آتاه الله من الحجج على قومه ما فلجهم بها، وقطع حججهم عندها، مثل ما رأوا من الآيات والعلامات، ومثل مخاطبته للكافر الجاحد، المتمرد المعاند، حين قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

---

(١) في (أ): الذي أحق.

(٢) في (أ)، (ب): فكان عليه السلام.

(٣) في (ج): المقبول والمآل.

(٤) في (ج): ولبسه. مصفحة.

(٥) سقط من (ج): عليه السلام، سبحانه.

(٦) في (أ)، (ب): بها عليه السلام.

٢٣٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٦]. فقلت: أمن ذرية إبراهيم هؤلاء ؟ أم من [١] ذرية نوح ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هم من ذرية إبراهيم صلى الله عليه [٢].

وقوله: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الأنعام:٨٨].

فإخبار منه عز وجل بأنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، ولم يكونوا ليشركوا صلى الله عليهم، وإنما قال: ﴿ لَوْ ﴾، ولم يقل: فعلوا، فأخبر سبحانه عن فعله فيهم على محلهم عنده، وكرامته لهم، أنهم لو زالوا عن الحق ما قبل منهم، ولأحبط أعمالهم، فإذا كان ذلك حكمه سبحانه فيهم، لو كان منهم ما ذكر عز وجل ولن يكون، فكيف بغيرهم [٣] إذا ظلم وتعدى، وتقحم في المهالك والردى، وصد عن الحق [٤] والهدى؟! وفي هذا إبطال لقول المزخرفين لأنفسهم الأباطيل، الذين مالت بهم الدنيا، واتبعوا الغي والهوى، ثم يزعمون بجهلهم ورداوة تمييزهم، أنهم ممن يغفر له خطيئته، ويتجاوز عن [٥] سيئته، بغير توبة ولا رجعة، ولا خروج من [٦] معصية.

---

(١) سقط من (أ): من.

(٢) سقط الجواب من: (أ)، (ب).

(٣) في (ج): فكيف يكون لغيرهم.

(٤) في (أ)، (ب): عن طريق.

(٥) في (أ): عنه.

(٦) في (أ)، (ب): عن.

ثم قالوا بجهلهم، وقلة بصائرهم: إنه لا يدخل النار من أمة محمد صلى الله عليه أحد، وإن ظلم وتعدى!! وأفسد وعصى!! كأن لم يسمعوا ما ذكر الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه [١]، في أول القصص، إذ ذكر الأنبياء عليهم السلام، حين يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]. فإذا كانت الأنبياء في قدرها، وعظم [٢] محلها، لو كان منهم بعض ما قد كان من هؤلاء الظلمة - وحاش لأنبياء الله من الدخول في معصية، أو مخالفة شيء من أمره، لحبطت أعمالهم، فكيف بغيرهم من أهل الجهل والعمى ؟! التابعين للغي والردى ؟! إن هذا لهو [٣] العدل من الله سبحانه في خلقه وعين الإنصاف لبريته، إذ ألحق كلا بذنبه، وجازاه على فعله، وأخذه بعمله.

ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء:١٢٣]. يقول: يكافأ عليه، ويعاقب فيه.

فكان هذا إكذابا لقولهم، وإبطالا لمحال ظنهم، فأوضح سبحانه لهم الحق الذي لا شك يدخله، ولا فساد يلحقه، أنه يجزي كلا بعمله، ويكافيه على فعله، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم:٣١]. فسبحان العدل في حكمه ! المنصف لخلقه ! البري من ظلم عباده !!

٢٤٠-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [الأنعام:٨٩]. فقلت: من هم ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام [٤]: هم قريش ومن تبعهم من أهل الكتاب [١].

يقول: ﴿ إِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا

(١) في (أ): عز وجل.

(٢) في (أ)، (ب): وعظيم.

(٣) في (أ): إذ هذا هو.

(٤) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى عليه السلام.

بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾. يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فأخبر أنهم غير كافرين بها، ولا تاركين لما أمر الله به من فرضها، كما كفر أهل الكتاب وتركوا ما [٢] عرفوه من الحق، ومن هذه الشريعة البينة [٣] النيِّرة الواضحة لمن عقل وأنصف.

ثم قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام:٩٠]. فرجع الخبر إلى إبراهيم عليه السلام، ومن ذكر الله سبحانه من الأنبياء عليهم السلام، فأمره أن يقتدي بفعلهم، ويتبع سبيلهم، ويصبر كصبرهم، إذ هو صلى الله عليه كأحدهم، فكان صلى الله عليه صابرا محتسبا، وفي أمره محتسبا [٤]، حريصا على أمته مشفقا [٥]، وعلى جميع أهل طاعته مقيما لحجج ربه، ناصحا لله سبحانه بجهده، حتى قبضه الله سبحانه حميدا مفقودا، فعليه أفضل الصلاة والترحيم، من ربنا الواحد الكريم.

وقد يخرج تفسير الآية وشرحها أن الموكلين بها هم الأئمة، القائمون على الأمة، المفروضة [٦] طاعتهم، المحكوم من الله عز وجل بولايتهم.

٢٤١-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام:٩١]؟

---

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء ﴾ يعني: أهل مكة، يقول: أن يكفروا بالقرآن ﴿ فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ يعني: أهل المدينة والأنصار.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء ﴾ قال: أهل مكة كفار قريش ﴿ فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾. الدر المنثور ٣١٢/٣.

(٢) في (ج): من.

(٣) سقط من (أ)، (ب): البينة.

(٤) في (ب): وفي الله عز وجل محتسبا. وسقط من: (أ).

(٥) في (أ)، (ب): شفيقا.

(٦) في (أ): المعروفة. مصحفة.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يقول سبحانه: ما قدروا الله حق الحقيقة التي يجب عليهم.

ثم قال: ﴿ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾. وهذا قول من كفرة أهل الكتاب.

وقد قيل: إنه مالك بن الصيف [1]، أحبر الأحبار قالها جحدانا لمحمد صلى الله عليه، وتعلقا بكفره، وصدودا على الحق الذي بان له.

ثم قال عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾. يقول سبحانه فمن أنزل كتاب موسى [2]، إذ كان الله عز وجل لم ينزل على بشر وحيا، وموسى عليه السلام من البشر، فقد جحدتم بقولكم هذا كتاب موسى عليه السلام وأكذبتموه.

ثم قال سبحانه: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾. يقول: تجعلون الكتاب الذي أنزل الله سبحانه والوحي المحكم، كحال القراطيس عندكم، التي تكتبون فيها، فتخفونها مرة وتظهرونها أخرى، وتغيرون فيها وتبدلون، وتزيدون وتنقصون، فجعلتم كتب [3] الله عز وجل في النقصان والزيادة والتبديل،

---

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن عكرمة في قوله: ﴿ إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ قال: نزلت في مالك بن الصيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف، فخاصم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له النبي: ((أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ وكان حبرا سمينا، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه: ويحك ...! ولا على موسى؟ قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ... ﴾ الآية)). الدر المنثور ٣/٣١٤.

(٢) سقط من (ب): موسى.

(٣) في (ب): كتاب.

كنقصانكم في كتبكم وزيادتكم، وتخفون ما كرهتم، وتظهرون ما أحببتم، فذمهم الله في فعلهم ووقفهم على عظيم جرمهم، ثم أخبرهم بما علّمهم من الحق وهداهم إليه، وما كانوا ليعلموا هم ولا آباؤهم، إلا بفضل الله عز وجل وإحسانه إليهم، فكفروا بنعمه، وخالفوا حكمه، فأمر الله سبحانه نبيه عليه وآله السلام عند ذلك أن يقول لهم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام:٩١]. أراد عز وجل بقوله: ﴿ ٱللَّهُ ﴾، أي: هو الذي أنزل الكتب التي جاءت بها الرسل، ثم أمره من بعد إقامة الحجة عليهم أن يذرهم في خوضهم يلعبون. واللعب فهو: اللهو، والعبث والسهو، والاشتغال [١] بالباطل والمحال.

وقد قيل: إن معنى قوله عز وجل: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾. يقول: تظهرون من الصحف التي كتبتموها، ما ليس فيه صفة رسول الله عليه وآله السلام، ووقت مبعثه وصحة نبوته، وتخفون ما كان له فيه صفة، ولنبوته علامة [٢]. والقول الأول أشبه بالحق، والله المعين والموفق. هو حسبنا ونعم الوكيل.

٢٤٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ [الأنعام:٩٣]. فقلت: في من نزلت هذه الآية ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد قيل: إنها نزلت في مسيلمة [٣]، وهي عامة لكل من ادعا وحياً ولم ينزله الله عز وجل إليه من الأولين والآخرين، ومسيلمة فإنما

---

(١) في (ب): في الاشتغال.

(٢) أخرج ابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿ يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ﴾ في يهود فيما أظهروا من التوراة وأخفوا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٣/٣١٥.

(٣) أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ﴾ قال: نزلت في مسيلمة الكذاب ونحوه ممن دعا إلى مثل ما دعا إليه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿ ومن أظلم ... ﴾ الآية. قال: ذكر لنا

كان على عهد أبي بكر، وقد كان من الأولين المردة الكافرين، ممن [1] يدعي النبوة في الإسلام، فقد ادعا النبوة مسيلمة، والأسود الكذاب، والزنديق ابن فضل، الذي هـو الآن باقي لا يوجد على قتاله أنصار، ولا على جهاده أعوان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مصيبة عظمت، ورزية في الإسلام جلّت، فهذه الآية عامة لكل من ادعا الوحي ممن قد سلف من الأولين، ومن تبعهم من الآخرين.

وقوله: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:٩٣]. فإنما هذا نسقٌ يقول: ﴿ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾، فهـو ظالم كافر، محكوم عليه من الله عز وجل بالقتل والقتال، والذل والهوان.

فأمـا مـا قيل به في عبد الله بن سعيد بن أبي سرح [2]، فإنما ذلك منه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قيل: إنه قال: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [1].

أن هذه الآية نزلت في مسيلمة.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿ ومن أظلم ... ﴾ الآية. قال: ذكر لنا أن هذه اية نزلت في مسيلمة.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن عكرمة في قوله: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي علي ولم يوح إليه شيء ﴾ قال: نزلت في مسيلمة فيما كان يسجع ويتكهن به. الدر المنثور ٣/٣١٧.

(١) في (أ): من. وظنن فوقها بـ (ممن).

(٢) كـان قد أسلم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمـنين ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة ...﴾. أملاها عليه فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر...﴾. عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم: هكذا أنزلت علي. فشك عبد الله حينئذ! وقال: لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما

فأمـــا مـــا ذكر من إملاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعـام:٥٤]. فقال: سميع عليم. ومثل ذلك وأشباهه، وقوله: ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمـــنون:١٤، الصافات:١٢٥]، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اكتبها، فهكـــذا نزلت. فهذا كذب منه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يحل

أوحي إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال. وارتد عن الاسلام. فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾[الأنعام/٩٣]. أي: نزل فيه ﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ عندما قال: لقد قلت كما قال.

وقـــيل: كان إذا أملى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿سميعا عليما﴾ كتب ﴿عليما حكيما﴾، أو ﴿عزيز حكيم﴾ كتب ﴿غفور رحيم﴾. وأنا استبعد هذه الرواية الأخيرة، إن لم أقطع بكذبها لأنها تشكك في القرآن الكريم.

ولحق بمكة فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكة، وكان أخا لعثمان من الرضاعة، ففر إلى عثمان فجاء به عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و لم يزل به حتى أمّنه.

القصـــة في الـــدر المنـــثور ٣١٧/٣، وأسباب النزول/١٥٦، والمصابيح للشرفي ٧٠/٤، والكشاف ٣٥/٢، والمعارف لابن قتيبة/٣٠٠ في ترجمة عبد الله.

(١) أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي خلف الأعمى قال: كان ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل الله ﴿ ومن ظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي في قوله: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي و لم يوح غلـــيه شيء ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآلـــه وسلم، فكان إذا أملى عليه ﴿ سميعا عليما ﴾ كتب ﴿ عليما حكيما ﴾ وإذا قال: ﴿ عليما حكيما ﴾ كتب ﴿ سميعا عليما ﴾ فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إلي.

وأخـــرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ابن جريج: ومن قال: ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح. الدر المنثور ٣١٧/٣.

لمسلم القول به، ولا يسمع الكلام فيه، قد برأ الله محمداً من أن يحرف حرفاً واحداً مما أنزل الله سبحانه عليه أو يبدله، ألا تسمع كيف برأه عز وجل [1] من ذلك، ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام:٥٠، يونس:١٥، الأحقاف:٩٥]. وقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس:١٥]. فقال: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾، ولم يكن عليه السلام ليحرف كتاب الله سبحانه، ولا يزيد فيه ولا ينقص منه، وإنما كان يتبع ما أنزل [2] الله سواء سواء، ولو كان يبدل موضع غفور رحيم، سميع عليم، لكان قد بدَّل لهم كما سألوه، ولم ينف الله سبحانه ذلك عنه، ولم يكن عليه السلام بمتكلف ولا مفتر، وإنما كان يتبع الوحي من الله عز وجل فيتلوه كما أنزل عليه سواء سواء، لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما يقول بما ذكرت عن عبد الله بن أبي سرح الذين لا يؤمنون.

وقلت: لأي معنى لم ندخل [3] الأحاديث في أقوالنا ؟

ويمنعنا [4] ندخل من الحديث ما كان باطلاً عندنا، لأنا رأينا في كثير من الأحاديث مخالفة لكتاب الله عز وجل ومضادة له، فلم نلتفت إليها، ولم نحتج بما كان كذلك منها [5]، وكل ما وافق الكتاب وشهد له بالصواب، وصح عندنا، أخذنا به، وما كان أيضا من الحديث مما رواه أسلافنا عن أب فأب عن علي بن أبي طالب عن

---

(١) في (أ): كيف يقول حين براه.

(٢) في (ب): ما نزل.

(٣) في (ب): تدخل.

(٤) في (ب): ولمقنا. مصحفة.

(٥) سقط من (ب): منها.

النبي عليه وآله السلام فنحن نحتج به، ومما كان مما رواه الثقات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلناه وأخذنا به ونفذناه [١]، وما كان خلاف ذلك لم نره صواباً و لم نقل به.

فأما [٢] ما سألت عنه من تفسيرنا الكتاب، فإنما نفسره بتوفيق الله وعونه، لمن خصه الله سبحانه وأعانه على معرفته، فإذا رزق رجل معرفته فسره واستنبطه، واستشهد بعضه على بعض، واستخرج غامضه، بما فضله الله سبحانه به من معرفته، وما كان يخرج من اللغة بيَّنه وفسَّره وشرحه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر:٢٨]. و لم يخاطب الله سبحانه العرب إلا بما تعرف من لغتها، ومنهُ ما يفسر بالرواية عن السلف بالإسناد إلى النبي عليه السلام تلقينا وتعريفاً مع توفيق الله عز وجل وتسديده لمن قصده من أهل طاعته، كما قال سبحانه [٣]: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧].

وفي الحديث الذي ترويه العامة ما لا تقوم له [٤] حجة، ولا تتضح به بينة، ولا يشهد له كتاب ولا سنة، وكل ما قلنا به وأجبنا عليه، فشاهده في كتاب الله عز وجل، وفي السنة المجمع عليها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو حجة من العقل يصدقها الكتاب، فكل ما كان من هذه الطريق فهو أصح مطلوب، وأنور حجة في القلوب، وليس يجوز تفسيره إلا لأهله الذين خصهم الله عز وجل بعلمه، من أهل بيت نبيه عليه وعليهم السلام.

---

(١) في (ب): وأنفذناه.

(٢) في (أ): وأما.

(٣) في (أ): قال سبحانه.

(٤) في (ب): به.

٢٤٣-وسألت عن قول الله سبحانه عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:٩٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا عند خروج أنفسهم، وحضور وفاتهم، ونزول الملائكة لقبض أرواحهم، وبسط أيديهم فهو: نزعهم لأنفس الظالمين وأخذهم لها.

وقوله: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾. وعذاب الهون فهو: الهوان والذل والصغار، بالعذاب الأليم، والخزي الدائم المقيم.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠]. فضربُ الملائكة عليهم السلام لوجوه الظالمين وأدبارهم عند خروج أنفسهم، هو: من أول عقابهم، مع ما يعاينونه [١] من سوء منقلبهم، وقبيح مآلهم.

وكذلك فعل الله عز وجل بالكافرين، ومن عَنَدَ عن أمره من الظالمين، وليس يخرج عبد من الدنيا حتى يرى محله، ويعرف من الآخرة مكانه، بإخبار الملائكة عليهم السلام له عند قبض روحه، وخروج نفسه، فإن كان فاسقا أيقن بالنيران، وبالمصير إلى سوء [٢] دار، مع إتعاب الملائكة عليهم السلام له في إخراج نفسه، وضربها لوجهه وظهره، كما قال الله عز وجل: ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾. وإن [٣] كان مؤمنا تلقته الملائكة بالبشارة والكرامة، وقبضت روحه قبضا رفيقا سهلا، لا متعبا ولا معذبا.

---

(١) في (أ): يعاينوه. وفي (ب): تعاينوه. وما أثبت هو الصواب.

(٢) في (ب): شر.

(٣) في (ب): فإن.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ ﴾ [فصلت:٣٠]. فأخبر سبحانه ببشارة الملائكة للمؤمنين عند خروج أنفسهم، وتطمينهم لهم بما يطلعونهم عليه ويخبرونهم به من رضا ربهم، وقبوله لهم، والمكافأة على طاعته [(١)]، والجنة والنعيم الدائم المقيم، حيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما ما سألت عنه من ضرب الملائكة لوجوه الظالمين، فقلت: كيف لا نسمع ذلك من فعلهم ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: وكيف نسمع - رحمك الله - مَن حجب الله سبحانه عن الخلق الإحاطة به، لو سمع ضربهم لنظر إليهم، وما ضربُهم بأكبر من صورهم، ولكن الله سبحانه حجب أعين الخلق عن درك الملائكة، فلا ينظر إليهم أبدا إلا من حضرته الوفاة، أو في يوم القيامة، فينظرون ويعاينون.

وقلت: قد رأيت الفاسق يكون أسرع خروج نفس من المؤمن ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد يناله في سرعة خروج نفسه، من التعب والألم وعنف الملائكة عليهم السلام به، ما لا يعد له من النكاية، وقد يكون التعب والعنف في سرعة قبض روحه، أشد في أليم العقوبة. وقد يكون المؤمن في إبطا خروج روحه [(٢)] على أحد معنيين كلاهما فيه راحة، إما أن يكون في بطو موته يجد إفاقة ساعة بعد ساعة، وتسل نفسه هونا، فيكون أسهل عليه من العنف بها، وأيسر في خروجها.

وإما أن يكون محنة من الله عز وجل، ليثيبه على ذلك ويكافئه عليه [(٣)].

---

(١) في (أ): لهم على طاعة ربهم.

(٢) في (ب): نفسه.

(٣) في (ب): فيه.

وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه، أنه قال: « أشد الناس محنًا الأفضل فالأفضل »[١]. نسأل الله حسن الاستعداد ليوم المعاد. وقد تخرج نفس المؤمن بسهولة وسرعة، فيكون ذلك من الله عليه نعمه، وبه لطف ورحمة[٢].

٢٤٤-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام:٩٤] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الفرادى فهو: المنفرد الوحيد.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾. يقول: تركتم أموالكم وخدمكم وأولادكم ونعمكم التي آثرتموها[٣] وراء ظهوركم، وجئتم فرادى[٤] من ذلك، موحدين منه منفردين.

٢٤٥-وأما ما ذكرت أنه قيل به من[٥] إتيان الخلق عند حشرهم عراة، فليس ذلك بشيء، وليس يخرج أحد من قبره عاريا، بل[٦] كلهم يخرج في كفنه

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٢)، وابن ماجة برقم (٤٠١٣)، وأحمد (١٤٠٠)، والدارمي (٢٦٦٤) بلفظ: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.

(٢) سقطت هذه الأسئلة الثلاثة السابقة من: (ج).

(٣) في (أ): ورثتموها. مصحفة.

(٤) في (ج): فردا.

(٥) في (أ): وسألت عما ذكر أنه قيل من.

(٦) سقط من (ج): بل.

ويصل به إلى موقفه (١)، وبذلك جاء الخبر عن النبي صلى الله عليه (٢)، وقد أجبناك على هذه المسألة قبل هذا بشرح بيّن، احتزينا به عن التطويل.

٢٤٦-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام:٩٨]. فقلت: ما معنى ذلك (٣)؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: المستقر من الآدميين فهو ما قر في الأرحام. ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٣] ؟ والمستودع فهو: ما كان في الأصلاب، فسبحان ذي القدرة والسلطان، والرأفة والاحسان (٤)، إلى جميع من خلق من عباده، المحسن إليهم، المنعم بفضله عليهم، فتبارك الله أحسن الخالقين، ذي العزة والقدرة المتين، وتعالى سلطانه، وجل عن كل شأن شأنه.

---

(١) سقط من (ج): إلى موقفه.

(٢) رواه الموفق بالله في الاعتبار /٤٥٤ بلفظ: ((إنكم محشورون حفاة عراة، وأول الخلق يكسى إبراهيم عليه السلام، ثم يجاء برجال فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي.

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كلي شيء شهيد، إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾)).

وأخرجه البخاري برقم (٣١٠٠)، وهو في كنز العمال برقم (٣٨٩٤٣)، وعزاه إلى أحمد، والترمذي، والنسائي والبخاري، عن ابن عباس. وشواهده كثيرة جداً. ومسلم برقم (٥١٠٣)، والترمذي برقم (٢٣٤٧)، والنسائي برقم (٢٠٥٤)، وأحمد برقم (١٨١٤)، والدارمي برقم (٢٦٨٢).

(٣) في (ج): ما معناه.

(٤) في (أ): والامتنان.

٢٤٧-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾ [الأنعام:١٠٥]، فقلت: ما معنى ﴿ دَرَسۡتَ ﴾ [١]؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: معناها: حفظت وأيقنت [٢]، فكانوا إذا سمعوا ورأوا ما يجيء به رسول الله صلى الله عليه، من آيات الله عز وجل، وتصريفه من أحكامه، وتبينه من حلاله وحرامه، قالوا: ﴿ دَرَسۡتَ ﴾، يريدون: أنه مُحكمٌ لما هو فيه دارسٌ له، يوهمون أنه صلى الله عليه يتعلم ذلك ويدرسه من أخبار الأولين.

وقلت: ما الصواب في قراءة هذا الحرف ؟

والصواب فيه ﴿ دَرَسۡتَ ﴾.

٢٤٨-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام:١٠٩] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا إخبار من الله عز وجل عن أهل الكفر والنفاق، والصد عن الحق والشقاق، من أهل الكتاب وغيرهم، كانوا يحلفون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، ويصدقون بمحمد [٣] صلى الله عليه عند إتيانها، (فقال الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾. ومعنى ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فإنما أراد بها: من الله) [٤].

ثم قال: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٩]. فأخبر سبحانه بما علم من سرهم، وأحاط به من غامض كفرهم، وأنهم إذا رأوا الآيات لم يؤمنوا بها، ولا عند المعاينة يصدقوها، ولا يرجعون بها، ولقد جاءهم من

---

(١) سقط من (أ): فقلت ما معنى ﴿ درست ﴾.

(٢) في (ج): أي: حفظت وأيقنت وتيقنت. وفي (أ): حفظت واتقنت. وفي (ب): حفظت والقيت. ولفقت النص من الجميع.

(٣) في (ج): محمدا.

(٤) سقط من (أ): ما بين القوسين.

الآيات والمعجزات مع رسول الله صلى الله عليه ما ثبت له به النبوة والتصديق، وزاح به الشك عنه، وسوء الظن (١) فيه، فلم ينتفعوا بذلك، ولم يؤمنوا به (٢)، بل ثبتوا على كفرهم، وأصروا على معصيتهم، فأصبحوا بذلك من الخاسرين، وعند الله من الهالكين، ولديه من المعذبين، وإنما كان هذا منهم عبثا، وتمردا وعناداً وتعنتا، لغير (٣) قصد لهدى، ولا طلب لتقوى، ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٣]. ونالهم فيه أكبر الشقاء.

٢٤٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام:١١١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا تعريف من الله عز وجل (٤) لنبيه صلى الله عليه بكفر المشركين، وأهل الصدود من المعاندين، أخبر (٥) عز وجل بما اطلع عليه من قولهم، وعَلمَه من سرائرهم، أنهم لا يؤمنون أبدا، ولو نزلت عليهم الملائكة حتى يعاينوها، وكلمهم الموتى، وحشرنا عليهم كل شيء قبلا، مجموعا مشاهداً معايناً حتى يعاينوه ويروه، ما كانوا ليؤمنوا، ولا ليرجعوا (٦) إلى الله سبحانه ولا يهتدوا، للذي قد علم من تصميهم على الكفر، وبعدهم من الإيمان.

---

(١) في (ج): وينفوا الظن.

(٢) في (ج): بذلك، فلم يسمعوا بذلك ولم يؤمنوا به.

(٣) في (ج): بغير.

(٤) سقط من (ج): من الله عز وجل.

(٥) في (ج): ثم أخبر.

(٦) في (أ)، (ب): يرجعوا.

ثم قال: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إيمانهم قسراً، فيدخلهم في الإيمان [1] جبرا، فأما طوعا من أنفسهم واختيارا، فلا يكون أبدا، والله تبارك وتعالى فلا يدخل أحدا في طاعته [2] جبراً، وإنما يأمره سبحانه بها أمرا، ولا يحمله على معصيته قسرا، ولا يحتم بها عليه حتما، ولو كان ذلك كذلك ما حمد مطيعا، ولا ذم عاصيا، كما لم يحمدهم في ما جبرهم عليه من صورهم وألوانهم، بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلفهم يسيراً، وأعطاهم على قليل [3] كثيرا.

٢٥٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران:٦٠] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: لم يكن محمد صلى الله عليه من الممترين، ولم يخبر الله سبحانه أنه من الممترين، وإنما قال سبحانه: لا تكن منهم، كما قال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر:٦٥]. وهو يعلم أنه لا [4] يشرك صلى الله عليه، وهذا في اللغة جائز.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء:٨٧]. وهو فلم يظن ذلك، بل أيقن بأن [5] الله عز وجل يقدر عليه. وقال عز وجل: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣]. ولم يظنوا ولكن أيقنوا. ويقول القائل: عسى أن نأكل، وإنما يريد: نأكل، فأدخل عسى فصارت شكاً، وليست بشك وإنما أراد يقينا، وهذا في اللغة كثير موجود.

---

(١) في (أ)، (ب): ويدخلهم. وفي (ج): فيدخلهم في ذلك جبرا. ولفقت النص من الجميع.

(٢) في (ج): طاعة.

(٣) في (أ): القليل.

(٤) في (أ)، (ب): وهو فلم يشرك.

(٥) في (أ)، (ب): أن.

٢٥١–وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس:٩٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: ليس رسول الله صلى الله عليه وآله في شك [١] مما أنزل إليه، بل هو على أيقن يقين.

و لم يقل الله سبحانه: إنه في شك، وإنما قال: ﴿ إِنَّ كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾، وليس هو عليه السلام في شك، بل هو على بصيرة ثابتة، وعزيمة ماضية، بعيدة [٢] من الشك والارتياب، وليس يظن أحد أن رسول الله صلى الله عليه كان [٣] في شك، إلا أعمى القلب، بعيد الذهن، كثير الجهل، وهذه المخاطبة في لغة العرب، تستعملها وتتكلم بها، ويخاطب [٤] بعضهم بعضا فيها وبها، يقول القائل: إن كنت في شك من قطع هذا السيف، فيك فجرِّب. وهو فلا يشك بل هو موقن [٥]، ويقول الرجل لصاحبه: آتنا غداءنا عسى أن نأكل، فأدخل عسى لمجاز الكلام، وإنما أراد: أن نأكل، و لم يكن شاكا في ذلك، بل كان قصده له، قال الله سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء:٨٧]. و لم يكن يظن [٦] صلى الله عليه أن الله عز وجل لا يقدر عليه، بل هو موقن بقدرة الله ونفاذ أمره، وقد يخرج ﴿ فَظَنَّ ﴾ على الاستفهام، كما يقول القائل: لِمَ باع فلان طعامه وترك نفسه؟ أظن أنه لا يحتاج إلى الأكل؟ وهو فلم يظن ذلك، وهذا مما تعارفه العرب في لغتها، وتجيزه في كلامها.

(١) في (ج): يشك.

(٢) في (ج): بعيد.

(٣) سقط من (أ)، (ج): كان.

(٤) في (ج): يخاطب.

(٥) في (أ)، (ب): بل يوقن.

(٦) في (أ): و لم يظن. وفي (ب): وهو لم يظن.

ومعنى ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس:٩٤]. فإنما أراد عز وجـل: كتبهم المترلة [١]، وما فيها من القصص [٢]، وأخبار الأنبياء عليهم السلام، وما لقوا وما امتحنوا به من أممهم [٣]، مما قص الله عليه من أخبارهم، فأقامهم مقام كتـبهم، لأنهم لو كانوا قصدوا بالمسألة لكانوا في موضع الصدق، ولو صدقوا ما خـالفوا أمر الله عز وجل، ولا نبيه صلى الله عليه، ولكن حرفوا وكذبوا، وغيروا وبدلوا، ومن كانت هذه حاله لم يكن في موضع المسألة [٤]، ولكن أراد الله سبحانه [٥] ما في كتبهم من القصص والأخبار.

وقـد قيل: إن الذين أمر بمسألتهم هو من كان معه مسلما، من مؤمني أهل الكتاب [٦]، وليس المعنى فيه إلا على ما شرحنا.

ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿ لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢، الشورى:٧]. وأم القرى فإنما هي: مكة، فأقام القرى [٧] مقام أهلها.

---

(١) أخـرج أبو الشيخ، عن الحسن في قوله: ﴿ فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ﴾ قال: سؤالك إياهم نظرك في كتابي كقولك: سل عن آل المهلب دورهم. الدر المنثور ٣٩٠/٤.

(٢) في (ج): المترلة وقصصهم.

(٣) في (ج): لقوا وامتحنوا به من أمتهم.

(٤) في (ج): مسألة.

(٥) في (أ)، (ب): ولكن الله عز وجل أراد.

(٦) أخـرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ﴾ قال: التوراة والإنجيل الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب فآمنوا به، يقول: سلهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم. الدر المنثور ٣٨٩/٤ – ٣٩٠.

(٧) في (أ): أم القرى.

ومثل ما قال وذكر سبحانه [١] في قصة يعقوب عليه السلام حين يقول: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف:٨٢]. والقرية فإنما هي لَبِنٌ وحجارة، والعير فهي الإبل، وليس هي تتكلم، ولكن أقيمت مقام أهلها.

ومثل قوله سبحانه: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة:٩٣]. والعجل فلا يشرب، وإنما أراد حب العجل، ومحمد صلى الله عليه فأشد الخلق معرفة بالله سبحانه وإعظاما له، لعلمه [٢] وفضله وما مَنَّ الله عز وجل به عليه من تفهيمه وتعريفه، فرحمة الله ورضوانه وصلواته وبركاته عليه.

٢٥٢-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام:١١٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا أمر من الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه للمؤمنين، أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، ثم نهاهم عز وجل ألا يأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، (فقال: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام:١٢١] [٣]. فنهاهم الله سبحانه عن أكل ذبائح الملحدين والجاحدين المشبهين، والكفرة المتمردين، لأن هؤلاء كلهم غير عارف بالله عز وجل ولا مقر به [٤]، وإنما يعرفه من آمن به وصدق رسله وَوَحَّدَه، وذبائحهم فميتة غير ذكية، لا يحل أكلها، ولا يسع مسلما الانتفاع بها.

٢٥٣-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١٢٤] ؟

---

(١) في (أ): ومثل قوله.

(٢) في (أ): لله سبحانه وإعظاما لعلمه.

(٣) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٤) سقط من (أ)، (ب): به.

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا إخبار من الله عز وجل عن الظالمين، الخونة الكافرين، أنهم إذا جاءتهم آية من آيات الله سبحانه مع محمد صلى الله عليه تبهر العقول وتصحح النبوة، قالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثلها كما أوتيتها، فإذا أوتينا ذلك آمنا، وصدقنا أنه من الله.

فقال عز وجل [1]: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤]، أراد: أنكم لستم في موضع الرسالة، ولا منزلة الطهارة، ولا بأهل ثقة ولا أمانة، فاختار سبحانه لرسالته، وما أنزل من حجته [2]، محمداً صلى الله عليه، لأمانته وفضله، ومعرفته بالله عز وجل، وقدره [3] عنده.

وقد يروى أن الذي قال هذه المقالة: الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو مسعود الثقفي [4].

---

(١) سقط من (أ)، (ب): فقال.

(٢) في (ج): حججه.

(٣) في (ج): ومعرفة الله وقدره.

(٤) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قول الله: ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال: يعني بالقريتين مكة والطائف، والعظيم الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب بن عمير الثقفي.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال: يعني ﴿ من القريتين ﴾ مكة والطائف، والعظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب بن عمير الثقفي.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال: يعنون أشرف من محمد، الوليد بن المغيرة من أهل مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من أهل الطائف. الدر المنثور ٣٧٤/٧.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿ على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال:

٢٥٤-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٠]. فقلت: ما معناها[١]؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا قول من الله سبحانه لهم في الآخرة عند مصيرهم إلى النار.

يقول: ألم يأتكم رسل منكم، ينذرونكم هذا اليوم [٢]. وما صرتم إليه من العذاب، فيشهدون على أنفسهم بالكفر والتقصير، حين يقولون: ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ قال [٣]:﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾. بما أنزل الله إليهم، مخالفين لما أمروا به [٤] من طاعة ربهم.

وقلت: هل كان إلى الجن رسل [٥]؟

أفلا تسمع كيف يقول الله سبحانه في كتابه: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٩]. فكان رجوعهم إلى قومهم، وإنذارهم

عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل بن كنانة الثقفي من الطائف، وعمير بن مسعود الثقفي، وفي لفظ: وأبو مسعود الثقفي. الدر المنثور ٣٧٥/٧.

(١) في (ج): ما معنى هذه الآية.

(٢) في (أ)، (ب): أعاد الآية السابقة الذكر.

(٣) سقط من (أ)، (ب): قال.

(٤) في (ج): أمرهم.

(٥) في (أ): رسول.

لهـــم، إقامة حجة [١] عليهم، ومحمد صلى الله عليه فكان الحجة على الثقلين، وقد تقدم تفسير ذلك إليكم [٢].

وفي هـــذه الآيـــة لـــك شفاء وكفاية، والقرآن فيفسر بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، هدى للناس، ومُذهباً للشك والالتباس.

٢٥٥-وســـألت عـــن قول الله سبحانه [٣]: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [الأنعام:١٣١] ؟

قـــال محمـــد بن يحيى عليهما السلام [٤]: كذلك الله عز وجل، لم يظلم خلقه، ولم يتعد على أحد من بريته، ولم يكن ليهلك القرى بظلم، لأنه تبارك وتعالى عدل في حكمه، رؤوف بعباده، فأخبر سبحانه أنه لا يهلكهم وهم غافلون.

لأن الإهـــلاك لهـــم على غفلة من غير دعوة ظلم، والله عز وجل بريء من ذلك متعالي عنه، لا يعذب إلا من بعد الإعذار والإنذار، فإذا أرسل الله سبحانه إلى أهل القـــرى المرسلين فدعوهم إلى طاعته [٥]، وأمروهم بأمره، ونهوهم عن نهيه، وأقاموا علـــيهم الحجة، وأوقفوهم على المحجة [٦]، زاح عنهم بذلك الجهل والعمى، وتمت علـــيهم من الله سبحانه النعمى، وعرفوا ما أنكروا، وأُوقفوا [٧] على ما إليه دُعوا، وبـــه أمـــروا، وإن أبـــوا واستعصموا، وصدوا عن الحق وأدبروا، قامت [٨] الحجة

(١) في (ج): الحجة.

(٢) في (ب): إليكم. وسقط من: (أ).

(٣) سقط من (ج): وسألت عن قول الله سبحانه.

(٤) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى عليه السلام.

(٥) في (أ)، (ب): الطاعة.

(٦) سقط من (ج): وأوقفوهم على المحجة.

(٧) في (ج): ووقفوا.

(٨) في (ج): وقامت.

علـــيهم، و لم يكونوا حينئذ بغافلين عما دُعوا إليه، إذ قد أُوقفوا عليه، فحق عليهم العذاب عند قيام الحجة [1]، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ ﴾ [الإســراء:١٥]. يقول: ما كان عز وجل ليأخذ قوما [2] على ظلم حتى يبيــنه، ويدعوهم إلى تركه، ثم يأخذهم عند كراهتهم لأمره، وبعدهم عنه، وثباتهم على ضده، فعند ذلك يستوجبون من الله البلاء.

٢٥٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾ [الأنعام:١٤١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: معنى ﴿ أَنشَأَ ﴾، فهو: خلق وجعل هذه الجنات الـــتي ذكرهن سبحانه، فالمعروش منها ما كان مثل العنب، يعرش تحته ويرفع، فقال سبحانه: إن مما خلقنا من هذه الجنان، ما هو معروش، فدل عليه بعينه، والعنب فلا ينتصب باسقاً في السماء، وإنما يذهب على الأرض منبسطاً، فلما أن كان كذلك، لم يكن له بد من العرش والرفع من الأرض، وإلا فسد حمله، وتغير أكله، ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾، فهـــو: ما كان من الأشجار مثل النخل والرمان، وما أشبه ذلك مما ينتصب ولا يعرش تحته، كل ذلك خلق الله سبحانه، وإقامة الحجة منه على عباده، ونعمة وتفضل [3] على بريته، وإنعام عليهم ليشكروه، ويذكروا آلاءه ويحمدوه، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝ ﴾ - سبحانه كما قال - [سبأ:١٣] [4].

٢٥٧-وســألت عــن قول الله سبحانه: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٤١] ؟

---

(١) في (ج): العذاب بغتا والحجة.

(٢) في (ج): مـــا كنا لنا أخذ قوم على ظلم حتى نبينه، وتدعوهم إلى تركه، ثم تأخذهم عند كراهتهم له، و بعدهم عنه، وبنالهم.

(٣) في (ب): وتفضلا.

(٤) في (ج): ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾.

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: حقه فهو: زكاته، وما جعل الله فيه لضعفة عباده.

وقلت: هل تجب الزكاة في قليله وكثيره، وما جعل الله سبحانه فيه لضعفة عباده ؟

واعلم - حاطك الله - أن الزكاة قد جعل الله سبحانه لها حداً، فإذا بلغ شيء مما تخرجه الأرض ذلك الحد، فقد وجبت فيه الزكاة، وإذا نقص عنه فلا زكاة فيه، وتفسير ذلك غير مجهول عندكم، ولا مستتر عنكم، بل قد وصل بكم من قِبَلِنا شرحه وتبيينه.

وقلت: ما أكل منه وانتُفِع به من قبل [1] حصاده هل تجب فيه الزكاة [2]؟

وكل ما قُطِع أو أُكل وانتُفِع به، وأُكثر الأخذ منه، ففيه الزكاة، إذا كانت الزكاة واجبة في أصله، وما كان مما يأكل الداخل للضيعة والطائف فيها، فقد رخص في ذلك، والحيطة في الدين أصلح.

واحتجوا في ترخيصهم بقول الله سبحانه: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٤١]. فجعلوا ذلك لهم حجة، فصاروا يحملونه، ويقطعونه ويأكلونه، من قبل حصاده، حتى يذهبوا منه بأكثر من ربعه وثلثه، ثم يزعمون ألا زكاة فيه، ويقولون: إنما تجب علينا [3] الزكاة فيه عند حصاده، وهذا قول فاسد مدخول.

وقد يخرج في تفسير الآية ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾. أن يأكلوا من [4] الثمر، ويؤدوا الحق فيه [5]، فكان ذلك منه عز

(١) سقط من (أ): أرأيت. ومن (ج): من

(٢) في (ج): زكاة.

(٣) في (أ): عليك.

(٤) سقط من (أ): من.

(٥) في (أ): الحق الذي.

وجل [١] رحمة لهم، وإنظارا بما يجب عليهم فيه، ولو حظره عز وجل عليهم [٢] حتى يحصدوه، لأضر ذلك بهم ولأتعبهم، ولكن أطلق لهم سبحانه أكله، وأمرهم بتأدية ما يجب في أوله وآخره عند كماله.

وقلت: إن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، كان يوجب الزكاة في ما أُخذ منه قبل الحصاد ؟

فعلى ما ذكرت لك كان يوجب الزكاة، لأنهم كانوا يأخذون عامة الثمار، ويسرفون في ذلك غاية الإسراف [٣]، وكذلك كان جدي القاسم صلوات الله عليه أيضا، لم يجز لهم أن يسرفوا، والقول مؤتلف [٤].

فأما ما ذكرت أن الهادي عليه السلام جعل في ما تبلغ قيمته من الفواكه مائتي درهم، العشر كاملا، على قدر شرب الماء، فكذلك فعل رحمة الله عليه، في كل ما كان يحمل في الحول مرة واحدة، أو مراراً، وكان يقول عليه السلام في ذلك: إذا بلغت قيمة الخضر والفواكه مائتي درهم في السنة، أخذ في ما سقي بالدلاء نصف العشر، وما سقي سيحا أو بماء السماء أخذ منه العشر كاملا.

وقلت: إني جعلت في ورق التوت زكاة قبل يحول الحول عليه؟

وحال الورق كحال القضب، والفواكه، وحال ما يأتي في السنة مراراً مثل القطن وغيره، فإن كان هذا الورق يأتي في السنة مرة واحدة، قُوِّم عند حضوره، وإن كان يأتي في السنة مراراً أخذ منه بحساب ذلك، إذا كان يوفي في السنة مائتي درهم، وكان من الأموال المستغلة.

وذكرت القز، وما أوجب فيه القاسم والهادي عليهما السلام؟

---

(١) سقط من (ج): منه عز وجل.

(٢) سقط من (ج): ولو حظره عز وجل عليهم.

(٣) في (أ): ويتصرفون في ذلك غاية التصرف.

(٤) إلى هنا انتهت نسخة (ج).

وما هو إلا مال من الأموال.

٢٥٨-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [الأنعام:١٤٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هو ما كان له ظفر يعرف به، ويقع عليه اسم الظفر، فهو عليهم محرم، ولكن أباحوه وأكلوه وتعدوا فيه.

٢٥٩-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ ﴾ [الأنعام:١٥٢، الإسراء:٣٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل لعباده في أموال الأيتام ألا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، والذي هو أحسن [1] فهو: الإصلاح فيها والحفظ والتوفير لها.

٢٦٠-وسألت عن قول الله [2] سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام:١٥٨] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هو حضور الموت، فلا ينفع عبداً إيمانه عند نزول ذلك به [3].

٢٦١-وسألت هل يجوز للرجل أن يقر عند مرضه بالديون التي عليه ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ذلك عليه واجب، لا يسعه غيره، ولا يحل له إلا تبيينه وشرحه، فإن اتهم المقر له بالدين أنه له ولج إليه استحلف أن هذا الدين حق [1] واجب على المقر له، وما ولج إليه، ثم يقبض حقه وما أقر [2] له به.

---

(١) سقط من (ب): والذي هو أحسن.

(٢) في (ب): قوله سبحانه.

(٣) في (ب): نزول الكربة.

٢٦٢-وســـألت عن رجل يقول: إن موضع كذا وكذا معروفا لامرأته فلانة، و لم يذكر هبة ولا صدقة، إلا أنه قال: إنه لها، وليس لأحد فيه سبيل عليها ؟

قـــال محمد بن يحيى عليه السلام: إن كان ذلك الموضع يعرف من ماله، فلم يرد به إلا هـــبة لها، لأن قوله: لا سبيل لأحد عليها، يدل على تسليمه إليها، ولكن كثيرا من الناس لا يحسن الشرح.

وقلت: هل يجوز إن كان أكثر من الثلث ؟

وهو جائز إن أجازه الورثة، وإن أنكروا ذلك وكرهوه رجع إلى الثلث، ولا يجوز للميـــت أن يوصي بأكثر من ثلثه، للخبر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه [(٣)]، والكتاب أيضا ينطق بذلك في قول الله عز وجل: ﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ﴾ [النساء:٣٢]، و لم يقل: كلما اكتسبوا.

٢٦٣-وسألت هل يجوز لرجل أن يهب ثلث ماله لموهوب، ثم يهب له ثلثا آخر، ثم يهب له أيضاً أو لغيره ما بقي من ماله ؟

---

(١) في (أ): حق له.

(٢) في (ب): وما أوحى.

(٣) أخرج البخاري برقم (١٢١٣)، ومسلم برقم (٣٠٧٦) بلفظ: عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِـــي اللَّهم عَنهم قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي فَقُلْتُ إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي قَالَ لَا فَقُلْتُ بِالشَّطْرِ فَقَالَ لَا ثُمَّ قَالَ الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْـــحَابِي قَالَ إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِـــكَ أَقْـــوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ما أحب لأحد من المسلمين أن يفعل ذلك، لأنه يضـر بولده ويهلك نفسه، ويخالف تأديب ربه، ولا يحظر عليه فعله في ماله، فإن مـات كان لورثته في ذلك نظر وكلام، على قدر ما يعرف من قوله [1]، وما قصد إليـه في مذهبه، ويكون فيه نظر لأهل العلم، يوفق الله عز وجل له، وقد جاءت في ذلـك أخبار وروايات، وقد يكون هذا من فعل الفاعل على طريق الظلم لورثته، والتوليج عنهم.

وقـد شرح الهادي عليه السلام هذا في كتاب الأحكام وبيَّنه، وهو عندكم، نسأل الله العون والتوفيق والهداية والتسديد بمنه ورأفته.

٢٦٤-وسألت عن رجل قتل رجلاً عمداً أو خطأ فعفا الأولياء عن القَوَد والدية في الخطأ والعمد. فقلت: هل يجوز ذلك له ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا عفا الأولياء عن الدية من بعد أن يعرض عليهم، فذلك جائز حسن.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾ [النساء:٩٢]. فأجاز الهبة والتصدق [2] بها، والإحسان فيها، وقد قال الله [3] عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة:٢٣٧] فـإذا وهب الولي الدية التي حكم الله بها فذلك جائز.

٢٦٥-وسألت عن من لزمه عتق رقبة عن [4] قتل الخطأ فأعتق عنه رجل آخر؟

---

(١) في (أ): فعله.

(٢) في (ب): والصدقة.

(٣) سقط من (أ): الله.

(٤) في (ب): في.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن كانت هذه الرقبة التي أعتقها عنه غيره قد وهبها له، فقد صارت في ملك صاحب الكفارة، فجائز له عتقها، وهي تجزي عنه، وتقوم بكفارته [١]، وإن كان الرجل أعتقها هو عن صاحب الكفارة، و لم يعتقها صاحب الكفارة، فهي من مال المعتق، وعلى صاحب الكفارة رقبة، لأنه لا يجوز له ولا يخلصه إلا عتق رقبة يملكها، فإن برَّه أخوه المسلم، ووهب له رقبة فأعتقها هو من بعد ملكه إياها، كان ذلك له جائزاً، وعنه مقبولاً.

وقلت: أيما أفضل في كفارة القتل، العبد أم الأمة ؟

والعبد والأمة في ذلك سواء إذا كان مؤمنين، لأن الله سبحانه يقول: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾. و لم يذكر عبداً ولا أمة.

وأما قاتل العمد فإذا قاد من نفسه فصفح عنه ولي الدم، وقبلت [٢] الدية منه، وأناب إلى الله عز وجل، فقد خلص من ذنبه، لأنه قد أقاد نفسه، وفعل ما أوجب الله عز وجل فعله عليه، فصفح الأولياء عنه [٣]، وليس عليه إلا دية يسلمها، فإن وهبوا له الدية فحسن، وذلك له جائز، وليس عليه رقبة، غير أني أحب له من غير أن أوجبه عليه أن يعتق، لأن في عتق الرقبة أجرا عظيما، ويخلص لله سبحانه التوبة من ذنبه، وما ارتكبه نم عظيم فعله، وفي عتق الرقبة له فضل عظيم وأجرا، لأن الله سبحانه [٤] يقول: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ [البقرة:١٨٤]. وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠]. ودية الخطأ على العاقلة، ودية العمد إذا عفا عن صاحبها، و لم يقتل، وقبلت الدية منه فهي في ماله، وليس على العاقلة منها شيء،

---

(١) في (أ): لكفارته.

(٢) في (ب): قاد نفسه فصفح عنه وقبلت.

(٣) سقط من (ب): عنه.

(٤) في (ب): فضل وأجر، لأن الله تبارك وتعالى.

لأن العاقلة لا تعقل عمداً ولا عبداً ولا اعترافاً ولا صلحاً، فافهم هديت ما عنه سألت.

٢٦٦–وسألت عن قوم شركوا [١] في شبكة كانوا يصطادون بها، فمرض أحدهم واصطاد شركاؤه وعملوا بها، فطالبهم المريض بحصته التي تلزم له في جزءه وحقه من الشبكة ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا على قدر ما بنى عليه المتشاركون أمرهم [٢]، فإن كانوا بنوا أمرهم على الشركة في الشبكة، على أنهم إن اصطادوا بها مجتمعين [٣] أو مفترقين فهم فيه سواء، وجعلوا ذلك مثل المشتركين المتفاوضين فله حقه، وإن مرض ولم يحضر، فإن كانوا جعلوا الشركة على أنهم يصطادون كلهم [٤] معاً ويتعاونون، فمرض أحدهم واصطاد الآخرون، فالصيد لهم وعليهم أن يعطوه ما يجب له من كرى الشبكة، فإن كانوا خمسة فله خمسها، فينظر كم يكون [٥] كرى الشبكة في الأيام التي اصطادوا بها وهو مريض، ثم يعطونه خمس الكرى، وفي هذا أيضاً باب حسن إذا وقع مثل هذا، أو التبس [٦] ولم يميَّز بتحديد دُخل بينهم بصلح، فإن الله يقول: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:١٢٨].

٢٦٧–وسألت عن قوم من الموحدين خرجوا مع قوم من الفاسقين في حرب أعدائهم من الكفرة الظالمين بغير إمام، خوفاً على أموالهم وحرمهم وديارهم،

---

(١) في (ب): تشركوا.

(٢) في (أ): المشاركون أمرهم.

(٣) في (أ): مجمعين.

(٤) في (ب): أنهم كلهم يصطادوا.

(٥) سقط من (ب): يكون.

(٦) في (ب): والتبس.

فقاتلوا حتى قهروا عدوهم، وغنموا أموالهم ثم انصرفوا إلى بلدهم، ولم يعثوا في الأرض فساداً ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن كان هؤلاء القوم الموحدين خرجوا في حرب عدو قد قصدهم، يريد: إهلاكهم وهتك حريمهم، واستعانوا معهم بغيرهم ليدفعوا به عن أنفسهم، ويقووا بهم [1] على الدفع لهذا العدو [2] الظالم القاصد لهم، الطالب لهلكتهم، فذلك جائز حلال، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عقال بعير [3] فهو شهيد » [4]، والله سبحانه يقول: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]. كك ولا تهلكة أشد من ترك ظالم يهتك الحريم، ويسفك الدماء وهو يقدر على إبعاده ومنعه من ذلك ، [5]، وقال سبحانه: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٤]. فإذا قصد المسلمين ظالم يريد إهلاكهم، وكانوا يطيقون الانتصار منه فعليهم أن يحموا دماءهم وكرائمهم، وما أنعم الله عز وجل عليهم به من نعمهم، ولا أحب لهؤلاء الموحدين أن يسيروا إلى هذا الظالم إلى موضعه، ولا يقاتلوه في

---

(١) في (ب): به.

(٢) سقط من (أ): العدو.

(٣) في (ب): ماله وحريم فهو شهيد، ومن قتل دون بعيره.

(٤) أخرج أحمد برقم (١٥٦٥)، والترمذي برقم (١٣٤١)، والنسائي برقم (٤٠٢٩)، وأبو داود برقم (٤٠٢٣) بلفظ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

(٥) سقط من (أ): ما بين القوسين. وترك مكانه بياضا.

بلــده [١] إلا أن يكونوا مع إمام، فأما إذا قصدهم فجائزٌ حربه، حلالٌ عند الله عز وجــل جهــاده، وإن كان عدوهم هذا على مسيرة [٢] عشرة أيام منهم وكانوا له خــائفين ولم يقصدهم، ثم جاء [٣] ظالم يقصد هذا العدو بطمع بقتله وإزالته وأخذ مكانــه، فلــيس لهم أن يسيروا معه إلى العدو الذي يخافون، لأن هذا الظالم يقصد ظالماً يطلب ما في يده، ويحاربه على بلده، يريد الرياسة والظلم، والنهب والغشم، فلا يحل اتباعه، لأنهم إذا تبعوه فقد قووه، وإذا قووه فقد أظهروه، وإذا أظهروه فقد أعانوه على هلاك الإسلام والمسلمين، وشركوا معه في ما أهلك من المؤمنين، وثبّتوا عــزه، ونصبوا ملكه، ومن فعل ذلك فليس من الله في شيء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:٨١].

فعــلى من فعل ذلك التوبة، والرجعة والإقلاع والإنابة، فإن الله سبحانه ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشـورى:٢٥]، وفي هذه المسألة جواب لو فسّرناه وفرّعناه لكان كثيرا، وقليل ينفع ويجــزي خير من كثير لا ينفع ولا يغني. نسأل الله سبحانه العون والتوفيق والهداية والتسديد، فإن من وفقه الله فقد سدده، ومن سدده فقد أمن الزلل والخطأ، وصار إلى أفضل درجة وأكمل نعماء.

٢٦٨-وســألت عــن رجل ظالم منع الناس طريقهم، وقطع عليهم سبلهم [٤]، وكــان في جواره رجل لم يرض بفعل هذا الظالم ثم أدخل هذا الظالم، نصف هذه الطريق في داره، وقطع طريق [٥] المسلمين المسلوكة، وأضر في ذلك بهم،

---

(١) سقط من (أ): في بلده.

(٢) في (ب): مسير.

(٣) في (ب): حق جاء. وفي (أ): ويطمع.

(٤)في (ب): سبيلهم.

(٥) في (ب): طرق.

وضيَّق بفعله عليهم، وبقي نصف الطريق مما يلي جاره [١] معطلا. فقلت: هل يحل لجار هذا الظالم أن يزرع بقية هذا [٢] الطريق. وقلت: إن زرعه فما حال ثمره ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن كان هذا الغاصب لطريق المسلمين الظالم لهم، قطع الطريق طولاً، فقد ضيَّق مسلكها [٣] وظلم في أخذها، ولا يجوز لجاره [٤] أن يأخذ باقيها، بل يتركه ينفذ فيه من احتاج إليه، وسار فيه ووسعه، وإن كان أخذها عرضا فقد قطعها عليهم، فلا يحل لجاره أن يأخذ ما فضل عنده منها، لأن هذا قد ظلم وتعدى.

ولو وجد المسلمون من ينصفهم [٥] لهدم الحاكم ما بنى، وعاقبه فيما فعل وأتى، لأن قطع طرق المسلمين حرام، وعلى من فعل ذلك أكبر الآثام، وإن زرع هذا الرجل باقي هذه [٦] الطريق فقد زرع فيما لا يملك، ، وحاله كحال من زرع في غير أرضه فيكون حكمه كحكم غيره ممن زرع فيما لا يملك ، [٧]، فيأخذ بذره وما يجب له في أرض لو عملها لغيره بغير أذنه، ويخرج [٨] باقيها للمساكين، وضعفة المسلمين، فهذا أقرب له إلى الخلاص ولا يعود لزرعها.

وقد قيل في هذا بأسباب رخص فيها، ولسنا نرى ذلك صواباً ولا نقول به.

---

(١) في (ب): داره.

(٢) في (أ): هذه.

(٣) في (ب): سلكهم.

(٤) في (أ): نحب لجارها.

(٥) في (أ): ينصفهم منه.

(٦) في (ب): هذا.

(٧) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٨) في (ب): ويكون.

٢٦٩-وسألت عن رجل تزوج بامرأة فزنت قبل أن يدخل بها. فقلت: هل يدفع إليها مهرها أم لا ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: حالها في مهرها إذا زنت قبل دخوله بها [١]، كحالها إذا فعلت ذلك بعد دخوله بها، لأنها [٢] إذا أتت بغيا وهي عنده [٣] وقامت عليها البينة بذلك، أقيم عليها الحد ورجمت، وكان مهرها لورثتها يرثونه كما يرثون مالها، وإذا ما أتت بغي [٤] قبل الدخول بها، فإن طلقها فلها نصف مهرها، وإن حبسها واستتابها بعد الحد الذي يمضي عليها، وبانت له توبتها ثم دخل بها فلها المهر كاملاً، وأحب إلي له وأشبه بأخلاق المؤمنين، وأفعال الصالحين، أن يفارقها ولا يدخل بها، لما كان من حدثها، وعظيم جرمها.

وقد قال بعض أهل العلم: إنما حرم نكاح الزانية إذا عُرفت بذلك وعُلم منها، فلا يحل لأحد أن ينكحها، ولم يبن له توبة. فأما إذا كانت في حبال الزوج ثم زنت، فإنما تزوجها وهي مستورة، ثم أتت بغياً بعد ذلك فأقيم الحد عليها واستتيبت، فجائز الإمساك لها، وإن فعل ذلك بعد توبتها لم نضيقه عليه [٥]، والذي هو عندي أفضل وأصلح، فالفراق لها والبعد من قربها.

٢٧٠-وسألت عن رجل أعطى دراهم بقز دون سعر يومه، وكان يوم أعطاه الدراهم بثلاثة طيبا شيح [٦]؟

---

(١) سقط من (أ): بها.

(٢) سقط من (ب): لأنها.

(٣) إلى هنا انتهت نسخة (أ).

(٤) في (ب): ماتت بغيا. وما أثبت اجتهاد.

(٥) في (ب): عليها. وما أثبت اجتهاد.

(٦) كذا في المخطوط. بيد أن الكلمة الأولى مهملة.

قـــال محمـــد بن يحيى رضي الله عنه: إن كان ذهب في هذا الفعال إلى حد السَّلَم وقصده، فالسلم له حدود وشروط، قد شرحناها لكم وبيناها.

فمن قاربها وعمل بما شرحنا فيها، فجائز السَّلَم على ما فسرنا لكم فيه، فإن كانت هـــذه المعاملـــة للزيادات والأرباح فلا يجوز. كمثل رجل اشترى من رجل من قز بخمســـة دنانير إلى أجل، والقز يسوى في ذلك الوقت بالنقد ثلاثة دنانير، فهذا لا يحل، وهو الربح العجلان، وكل بيع أو معاملة وقع فيها الفساد، رد كل إنسان ما أخذ سواء.

٢٧١-وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر:٩١]. فقلت: ما تفسير ذلك ؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هم نفر من قريش كانوا يقولون إذا قرأ رسول الله عليه وآله السلام، عليهم القرآن: يعضنا، وكانوا يقولون: هذا عضين، يريدون: هذه عظة، فيستهزؤون بالقرآن، ويجعلون الظاء ضاداً، ويزيدون فيها الباء والنون، استهزاء منهم واستخفافاً بما جاء به خاتم النبيين عليه وآله السلام.

٢٧٢-وسألت عن حديث العقيلي. حين سأل رسول الله عليه وآله السلام، أين كـــان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال رسول الله عليه وآله السلام: كان في غمامة تحته هواء وفوقه هواء [1]؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث باطل كذب على رسول الله عليه وآلـــه الســـلام، كان عليه وآله السلام أعرف بالله عز وجل من أن يقول فيه بهذا القـــول، لأن هذا من قول المشبهة، ومن لا يعرف الله سبحانه، لأن هذه الغمامة لا تخلو من أن تكون لم تزل مع الله عز وجل، فقد جعلوا مع الله عز وجل شيئا أزليا،

---

(١) أخرج أحمد برقم (١٥٦١١)، وابن ماجة برقم (١٧٨)، والترمذي برقم (٣٠٣٤) بلفظ: عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُـــدُسٍ عَـــنْ عَمِّـــهِ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَالَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ.

أو لم تكن ثم كانت، فقد كان ولا مكان ولا سماء ولا أرض ولا سحاب ولا ليل ولا نهار، المستغني [١] عن الأمكنة، لا تنقصه الليالي [٢] والأزمنة، ولو كان في سحاب تحمله لكان محدودا، وكان من غيره خاليا ومنه معدوماً، تعالى الله عز وجل عن هذه الصفة علوا كبيرا، وفي هذا من الحجج كثير [٣] غير أن هذا الحديث حديث لا يقول به مسلم.

٢٧٣-وسألت عن الحديث الذي يروى في المراء في القرآن كفر [٤]؟

ولعمري إن المراء فيه بالباطل والتحريف له عن مواضعه، والتأويل له على خلاف ما جعله الله سبحانه لكفر، لا يحل ذلك ولا ينبغي لأحد فعله.

٢٧٤-وسألت عن الحديث الذي يروى في القرآن أنه على سبعة أحرف [٥]؟

وقد روى ذلك كثير من الناس غير أنهم قد قرأوا ذلك باختلاف، أخرجوه من اللغة، والقرآن فإنما هو عربي، فما زال عن لغة العرب فقد حُرِّف عما أنزله عز وجل في كتابه، آية أجرت [٦] عن النظر في كلامهم واختلافهم، حين يقول سبحانه: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر:٢٨].

---

(١) في (ب): لمستغني. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (ب): لا تنقصه من الليالي. وما أثبت اجتهاد.

(٣) في (ب): كثيرا. وما أثبت اجتهاد.

(٤) أخرج أحمد برقم (٣٩٨٧)، وأبو داود برقم (٣٩٨٧) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٠٨)، ومسلم (١٣٥٤)، والترمذي (٢٨٦٧)، والنسائي (٩٢٧)، وأبو داود (١٢٦١)، وأحمد (١٥٣)، ومالك (٤٢٣).

(٦) كذا في المخطوط.

وأصح القراءة عندنا قراءة أهل المدينة [1]، وقد وجهت إليكم بمصحف على قراءة أهل المدينة، فاقتصروا عليه، وعلى شكله إن شاء الله تعالى.

وقلت: إن كفر إنسان بحرف من القرآن وجحده، هل كفر بالقرآن كله ؟

واعلم - حاطك الله - أن من جحد منه آية أو حرفا، وقال ليس من الله، فقد استوجب الإستتابة، فإن تاب وإلا كان كافراً، يجب عليه من الحكم ما يجب على مثله، لأن من جحد فعل الله عز وجل في شيء من خلقه، كمن جحده في سماواته وأرضه، سواء سواء.

وأما الحديث الذي يروى في التمني [2] فلا نعرفه، عنه عليه وآله السلام.

٢٧٥-وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٢] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا أمر من الله عز وجل، أمرهم ألا يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض، وهذه في المواريث، جعل بعضهم أكثر من بعض، وإذا تمنوا خلاف ما حكم الله سبحانه به، كانوا بذلك غير مسلّمين لحكمه، ولا راضين بقسمه، ومن فعل ذلك فهو من المخطئين [3]، وعند الله عز وجل من المسيئين.

وقد قيل: إنه يدخل في هذه أيضا ما فضل الله سبحانه [به] النبيين.

٢٧٦-وسألت عن الحديث عن رسول الله عليه وآله السلام: هل يخالف الكتاب ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: اعلم - هداك الله وأعانك - أن كل حديث صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه غير مخالف للكتاب، بل الكتاب

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) لعله يقصد حديث الغرانيق.

(٣) في المخطوط: التخطين. وما أثبت اجتهاد.

يشهد عليه بالحق، وينطق فيه بالصدق، وفي ذلك ما يروى عنه عليه وآله السلام، أنه قال: « يكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب الله فليس مني، و لم أقله ».

٢٧٧-وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام: « إن عم الرجل صنو أبيه »(١)، فقلت: ما معناه ؟

ومعنى ذلك أنه أراد عليه وآله السلام بقوله: « صنوا أبيه »، أي: أخو أبيه، وابن الرجل أقرب إليه من أخيه.

٢٧٨-وسألت عن ﴿ صِنْوَانٌ ﴾ [الرعد:٤]، ما معناها ؟

والصنوان فهي: ما كان من النخيل مجتمعا، وأصل واحد تسميه العرب صنواناً.

٢٧٩-وسألت عن حديثه عليه وآله السلام، أنه قال: « لا يموت لمؤمن ثلاثة أولاد فمسته النار »(٢)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: المؤمن على كل حالا تمسه النار، مات له ولد أو لم يمت، والحديث فلا أعرفه كذا من النبي عليه وآله السلام، غير أنه إذا مات للمسلم ولد أُجرَ في التسليم لأمر الله سبحانه، والرضا بحكمه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝ ﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧].

٢٨٠-وسألت عن رجل حلف لأفعلن كذا وكذا، ثم فعل شيئا منه دون شيء ؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣٤)، والترمذي برقم (٣٦٩٤)، وأبو داود برقم (١٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢١٩)، ومسلم برقم (٤٧٦٦)، والترمذي برقم (٩٨٠)، والنسائي برقم (١٨٥٢)، ومالك برقم (٤٩٥).

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن كان هذا الشيء أشياء مختلفة، حلف فيها فقد حنث، إن لم يفعلها كلها، إن كانت مما يرضي الله سبحانه، وإن كانت شيئا واحدا لا ينقسم فقد بَرَّ.

٢٨١-وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم:٧١] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عز وجل: بورودهم إياها: حضورهم لها، ولم يرد دخولهم فيها، فلما أن كانوا يشاهدونها ويبصرونها، قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾. والقرآن فعربي، وإنما خاطب الله سبحانه العرب بلغتها، والعرب تقول وردنا البئر، ولم يريدوا بورودها دخولاً فيها، ولكنهم دنوا منها وأشرفوا عليها، ولو كانوا يدخلونها كما تقول العامة، لكان ذلك خلافا لقوله سبحانه حيث يقول: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٣]. وقال عز وجل: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس:٦٢]. وأي خزي هو أشد من دخول النار؟!! ويقول سبحانه: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء:١٠٢]. وإذا دخلوها فقد ذاقوا حرها، وسمعوا حسيسها، وأرف [(١)] بهم بأسها، وانطبق عليهم لهبها، وهذا من القول فمحال، لا يقال به في الله ذي العزة والجلال.

والحديث الذي ذكرت أنه يروى عنه عليه وآله السلام في الأرض، فلسنا نعرفه.

وأما ما سألت عنه من خلق الله سبحانه لعباده حنفاء، وأضلهم الشيطان [(٢)]؟

---

(١) كذا في المخطوط.

(٢) الحديث أخرجه مسلم برقم (٥١٠٩)، وأحمد برقم (١٦٨٣٧) بلفظ: عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ

فلعمــري ما خلق الله سبحانه خلقه إلا لطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأقام عليهم الحجة، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٢]. فأجازوا الكفر لنفوسهم، وتبعوا الشياطين في إغوائهم، وأصبح من كان كذلك من الخاسرين، وعند الله سبحانه من الهالكين.

٢٨٢-وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، في صلاة الضحى ؟

ولــيس ذلك عندي بصحيح، ولا نرويه عنه، بل يروى أنه نهى عن صلاة الضحى، ونظر إلى رجل يصلي الضحى، فقال: ما له ينحر الصلاة نحره الله (1).

٢٨٣-وسألت عن معنى لبيك اللهم لبيك ؟

الْأَرْضِ فَسَقَتْهُمْ غَرَّتْهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِـتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُــبْزَةً قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَـاتِلْ بِمَــنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...

(1) أخرج زيد بن علي في المسند/١٣٢ عن علي عليه السلام. والبخاري برقم (١١٠٨)، ومسلم ٤٩٨/١(٣٣٦)، والطـبراني في الكـبير ٤١٧/٢٤(١٠١٦)، وأبو داود ٢٨/٢(١٢٩٠)، والترمذي ٣٣٨/٢(٤٧٤)، وغيرهــم، واللفــظ للـبخاري: عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَــارِ وَكَانَ ضَخْمًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الصَّلَاةَ مَعَكَ فَصَنَعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ طَعَامًا فَدَعَاهُ إِلَى بَيْتِهِ وَنَضَحَ لَهُ طَرَفَ حَصِيرٍ بِمَاءٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَكْعَتَيْنِ وَقَالَ فُلَانُ بْنُ فُلَانِ بْنِ جَارُودٍ لِأَنَسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الضُّحَى فَقَالَ مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى غَيْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وذكر الإمام الهادي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى رجل يصلي الضحى فقال: ما له ينحر الصلاة نحره الله. المنتخب/٦٣.

ولبيك فهو: إجابة الله سبحانه، وتعظيم لما نذب إليه من الحج، وقوله لا شريك لك، يقول: لا شريك لك في العبادة، ولا إله معك، والحمد فهو: الشكر له عز وجل على نعمه، وقوله: والنعمة لك، التي على العبد، والملك فهو: ملك الله عز وجل للأشياء جميعا، لا شريك له في ذلك، ولا نظير.

٢٨٤-وسألت عن الحديث الذي روي عنه عليه وآله السلام، في قتل شيوخ المشركين، واستحياء شرحهم ؟

وشرحهم، فهو صبيا نهم، فقد نهى عليه وآله السلام، عن قتل الصبيان، وأمر بقتل من عَنَدَ عن الحق من شيخ وشاب بالغ، وقد يدخل في شرح الشباب أبناء الثلاثين والأربعين، وهؤلاء إذا لم يطيعوا، وحاربوا فهم من المقتولين، والذي نهى عنه رسول الله عليه وآله السلام فقتل الصبيان والنساء، وأما الحديث الذي يروى أنه كره عليه السلام الشكال في الجمل [1]، فهذا حديث لا نعرفه، و لم نسمع به.

وأما الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، أنه خطب الناس على راحلته، وهي تقصع بجرتها [2]، فذلك حديث صحيح، وإنما كان هذا منه عليه وآله السلام في السفر لا في القرية والحضر.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الشِّكَالَ مِنَ الْخَيْلِ.

والشِّكَالُ مِنَ الْخَيْلِ أَنْ تَكُونَ ثَلَاثُ قَوَائِمَ مُحَجَّلَةً وَوَاحِدَةٌ مُطْلَقَةً أَوْ تَكُونَ الثَّلَاثَةُ مُطْلَقَةً وَرِجْلٌ مُحَجَّلَةً وَلَيْسَ يَكُونُ الشِّكَالُ إِلَّا فِي رِجْلٍ وَلَا يَكُونُ فِي الْيَدِ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٤٧) بلفظ: عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ وَأَنَا تَحْتَ جِرَانِهَا وَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا وَإِنَّ لُعَابَهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ رَغْبَةً عَنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا.

٢٨٥- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام أن المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد كان ذلك منه عليه وآله السلام، وقد روي أنه قاله، وذلك أن رجلاً من أهل الشرك قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبات عنده، فأمر له بعشاء فأمر له بعشاء كثير يكفي رجلين، فأكله و لم يشبع، ثم أمر له بقدح لبن فشربه فلم يشبع، ثم أمر له بطعام فعمل أكثر من الأول، وسقي لبناً من بعده فشبع. فلما أن صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبح أمر له بطعام كثير فعمل [كما عمل أولا]، ثم أسلم الرجل على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر به فقدم إليه الطعام، فلم يؤثر منه إلا أثرا ضعيفاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تأكل؟! فقال يا رسول الله: ما أطيق أكثر مما أكلت. فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « المؤمن يأكل في معاء واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء ».

٢٨٦- وسألت عن الحديث الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (٢)، فلعمري أن من لم يستح لجدير

---

(١) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ٢/٤٠٧.

وأخرجه مسلم برقم (٣٨٤٣) بلفظ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ عِيسَى أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤١٦٢) بلفظ: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ.

أن يفعل ما أحب، والحياء من الدين كما قال عليه السلام [1]، ولا دين لمن لا حياء له، ومن لم يستح من الله لم يطعه، ومن لم يطعه كان حقيقاً بجهنم.

٢٨٧- وسألت عن الحديث الذي يروى في المصلي إن الشيطان يقول له في تطويل صلاته: إنك ترآي ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا ينبغي لأحد أن يشغل نفسه بوسواس الشيطان، ولا يفسد نيته بمعاريضه، وليمض على نيته وقصده.

٢٨٨- وسألت عن العج والثج [2]؟

والعج فهو: التلبية والدعاء إلى الله عز وجل، والثج فهو: النحر.

٢٨٩- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: « إن الخراج بالضمان » [3].

والخراج فهو: الغلة، وهو للمشتري إذا استحق عليه المال، بما يشغل من بضاعته.

٢٩٠- وسألت رجل دفع بقرة حلوبا إلى رجل، على أن يحفظها ويرعاها، ويكون الولد الذي تلد بينهما نصفين، ومع البقرة ولد ولم يشترط في اللبن شيئا، ولا في الولد الذي معها، وإنما اشترط فيما تلد مستقبلاً، ثم بدا له أن يأخذها من يده بعد ما مر عليه أشهر. فقلت: كيف الحكم في ذلك ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ما فعل هذان الرجلان فحرام لا يجوز، لأن صاحب البقرة استأجر الراعي بشيء عَدَم لم يوقف عليه، وهذا فاسد، وله أجرة

---

(١) رواه الهادي في الأحكام ٢/٥٤٧.

(٢) أخرجه الدارمي برقم (١٧٢٩) بلفظ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ قَالَ الْعَجُّ وَالثَّجُّ الْعَجُّ يَعْنِي التَّلْبِيَةَ وَالثَّجُّ يَعْنِي إِهْرَاقَةَ الدَّمِ.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٢٠٦)، والنسائي برقم (٤٤١٤)، وأحمد برقم (٢٤٨٠٦) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى أَنَّ الْخَرَاجَ بِالضَّمَانِ.

مـــثله في مدته التي رعاها، وإن خلفها عنده بأجرة، ثم تلفت بوجه ضياع، وتقصير ضمن وغرم، وإن تلفت بما لا حيلة فيه ولا تضييع، فليس عليه ضمان، وإن تلفت بشـــرطهما الأول فلا ضمان عليه، إلا إن يكون قتلها أو يعمل في إتلافها، فأما ما يطالـــب بـــه الأجير في أجرته من الضمان، فلا يلزم هذا، لأنه لم تصح له أجرة في معاملته الأولى.

٢٩١- وسألت عن رجل له غنم وبقر فأراد أن يدفعها إلى رجل كيف يعمل ؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: يفعل فيها أحد معنيين، إما استأجره فيها بنقد مســـمى إلى مدة معروفة، وإما أن يعطيه بعضها على أن يرعاها كذا وكذا سنة، فذلك جائز.

٢٩٢- وســـألت عـــن الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم أنـــه قال: « لا جزية على مسلم »[1]. فقلت: كيف تكون على مسلم جزية ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إنما أراد عليه وآله السلام بقوله: « لا جزية على مسلم »، أنه لا جزية على أحد من أهل الكتاب بعد أن يسلم، مثل اليهودي يسلم عـــند وجوب الجزية عليه، فيطلب منه ما وجب عليه من الجزية قبل إسلامه، فلا يجوز أن يؤخذ منه شيء، لأن الإسلام قد طرح منه ما كان عليه أولاً.

٢٩٣- وســـألت عن الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « في النهي عما كانوا يتعاملون به في المزارعة من اشتراطهم ثلث جداول وما سقى الربيع »؟

وهذه معاملة حرام لا تجوز، وليس الخبر فيها بصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه قد نهى عن الغرر.

---

(١) أخـــرجه أبو داود برقم (٢٦٥٥)، والترمذي برقم (٥٧٤)، وأحمد برقم (١٨٤٨) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ جِزْيَةٌ.

وأما الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « من يسره أن يذهب وحر صدره فيصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر »[1]. فقد روى عنه عليه وآله السلام أنه دل على فضل صيام ثلاثة أيام في كل شهر، وهي تسمى أيام البيض، وروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر »[2].

وشهر الصبر فإن كان روي عنه بهذه اللفظة، فالذي أراد شهر رمضان، لأن صيامه واجب، وليس لأحد رخصة في ترك صيامه، إلا من ذكر الله سبحانه.

٢٩٤- وسألت عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « من تعلم القرآن ونسيه حشر يوم القيامة أجذم »[3]؟

---

(١) أخرجه النسائي برقم (٢٣٦٦) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ شَهْرُ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ.

وأخرج النسائي أيضا برقم (٢٣٤٤) بلفظ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يَصُومُ الدَّهْرَ قَالَ وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَطْعَمِ الدَّهْرَ قَالُوا فَثُلُثَيْهِ قَالَ أَكْثَرَ قَالُوا فَنِصْفَهُ قَالَ أَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٣٩) بلفظ: عن عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَبْدَاللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ قُلْتُ وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ نِصْفَ الدَّهْرِ فَكَانَ عَبْدُاللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٢٦٠) بلفظ: عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنِ امْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمَ.

فهـــذا حديث أكرمك الله لا نعرفه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذه المســـائل أحاديث ضعيفة لم يروها عالم، وليس لها أصل، فما كان مثل هذا فليس للـــنظر فيه معنى، لأن ما لم يصح و لم ينقله الثقة، و لم يشهد له الكتاب، فليس هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٩٥- وسألت هل يسب المؤمنُ الفاسقَ إذا سبه ؟

قـــال محمـــد بن يحيى رضي الله عنه: لا نحب لمؤمن أن يشاتم فاسقاً، لأن الفاسق جـــرى عـــلى قبيح الكلام والبهتان، والمؤمن فلا يحل له أن يتكلم بما لا يحل من الكـــلام، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣] ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان:٧٢] ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾.

٢٩٦- وسألت عن قول الله سبحانه: و ﴿ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى:٣٩] ؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: البغي فهو: في الدين، فيجب على المسلمين أن يحاموا عن دينهم، ويجاهدوا مع الأئمة على إقامة أحكام الكتاب، وإظهار السنة، لأن مـــن بغـــى على الله عز وجل وعلى رسوله وعلى ما افترض من دينه، فقد أوجب الله عز وجل قتله وقتاله.

ومن البغي أيضا: الظلم والتعدي، مثل قوم يعمشون [1] قوماً يريدون أخذ أموالهم، وهتك حريمهم، فقد جعل الله عز وجل لهم السبيل إلى الدفع عن أنفسهم، والقتال للـــباغي علـــيهم، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه، فقال سبحانه: ﴿ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجـــرات:٩]. وكل من بغى وظلم، فقد جعل الله سبحانه السبيل إلى الانتصار منه، بمـــا أنزل سبحانه من حكمه، ففي ما حكم الله عز وجل على الظالمين من أحكامه

---

(١) كذا في المخطوط.

كفايـــة للمكافين، ولا يجوز لأحد أن يتعدى في المكافأة، وما جعل الله سبحانه من الحكم، ومن فعل ذلك كان من الظالمين [١]، وكل تعدٍّ فهو بغي وظلم.

٢٩٧- وســـألت عـــن قـــول الله سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى:٣٢] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عز وجل ﴿ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ مما حكم به ســبحانه منها، مثل رجل يقتل رجلاً، فحكم الله عز وجل عليه بمثل فعله، فقال تــبارك وتعالى: و ﴿ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٥]. ومثل رجل يقطع يد رجل ظــلماً فيقطع يده، وآخر يقلع عين إنسان فيقلع عينه، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المـائدة:٤٥]. فهـــو مـــن المعتدي ظلم وابتداء، وهو من المستنصف حكم وجزاء.

٢٩٨- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنـــه قال: « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا جادا » [٢]. فقلت ما معنى هذا الحديث ؟

قـــال محمـــد بن يحيى رضي الله عنه: قد يكون اللاعب الجاد الذي يأخذ لصاحبه شـــيئا، فإن فطن به قال إنما كنت ألعب، وإن غبي عنه أخذه ومضى به على وجه السرقة.

وأمـــا الحديث الذي يروى في منع نفع البير، فإنما نهى عنه عليه وآله السلام عن المـــنع للماء [٣]، وإن كثيراً من الناس في دهرك هذا يمنعون ماء البير ودلوها، ولا يجوز ذلك في أخلاق المومنين.

---

(١) في المخطوط: المظلمين. وكتب فوقها (كذا). وما أثبت احتهاد.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٦٣) بلفظ: عَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ صَاحِبِهِ لَعِبًا جَادًّا وَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرْدُدْهَا عَلَيْهِ.

(٣) أخـــرجه ابن ماجة برقم (٢٤٧٠) برقم: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُمْنَعُ

وأما الحديث الذي يروى في: « منع الماء ليمنع الكلاء »[1]، فقد يفعل ذلك كثير من الأعراب الرعي.

٢٩٩- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كان إذا استفتح القرآن قال: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم ومن غمزه ونفثه ونفخه »[2]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما الاستعاذة في الصلاة من الشيطان الرجيم، فقد كان عليه وآله السلام يفعلها، وذلك في كتاب الله عز وجل، حين يقول: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨].

وأما النفث والنفخ فلسنا نعرفه، وهذا من زيادات أصحاب الحديث، وقد ذكروا في النفث أنه الشّعر، ولو كان ذلك ما قاله أمير المؤمنين عليه وآله السلام.

فَضْلُ الْمَاءِ وَلَا يُمْنَعُ نَقْعُ الْبِئْرِ.

وأخرجه أيضا أحمد برقم (٢٣٩٣٦) بلفظ: أحمد عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُمْنَعَ نَقْعُ الْبِئْرِ قَالَ يَزِيدُ يَعْنِي فَضْلَ الْمَاءِ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَمْنَعُوا فَضْلَ الْمَاءِ لِتَمْنَعُوا بِهِ فَضْلَ الْكَلَإِ.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٤٠٦٨) بلفظ: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قَالَ يَحْيَى قَالَ أَبُو سَلَمَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هَمْزُهُ وَنَفْخُهُ وَنَفْثُهُ قَالَ أَمَّا هَمْزُهُ فَهَذِهِ الْمُوتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ بَنِي آدَمَ وَأَمَّا نَفْخُهُ فَالْكِبْرُ وَأَمَّا نَفْثُهُ فَالشِّعْرُ.

٣٠٠- وسـألت عن ذي القرنين وما روى أنه دعا قومه إلى الله سبحانه فضربوه على قرنيه [(١)]. وقلت: ما كان ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما ما ذكروا عن ضربه على قرنيه، فليس ذلك بشـيء، وإنما هـو اسم يسمى به، وقد قيل: إنه رأى في اليوم أنه أخذ بقرني الشمس فعبره له المعبر أنه يملك الشرق والغرب. وإنما كان عبداً صالحاً.

٣٠١- وسـألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة:٢٤٧]. فقلت: أكان داود أم غيره ؟

قـال محمـد بـن يحيى رضي الله عنه: ليس هو بداود، ولكنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وإنما داود عليه السلام كان من بعد قيام طالوت، وداود فهو الذي قتل جـالوت، وكـان مـن خبر داود وطالوت ما قد بلغكم من عجائب أخبارهما، وطـرائف حديثهما، وما كان من جرأة طالوت على داود، ونكباته [(٢)] فيما كان جرى بينه ونبيه.

---

(١) أخـرج ابـن عـبد الحكم في فتوح مصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مـردويه، مـن طريق أبي الطفيل، أن ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب عن ذي القرنين: أنبيا كان أم ملكا؟ قال: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه، ونصح لله فنصحه ... فبعثه الله إلى قومه فضـربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله لجهادهم. ثم بعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر فمات. فأحياه الله لجهادهم. فلذلك سمي ذا القرنين، وإن فيكم مثله.

وأخـرج أبو الشيخ في العظمة، عن أبي الورقاء قال: قلت لعلي بن أبي طالب: ذو القرنين ما كان قرناه؟ قال: لعلـك تحسب أن قرنيه ذهب أو فضة، كان نبياً فبعثه الله إلى أناس فدعاهم إلى الله تعالى، فقام رجل فضرب قـرنه الأيسـر فمات، ثم بعثه الله فأحياه، ثم بعثه إلى ناس فقام رجل فضرب قرنه الأيمن فمات، فسماه الله ذا القرنين. الدر المنثور ٥/٤٣٥ - ٤٣٦.

(٢) في المخطوط: جرة. ونكباته. مهملة.

٣٠٢- وسألت عن الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه: « كان إذا صلى بالليل فمر بآية فيها ذكر الجنة سأل، وإذا مر بآية فيها ذكر النار تعوَّذ، وإذا مر بآية فيها تتريه لله عز وجل سبح وهلل »[(١)]، فقلت: هل كان ذلك في فريضة أو نافلة ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث فاسد لم يصح عنه عليه وآله السلام، وفي هذه الأحاديث التي سألت عنها أحاديث باطلة فاسدة، لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و لم يفعلها قط. منها: ما قد طرحناه، ومنها ما احتججنا فيه بما يحسن من التأويل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن يتكلم في نافلة ولا فريضة، ولا يستحل ذلك، وهذا باطل من الحديث محال.

٣٠٣- وسألت عن الإمام يصلي برجل واحد فيركع فيسمع في المسجد حسَّ قوم. فقلت: هل يطول الركوع حتى يلحقوا أم يرفع رأسه؟ وكذلك في السجود ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا نحب[(٢)] لمن اعتقد الصلاة بواحد، و لم ينو أنه يصلي بغيره أن يصلي بأحد حتى يعقد الصلاة والنية لجميعهم، وكذلك لو أنهم دخلوا والإمام يصلي وحده، فركعوا بركوعه وسجدوا بسجوده، لم نر أن صلاتهم تامة، لأنه لم ينو الصلاة بهم ولا الأمُّ لهم. وإذا دخل الإمام فصلى برجلين، واعتقد الصلاة بالجماعة، جاز أن يصلي بصلاته من لحقه فيها، لأنه

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩١) بلفظ: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ قَالَ وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ.

(٢) في المخطوط: لا يجب. وما أثبت اجتهاد.

اعتقد أن يؤم من صلى وراءه، ومن لحق الإمام في الركوع اعتد بالركعة، ومن لحقه في السجود لم يعتد بها، واستأنف الصلاة عند قيام الإمام، والله سبحانه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج:٧٧]. ومن لم يركع فلم يؤد ما ذكر الله عز وجل من تمام الصلاة.

٣٠٤- وسألت عمن نسي القنوت، وعمن لحق الإمام في الركعة الثانية من الصبح فقنت الإمام. فقلت: هل يقنت معه الرجل أم لا ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: من نسي القنوت فصلاته تامة غير فاسدة، وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه: « كان يقنت حتى يقال: لا يتركه، وربما تركه عليه وآله السلام »[1]، وإذا قنت الإمام فلا نحب[2] لأحد أن يعيد القنوت، لأن قنوت الإمام وجهره يجزي لمن خلفه عن القنوت، كما قراءته إذا جهر بها مجزية لهم عن القراءة، وهذا الذي لحق الإمام في الركعة الثانية، فإذا سلم الإمام قام فأتم وقنت.

٣٠٥- وسألت عن الحديث الذي يروى أن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط ترفع له شجرة، فيقول: يا رب أدنني من هذه استظل بها، ثم ترفع له أخرى فيقول مثل ذلك[3]؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٩٢) بلفظ: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ.

(٢) في المخطوط: فلا يجب. وما أثبت اجتهاد.

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٠٧٨٤) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ فَقَالَ أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَأَكُونَ فِي ظِلِّهَا فَقَالَ اللَّهُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا قَالَ لَا وَعِزَّتِكَ

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: اعلم أن هذا الحديث - أكرمك الله - باطل عن النبي عليه وآله السلام، وإنما هذا من روايات الحشوية وأهل الباطل، وليس في الآخرة شمس فيستظل منها، وإنما هي دار نور، والشمس فتكون كما قال سبحانه: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ ﴾ [الأعراف:٢٠٤]. وتكويرها فهو: فناؤها، فلا يلتفت إلى هذه الأحاديث المخترعة، والأقاويل المختلفة، فإنها معمية للقلب، مخالفة للكتاب، والكتاب يكذبها ويشهد بباطلها، وإنك إن شغلت نفسك بالنظر فيما لا يصح من الحديث، وقعت في بحور عميقة، يطيش فيها الفهم، ويتحير فيها اللب، وفقك الله للهدى، وجنبك الغي والردى.

وأما الحديث الذي يروى عن عدي بن حاتم فهو أيضا مزيود فيه، غير مثبت أصله.

.وأما الحديث الذي يروى في المدينة أنه عليه وآله السلام قال: « يخرج منها قوم إلى اليمن والشام والمدينة خير لهم لو كانوا يعملون ». فهذا حديث لم نروه عنه عليه وآله السلام، ولكن روينا عنه في الحرمين، أنه قال: « يأتي على الناس دهر ينور فيه الإسلام بين الحرمين، ويكونان أول البلد فتنة ».

فَقَدِّمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ وَثَمَرٍ فَقَالَ أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَآكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا فَقَالَ اللَّهُ لَهُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ فَيُقَدِّمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَتُمَثَّلُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَثَمَرٍ وَمَاءٍ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَآكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا فَيَقُولُ لَهُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيُقَدِّمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَبْرُزُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَكُونَ تَحْتَ نِجَافِ الْجَنَّةِ وَأَنْظُرَ إِلَى أَهْلِهَا فَيُقَدِّمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ قَالَ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ فَإِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ هَذَا لِي قَالَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ سَلْ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ قَالَ ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَيَقُولَانِ لَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ فَيَقُولُ مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ قَالَ وَأَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يُنْعَلُ مِنْ نَارٍ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ.

٣٠٦- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: « لا ضر في الإسلام »[1]؟

فإنما أراد عليه وأهله السلام: لا ضرورة بأهل الإسلام، لأن ترك الإضرار من الإسلام، وليس من أخلاق المؤمنين التضار ولا التحاسد ولا إدخال الضرر بعضهم على بعض، وإنما كان ذلك في الجاهلية، فنهى عنه عليه وآله السلام.

٣٠٧- وسألت عن الحديث الذي يروى في: « حرشة الأرض ». فقلت: ما معنى ذلك ؟

٣٠٨- قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الحرشة فهي: الضب والوتر والوزل فأشباه هذا فيما يكون في الجبل والسهل، مما لم يأت فيه تحريم، وهو يسمى من حرشة الأرض، وحرشة الجبال، وقد يروى أنه أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ضباب فلم يأكلها، وأكلها أصحابه، فلم ينههم عنها »، [2]، وكلما جاز أكله وحل، فإذا حواه صاحبه في حرزه ثم سرق، ففيه القطع إذا بلغت قيمته عشرة دراهم فقله.

---

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٢٣٣٢)، وأحمد برقم (٢٧١٩).

(٢) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ٢/٤٠٣.

وأخرجه البخاري برقم (٢٣٨٧) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا قَالَ أَهْدَتْ أُمُّ حُفَيْدٍ خَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقِطًا وَسَمْنًا وَأَضُبًّا فَأَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَقِطِ وَالسَّمْنِ وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقَذُّرًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأُكِلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ كَانَ حَرَامًا مَا أُكِلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخرجه البخاري أيضا برقم (٦٧٢٥) بلفظ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ سَعْدٌ فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَنَادَتْهُمُ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَحْمُ ضَبٍّ فَأَمْسَكُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا أَوِ اطْعَمُوا فَإِنَّهُ حَلَالٌ أَوْ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ شَكَّ فِيهِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي.

وأمــا الحديث الذي ذكرت في: « الرؤيا التي رأها رجل، فاستهالها، فقال: خلافة نبوة »، فهذا حديث لا نعرفه، وهو مما اختلف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنا قدر روينا عنه عليه وآله السلام، أنه قال: « إذا رأى أحدكم رؤيا تغمــه فلينفث عن يمينه وعن شماله، ويقول: أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض من شر هذه الرؤيا، ومن شر ما أخاف وأحذر ».

٣٠٩- وســألت عــن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: « شر النساء المختالة المتبرجة »؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إنما أراد عليه وآله السلام بالمختالة المعجبة بنفسها، المخطــئة لطــريق رشدها، التي لا تقبل نصيحة من نصحها، والمتبرجة فهي: التي تظهر زينتها، وتكشف رأسها، وتصدى للرجال، وتهتك حجابها، فتلك مستوجبة للنقم، لا تدخل الجنة، ولا ينظر الله سبحانه إليها.

٣١٠- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والخنا ويخون الأمين »[1]؟

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند برقم (٦٥٧٧) بلفظ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ مَطَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ شَكَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْحَوْضِ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَبْرَةَ رَجُلٌ مِنْ صَحَابَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ انْطَلَقَ وَافِدًا إِلَى مُعَاوِيَةَ انْطَلَقْتُ مَعَهُ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَحَدَّثَنِي مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ حَدِيثًا سَمِعَهُ مِــنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ قَالَ فَإِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا أَعْرَقْتَ هَذَا الْبِرْذَوْنَ حَــتَّى تَأْتِيَــنِي بِالْكِتَابِ قَالَ فَرَكِبْتُ الْبِرْذَوْنَ فَرَكَضْتُهُ حَتَّى عَرِقَ فَأَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ فَإِذَا فِيهِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّــدٍ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ وَسُوءُ الْجِوَارِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَغَيَّرْ وَلَــمْ تَــنْقُصْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَــرْ وَلَمْ تَفْسُدْ قَالَ وَقَالَ أَلَا إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ أَوْ قَالَ صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّ فِــيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا

قــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد يروى عن رسول الله عليه وآله السلام أنه قال: « إن الأرض ستملأ عدلاً ويظهر فيها الحق ويموت فيها الفسق بأئمة العدل، حــتى إذا كان آخرهم، وتمت النعمة من الله سبحانه فيما أظهر بهم، فعند موت الخامس عشر من الأئمة، وهو الذي ينبسط حكمه وأمره في الآفاق جميعاً، وعند وفاتــه يدخل النقصان في دينهم، ثم يفشو ذلك حتى لا يغير أحد منكراً، ويمضي الــرجل بالفاسق مرتكب [1] للفاسقة، فلا يقول له اتق الله، وعندها تنزل النقمة، وتــزول الــنعمة، ويكــثر الهروج ويعظم المروج، وتظلم الأرض، وتكثر الفتن، وتســفك الدماء، ويخمل الحق، ويظهر الباطل، ويخصب دهرهم، لما أراد الله عز وجــل مــن الإمــلاء لهم، ويفتح يأجوج ومأجوج، ويكون منهم من الإفساد والإهلاك للعباد ما يعظم أمره، ويجل خطره، ويطول شرحه، يأخذهم على غفلة، فإذا هم مبلسون ».

٣١١- وســألت [عن الحديث] الذي روي عن النبي عليه وآله السلام فيه النهي [عن نكاح الشغار] ؟

قــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: فهو يتزوج الرجل بنت الرجل، ويتزوج الآخر بأخته أو ابنته، فيطرح مهرها بمهر هذه، فهذا فهو الشغار، الذي لا يحل ولا يجوز، وهو حرام من الله عز وجل محرم.

٣١٢- وسألت عن الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنــه: « كــان يعوذ على الحسن والحسين عليهما السلام، فيقول: أعيذهما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » [2]؟

أَبَــدًا قَــالَ أَبُو سَبْرَةَ فَأَخَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْكِتَابَ فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ فَلَقِيَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَنَا أَحْفَظُ لَهُ مِنِّي لِسُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَمَا كَانَ فِي الْكِتَابِ سَوَاءً.

(١) كذا في المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٢٠) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما كلمة الله سبحانه التامة فهي القرآن، لأنه تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦]. ويقول عز وجل: ﴿ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩]. وهو القرآن العظيم الكريم المبارك، الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، فعوذ عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام بالقرآن العظيم، من شر الشيطان ووساوسه وشدة بلائه، نزغه وأعوانه. والهامة فهي: الدواب، مثل الحيات والعقارب، وأشباه ذلك من الهوام المتلفة. والعين اللامة، فهي: عين الحسد والمكيدة من بني آدم، لأن العرب تقول: نظرونا بعين سوء، يريدون بذلك: المكيدة لهم والحسد وقول الباطل.

٣١٣- وسألت عن عما روي عنه عليه وآله السلام أنه قال: « الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل »[1]. فقلت: ما تفسير ذلك ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى « دان نفسه »: منعه إياها في الدنيا، ومحاسبته رجاء لما أعد الله له في الآخرة، والأحمق فهو: الذي لا يميز طريق رشده، ولا سبيل نجاته، فهو متبع نفسه - كما ذكر - هواها، غير صاد[2] لها فيما

وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٨٣)، وابن ماجة برقم (٤٢٥٠)، وأحمد برقم (١٦٥٠١) بلفظ: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ.

(٢) في المخطوط: صاص. ولعلها كما أثبت أو نحوها، مما يؤدي معناها.

يدعـــوه إليه من هلكتها، والتمني على الله عز وجل، وقد نرى كثيراً من الجهال يقول: أرجو عفو الله سبحانه وإحسانه، ويتمنى مالا يلحقه إلا بعمله.

٣١٤- وســـألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام في قوله: « اللهم إني أسالك غناي وغنى موالي »[(١)]. فقلت: ما معنى ذلك ؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الموالي فهم أهل بيته، وقد ذكر الله عز وجل ذلـــك في كتابه حين يخبر عن نبيه زكريا عليه السلام، إذ يقول: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى ﴾ [مريم:٥]. والموالي يخرج في لغة العرب: الأقارب وبني العم، والنبي عليه وعلى آله السلام، فإنما أراد بهذه الدعوة أهل بيته خاصة.

٣١٥- وسألت عن السبع المثاني ؟

وهـــي - أكرمك الله - الحمد لله رب العالمين[(٢)]، وقد ذكر عن النبي عليه وعلى آله السلام فيها من الفضل أمر يجل عن الوصف حتى قال عليه وعلى آله السلام: « مـــا قرأت على مريض إلا شفاه الله عز وجل، ولا قرأها مغموم إلا فرج الله عز وجل غمه، ولا ذو حاجة إلا قضى الله عز وجل له حاجته »، ثم قال عليه وعلى آله السلام: « هي لما قرأت له ».

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٤)، وبرقم (١٥١٩٦) بلفظ: عَنْ أَبِي صِرْمَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ غِنَايَ وَغِنَى مَوْلَايَ.

(٢) أخـــرجه البخاري برقم (٤١١٤)، والنسائي برقم (٩٠٤)، وأبو داود برقم (١٢٤٦)، وابن ماجة برقم (٣٧٧٥)، وأحمد برقم (١٥١٧١)، والدارمي برقم (١٤٥٤)، واللفظ للبخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ كُنْـــتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، ثُمَّ قَالَ لِي لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَـــمُ السُّـــوَرِ فِـــي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَـــنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ.

٣١٦- وسألت من ألَّف القرآن بعد النبي عليه وعلى آله السلام ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما السور فالله عز وجل ألَّفها، ومحمد عليه وآله السلام قرأها، وأما كتابة [1] القرآن وتأليفه، الأول فالأول من السور، فعلي بن أبي طالب عليه السلام، ألَّفها وكتب المصحف بخطه.

٣١٧- وسألت عن سورة المأتين وما ذكر من قراءة النبي عليه وعلى آله السلام السبع الطوال ؟

فأما السبع الطوال فلا نعرف.

وأما قراءته بالمأتين، فلم نسمع أنه قرأ في صلاته بمأتي آية، وكان يقرأ بالسور القصار، وهذا كلام لم تُوقفنا منه على بيانه. فنجيبك على شرحه.

٣١٨- وسألت عما روي عنه عليه وعلى آله السلام أنه قال: « بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسي ولكن نسي، واستذكروا القرآن فلهو أشد تقصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها » [2]. فقلت: ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى قوله عليه السلام: « بئس ما لأحدكم »، فإنما أراد بقوله: « بئس » من طريق [3] التقبيح للفعل، والذم لمن قرأ القرآن ثم نسيه، ومعنى قوله: « ليس هو نسي ولكن نسي »، أراد عليه وعلى آله السلام: لو واضب عليه وقرأه ولم يغفله [4] لم ينسه، فلما أن تركه واشتغل بأشغال دنياه،

---

(١) في المخطوط: كتاب. وما أثبت اجتهاد.

(٢) أخرجه الدارمي برقم (٢٦٢٧)، وبرقم (٣٢١٣)، ومسلم برقم (١٣١٤)، وأحمد برقم (٣٧٦٤) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا.

(٣) في المخطوط: بئس ما لأحدكم بئس من طريق ... مكرر.

(٤) في المخطوط: يعقله. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

كانت تلك الأشغال المنسية له، وقوله عليه وآله السلام: « استذكروا القرآن »، أي: تذكروا القرآن بالتدريس له والقراءة، لأنه إذا غُفل عنه يفلت من قلب الحافظ، كما تفلت الإبل من عقلها فتذهب.

٣١٩- وسألت عن الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: « لا تمككوا على غرمائكم »[(١)]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وعلى آله السلام بالتمكك: المطل وسوء العشرة، والتغلب والإخلاق للغريم، فنهى عن ذلك، لأنه ظلم فلا نحب لأحد عندما يمكنه قضاء دينه أن يمنع صاحبه منه عند طلبه إياه، وحاجته إليه.

٣٢٠- وسألت عن القاشرة والمقشورة[(٢)]؟

وهذه لغة لا نعرفها، ولم نسمع بها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن قد سمعنا أن العرب تسمي الرجل إذا كان مساوما قاشورة، فأما الحديث الذي رويت فلسنا نعرفه.

٣٢١- وسألت عن قول النبي عليه وعلى آله السلام: « مثل المؤمن والإيمان كمثل القريبين يحول ثم يعود إلى أخيته »؟

فهذا حديث لا نعرفه، ولغة غير صحيحة، ليست تخرج الأخية في العربية.

---

(١) قال ابن منظور: وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تمككوا على غرمائكم. يقول: لا تلحوا عليهم إلحاحا يضر بمعايشهم، ولا تأخذوهم على عسرة وارفقوا بهم في الاقتضاء والأخذ، وأنظروهم إلى ميسرة ولا تستقصوا)). لسان العرب، مادة: ملك.

وأخرجه البخاري برقم (٢١٢٥) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٣٣) بلفظ: عن عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْعَنُ الْقَاشِرَةَ وَالْمَقْشُورَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُوتَشِمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُتَّصِلَةَ.

٣٢٢- وسألت عما روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « سمع قراءة في المسجد فقال: ما له رحمة الله لقد أذكرني آيات كنت نسيتها من سورة كذا وكذا »[1]. فقلت ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث غير صحيح عن النبي عليه وعلى آله السلام، لأنه لم يكن يذهب شيء[2] من كتاب الله عز وجل، بل كان به عارفاً وله حافظاً.

٣٢٣- وسألت عما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « شر ما أعطي العبد شح هالع، وجبن هالع »[3] ؟

والشح فهو: شر ما في العبد، والله سبحانه لا يعطيه إياه، وإنما أعطاه العبد نفسه، وجَشَّمها[4] إياه، ومعنى[5] « شح هالع »، فالشح هو اللوم والضنانة من العبد حتى لا يخرج شيئا، والهلع فهي: إعظام الشيء وكبره[6] في عينه حتى لا يخرجه. والجبن الخالع فهو: الذي يخلع القلب، وذلك أيضاً من العبد اكتساب، ولو كان من الله عز وجل ما ذمهم عز وجل على جبنهم، ولا مدحهم في شجاعتهم، لأن الله عز وجل لا يذم فيما خلق، كما أنه لو خلق رجلاً أعمى ما ذمه في ترك البصر

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٥٠)، ومسلم برقم (١٣١١)، وأبو داود برقم (١١٣٤)، وأحمد برقم (٢٣١٩٩)، واللفظ للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فَقَالَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا.

(٢) في المخطوط: شيئا. والصواب ما أثبت.

(٣) أخرجه أحمد برقم (٧٦٦٨)، (٧٩١٥)، وأبو داود برقم (٢١٥٠).

(٤) جشمها: كلفها.

(٥) في المخطوط: ومعناه. ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) في المخطوط: وكثره. ولعل الصواب ما أثبت.

والجهـاد، ولـو جعله جباناً ما ذمه في القرآن، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الممتحنة:١٢]. ويقـول عز وجل: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:١٦]. فلما أن ذمهم الله على فرارهم، علمنا أن ذلك من أفعالهم، وقد يمكن أن يكون معنى قوله: « جبن هالع » أي: خالع من الطاعة لله عز وجل في قتال عدوه، والجهاد في سبيله، فقد انخلع من طاعته، وخرج يقينا من أمره.

٣٢٤-وسـألت عما روي عن النبي عليه وآله في: « الدجال أنه جفال الشعر »[(١)]. فقلت ما معنى جفال الشعر ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: جفال الشعر هو الكثير المتراكم.

وأمـا مـا سألت عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ليس أحد يدخل بعمله الجنة. قيل: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[(٢)]. فقلت: ما معناه، وهل هو صحيح ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن الجنة لا يدخلها إلا من عمل، وهذا الحديث فليس بصحيح، ولا يخرج من جهة إلا أن يكون المتأول يتأول في قوله: « يتغمدني الله برحمته »، أن يغفر الذنوب في الدنيا، وإذا غفرها سبحانه فقد تغمَّدها، وبسط في الرحمة والإقالة، فعلى هذا يخرج معنى الرحمة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٢٢٢)، وابن ماجة برقم (٤٠٦١)، وأحمد برقم (٢٢١٦٦)، وبرقم (٢٢٢٧٦) بلفظ: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٢) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا.

٣٢٥–وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وعلى آله السلام أنه قال: « لولا بنو إسرائيل ما خثر الطعام، ولا أنتن اللحم، كانوا يرفعون الطعام يومهم لغدهم »[1]. فقلت: هل يكره أن يتخذ الطعام لغد أو لأكثر منه ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث لا نعرفه عن رسول الله عليه وعلى آله السلام، وهذا من عجائب أصحاب الحديث وزياداتهم، فلا تشغل نفسك بهذه الأسباب التي ليس لك فيها منفعة، ولا لك عائدة، واعتمد في أمرك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه عليه السلام، تجد فيهما شفاء قلبك، وجلاء صدرك، وحبس الطعام فليس بمذموم، بل هو جائز أن يخبز ليومين وثلاث، وكل ذلك جائز مباح.

٣٢٦–وسألت عن قول رسول الله عليه وعلى آله السلام حين ذكر المدينة فقال: « من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل »[2]. فقلت: ما معنى ذلك ؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ يَعْنِي لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا.

وأخرجه البخاري أيضا برقم (٥٩٨٢) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٢٥٨) بلفظ: عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَقَالَ ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ قَالَ أَبو عَبْد اللَّه عَدْلٌ فِدَاءٌ.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وعلى آله السلام من أحدث حدثا بفساد وإظهار منكر، فعليه لعنة الله، وكذلك من آوى فيها وستر ومنع محدثاً، فعليه لعنة الله أيضا. ومعنى « لا يقبل منه صرف ولا عدل » في يوم القيامة إذا مات ولم يتب، والصرف فهو: الانصراف عما كان عليه، والعدل فقد قيل: إنه الفدية.

٣٢٧-وسألت عن قول الله عز وجل: لا ﴿ تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان:١٩] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [الفرقان: ١٩] فهو: بما جئتم به من الوحي والتنزيل، وكرهوه فلم يقبلوه ونسوه فأنكروه، ثم قال عز وجل: فلا ﴿ تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾. ومعنى: لا ﴿ تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان:١٩] فهو: لا يستطيعون في الآخرة صرف العذاب عن أنفسهم، ولا ينصر بعضهم بعضاً مما ينزل بهم من عقاب ربهم، لأنهم في الدنيا التي جعلت لهم فيها المهلة، قد استطاعوا الإكذاب والجحدان، ولا يستطيعون ذلك في الآخرة لما ينزل بهم من عقوبة النيران.

٣٢٨-وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، أنه: « كره عشر خلال فمنها تغيير النسب، بغير سرقة، وعزل الماء عن محله »[(1)]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ذكرت أن النبي عليه وآله السلام كره عشر خلال ثم لم تسمها، فنجيبك عليها، وأن النبي عليه السلام فقد كره أشياء كثيرة،

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٨٦)، وأحمد برقم (٣٥٨٦)، والنسائي برقم (٥٠٠١). واللفظ لأبي داود: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِلَالٍ الصُّفْرَةَ يَعْنِي الْخَلُوقَ وَتَغْيِيرَ الشَّيْبِ وَجَرَّ الْإِزَارِ وَالتَّخَتُّمَ بِالذَّهَبِ وَالتَّبَرُّجَ بِالزِّينَةِ لِغَيْرِ مَحَلِّهَا وَالضَّرْبَ بِالْكِعَابِ وَالرُّقَى إِلَّا بِالْمُعَوِّذَاتِ وَعَقْدَ التَّمَائِمِ وَعَزْلَ الْمَاءِ لِغَيْرِ أَوْ غَيْرَ مَحَلِّهِ أَوْ عَنْ مَحَلِّهِ وَفَسَادَ الصَّبِيِّ غَيْرَ مُحَرِّمِهِ قَالَ أَبُو دَاود انْفَرَدَ بِإِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أكثر من عشر وعشر، فأما تغيير النسب، فقد نهى عنه، وقال: « ملعون من انتفى من نسبه وإن دق، ولا يحل لأحد أن ينتسب في غير نسبه »[1].

وأما عزل الماء عن محله، فإنما نهى عليه وآله السلام عن ذلك، إذا كان على وجه المضارة للمرأة، فأما إذا عزل رجل خوفا من فساد الدهر، وشرارة أهله، فلا بأس بذلك، لأنه إنما طلب في ذلك نظرا لنفسه، لا إدخال ضرر على امرأته.

٣٢٩- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، أنه قال: « قافية رأس أحدكم ثلاث عقد، فإذا قام الليل وتوضأ وصلى، انحلت عقدة »[2]، فقلت ما معنا؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا مما جاء به أصحاب الحديث، وهو من بدعهم، وليس بصحيح عن رسول الله عليه وآله السلام.

٣٣٠- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام، « من منحه المشركون أرضا فلا أرض لهم »[3]؟

---

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٣٧٥١) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِرْيَةً لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَزَنَّى أُمَّهُ.

وأخرجه أيضا ابن ماجة برقم (٢٧٣٤)، وأحمد برقم (٦٧٢٣)، والدارمي برقم (٢٧٣٧)، وبرقم (٧٣٨)، واللفظ لابن ماجة: عَنْ عَمْرِو ابْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُفْرٌ بِامْرِئٍ ادِّعَاءُ نَسَبٍ لَا يَعْرِفُهُ أَوْ جَحْدُهُ وَإِنْ دَقَّ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٠٧٤)، ومسلم برقم (١٢٩٥)، والنسائي برقم (١٥٨٩)، وأبو داود برقم (١١١١)، وابن ماجة برقم (١٣١٩)، وأحمد برقم (٧٠٠٧)، ومالك برقم (٣٨٣)، واللفظ للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٢٩٤٨) بلفظ: عَنِ ابْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَنَا أَبُو رَافِعٍ مِنْ عِنْدِ

قـال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وآله السلام بالمنيحة العارية، والعرب تسمي الشاة والناقة إذا أعارها إنسان إنسانا يحلبها قالوا: منيحة [١]، وفلان [٢] منح فلانـا، فـأراد عليه السلام، أن كلما أعار المشركون من أرض، ثم ظهر المسلمون عليها فهي لهم، لا للذي مُنحها.

٣٣١- وسـألت عن حديث النبي عليه وآله السلام: « من بنى مسجدا ولو مثل مفحص قطاة، بنى له بيت في الجنة » [٣]؟

فهـذا حديث قد روي عنه عليه وآله السلام، ومعنى « بنى مسجدا »، فهي هذه المساجد الذي تصلى فيها، لأن المساجد من عمارة الدين، ومن أخلاق المؤمنين، والله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور:٣٦]. وقـال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة:١٨]. وفي بنيان المساجد من الأجر والثواب كثير لو ذكرناه، وفيما ذكرنا كفاية وغنى، لمن أراد الحق والهدى.

٣٣٢- وسـألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، حين ذكر الله عز وجل، فقال: « حجابه النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره » [١]؟

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ يَرْفُقُ بِنَا وَطَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ أَرْفَقُ بِنَا نَهَانَا أَنْ يَزْرَعَ أَحَدُنَا إِلَّا أَرْضًا يَمْلِكُ رَقَبَتَهَا أَوْ مَنِيحَةً يَمْنَحُهَا رَجُلٌ.

(١) قـال ابن منظور: منحه الشاة والناقة يمنَحه ويمنِحه: أعاره إياها. وقال الجوهري: والمنيحة: منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك. لسان العرب مادة: منح.

(٢) في المخطوط: وفلانا. وما أثبت اجتهاد.

(٣) أخرجه ابن ماجة برقم (٧٣٠٩)، وأحمد برقم (٢٠٥٠) بلفظ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَمَّارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا عن رسول الله عليه وآله السلام، باطل، وهذا من روايات المشبهين، ومذهب من مذاهب الملحدين، عز الله سبحانه وجل عن هذه الصفة، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

٣٣٣- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام، أنه قال: « أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صفقتك وتبدل سنتك، وتفارق أمتك »، فقلت: ما معناه ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عليه وآله السلام، بأهل صفقتك: أهل البيعة، والقتال فقد يكون بالإتلاف والسيف والظلم لهم، وتبديل السنة، فهو: تبديل ما كان عليه من الحق، وما سنه ودعا إليه، لأن تبديل الحق رجوع عنه. « وتفارق أمتك »، فالأمة هم أهل الديانة، والجماعة المؤتلفة على المقالة. والعرب فتسمي الجماعة: أمة، وذلك في كتاب الله عز وجل موجود، حيث يقول: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص:٢٣]. فسمى الجماعة: أمة.

٣٣٤- وسألت عنه عليه وآله السلام، أنه قال: « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء، عفراء كفوصة النقي، ليس فيها معلم لأحد »[٢]؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٣)، وابن ماجة برقم (١٩١)، وأحمد برقم (١٨٧٦٥) واللفظ لمسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

(٢) رواه الموفق بالله في الاعتبار /٤٥٤ بلفظ: ((أرض بيضاء نقية كأنها الفضة لم يسفك فيها دم حرام و لم يعمل عليها خطيئة))، وهو في مجمع الزوائد ٧/٤٥، عن ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك. ورواه في الكبير، موقوفاً على عبد الله، وإسناده جيد،

واعـــلم - هداك الله - أنه قد روي في ذلك روايات الله أعلم بذلك، وأما معنى العفراء فهي: البيضاء، ومعنى « لا معلم لأحد » أراد به: لا ملك فيها لأحد.

٣٣٥- وســـألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، أنه: « صلى وعليه فروخ من حرير »[(١)]؟

قـــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث ليس بصحيح عن النبي عليه وآله السلام، ما سمعنا به لبس حريرا، بل « كان ينهى أن يصلى فيها »[(٢)]، وروي عنه عليه وآله السلام، أنه: « أهدي إليه ثياب من حرير، فأمر علياً عليه وآله السلام،

وأورده في المجمع أيضا ٣٤٥/١٠، وقال: رواه البزار. وهو في كنز العمال برقم (٤٤٦٠)، وعزاه في موسوعة أطـــراف الحديث إلى الدر المنثور ٩٠/٤، وتفسير ابن كثير ٤٣٨/٤، وحلية الأولياء ٩٠/٤، والطبراني ١٠/ ١٩٩، وإتحاف السادة المتقين ٤٥٤/١.

وأخرجه البخاري برقم (٦٠٤٠)، ومسلم برقم (٤٩٩٨)، واللفظ للبخاري: عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ.

(١) أخـــرجه الـــبخاري برقم (٣٦٢) بلفظ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُّوجُ حَرِيرٍ فَلَبِسَهُ فَصَلَّى فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَزَعَهُ نَزْعًا شَدِيدًا كَالْكَارِهِ لَهُ وَقَالَ لَا يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ.

(٢) أخـــرجه ابن ماجة برقم (٣٥٨١) بلفظ: عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةَ سِيَرَاءَ مِنْ حَرِيرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ ابْتَعْتَ هَذِهِ الْحُلَّةَ لِلْوَفْدِ وَلِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وأخرجه أحمد برقم (٥٤٨٧) بلفظ: عَنْ أَبِي يُونُسَ حَاتِمِ بْنِ مُسْلِمٍ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يَقُولُ رَأَيْتُ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى ابْنِ عُمَرَ بِمِنًى عَلَيْهَا دِرْعُ حَرِيرٍ فَقَالَتْ مَا تَقُولُ فِي الْحَرِيرِ فَقَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ.

وفي لفظ آخر لأحمد برقم (٢٥٥٣٢): عَنْ جُوَيْرِيَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ حَرِيرٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فقسمها على النساء »[1]، ولم يلبسها عليه السلام، ولا أمير المؤمنين عليه الرضوان.

٣٣٦- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، أنه قال لما فتح مكة: « لا يغز قريش بعدها »[2]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وآله السلام، أنه لما فتح مكة، وأسلموا على يده، أن الغزو قد انقطع عنهم بإسلامهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قبل إسلامهم يغزوهم، ويبعث السرايا في طلب عيرهم، والمضار لهم، ثم انقطع عند قهره لهم، وإيمانهم به عليه وآله السلام.

٣٣٧- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام: « إن المسجد يتروي من النخامة، كما تتروي الجلدة من النار »[3]؟

---

(١) رواه الإمام الهادي في الأحكام ٢/٤١٢.

وأخرجه مسلم برقم (٣٨٦٣) بلفظ: عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَ حَرِيرٍ فَأَعْطَاهُ عَلِيًّا فَقَالَ شَقِّقْهُ خُمُرًا بَيْنَ الْفَوَاطِمِ و قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ بَيْنَ النِّسْوَةِ.

وأخرجه أحمد برقم (١٠٢٤) بلفظ: عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةً أَوْ ثَوْبَ حَرِيرٍ قَالَ فَأَعْطَانِيهِ وَقَالَ شَقِّقْهُ خُمُرًا بَيْنَ النِّسْوَةِ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٥٣٦) بلفظ: عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ الْبَرْصَاءِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقُولُ لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وأخرجه أحمد برقم (١٤٨٦١) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعِ بْنِ الْأَسْوَدِ أَخِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ مُطِيعٍ وَكَانَ اسْمُهُ الْعَاصَ فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُطِيعًا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ بِمَكَّةَ يَقُولُ لَا تُغْزَى مَكَّةُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا وَلَا يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ الْعَامِ صَبْرًا أَبَدًا.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٦) بلفظ: عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي رَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِيَدِهِ فَتَغَيَّظَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حِيَالَ وَجْهِهِ فَلَا

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد نهى عليه وآله السلام عن النخامة في المسجد، لما في ذلك من تقذير المسجد، مع ما لا يؤمن من سجود الناس عليها، وتلطيخ وجوههم بها، وهذا من أسمج فعل يفعله الناس في المساجد، وإنما المساجد للصلاة ولذكر الله عز وجل والطهارة، فإذا جعل للوسخ لم يحل ذلك، ولم يسع.

٣٣٨- وسألت عن حديثه عليه وآله السلام: « إن منبري على ترعة من ترع الجنة »، وفي حديث آخر: « إن قدمي على ترعة من ترع الحوض »، « وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » [1]. فقلت: ما تأويله ؟

يَتَنَخَّمَنَّ حِيَالَ وَجْهِهِ فِي الصَّلَاةِ.

وأبي داود برقم (٤٠٦)، وأحمد برقم (١٠٧٥٦) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحِبُّ الْعَرَاجِينَ وَلَا يَزَالُ فِي يَدِهِ مِنْهَا فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَحَكَّهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ مُغْضَبًا فَقَالَ أَيَسُرُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُبْصَقَ فِي وَجْهِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَلَكُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَتْفُلْ عَنْ يَمِينِهِ وَلَا فِي قِبْلَتِهِ وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَإِنْ عَجِلَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ هَكَذَا وَوَصَفَ لَنَا ابْنُ عَجْلَانَ ذَلِكَ أَنْ يَتْفُلَ فِي ثَوْبِهِ ثُمَّ يَرُدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ.

(١) حديث: ((إن منبري على ترعة من ترع الجنة)). أخرجه أحمد برقم (٨٣٦٤) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ .

وبرقم (٢١٧٧٤) بلفظ آخر: عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ لَهُ مَا التُّرْعَةُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ قَالَ الْبَابُ .

حديث: ((إن قدمي على ترعة من ترع الحوض)). أخرجه أحمد برقم (١٠٤٨٧) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ وَمَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

حديث: ((وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)).

أخرجه البخاري برقم (١٧٥٥) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد روي ذلك عن رسول الله عليه وآله السلام وذكـر، وقد يمكن أن يكون قوله: « روضة من رياض الجنة »، وقوله: « منبري موضوع على ترعة من ترع الجنة »، ما يظهره على منبره ويدعو إليه، ويتكلم به من الهدى والدين، الذي به النجاة والوصول إلى الثواب، وإلى الحوض لمن تبعه، لأنـه لمـا أن كان رسول الله عليه وآله السلام، وما جاء به من الهدى الذي به النجاة طريقا إلى الجنة وإلى نعيمها، جاز أن يقول هذا. والعرب تقول بالموضع، إذا كان طاهرا مطهرا، لا فساد فيه ولا منكر: هذا من بقاع الجنة، وقد كان بين منبره عليه وآله السلام وبين بيته الذي فيه قبره، موضع طاهر زكي، ليس فيه خنا ولا ظلم، فشبه بالجنة.

٣٣٩- وسـألت عما روي عنه عليه وآله السلام، أنه كان يقول: « خير الناس رجـل ممسـك بعنان فرسه في سبيل الله، كلما سمع بمهمة طار إليها، أو رجل في شعفة في غنيمة حتى يأتيه الموت »[1]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن الممسـك بعـنان فرسه في سبيل الله أفضل الخلق، وأعظمهم درجة عند الله عز وجـل، وهـذا حديث صحيح عنه عليه وآله السلام، وأما الرجل اللازم لشعف الجـبال، فذلك إذا عدم الجهاد، وكثر الفساد، ووقعت الهروج، وكثرت المروج، وأُسـخط الرحمن، وأُرضي الشيطان، فعندها تطلب سكنا رؤوس الجبال، وتحب

وأخـرجه النسائي برقم (٦٨٩) بلفظ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ.

(١) أخـرجه الترمذي برقم (١٥٧٦) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَـيْرِ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ يُؤَدِّي حَـقَّ اللَّهِ فِيهَا أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللَّهِ وَلَا يُعْطِي بِهِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِـنْ هَذَا الْوَجْهِ وَيُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والنسائي برقم (٢٥٢٢)، ومالك برقم (٨٥٢)، والدارمي برقم (٢٢٨٨).

المهاجرة عما كان هكذا من البلدان، فذلك لفاعله أفضل حال، وأسلم من الهلكة في بقية الآجال.

٣٤٠- وسـألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، إذ يقول: « ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب، كما تتابع الفراش في النار » [(١)]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وعلى آله السلام، بقوله: « ما يحملكم »، يقـول: ما يدعوكم إلى ذلك ؟! وما يحضكم عليه، في أشيا [(٢)] بعضكم لبعض في الكـذب وتفعلونه، وتهوون فيه كما يهوي هذا الفراش في المصباح، فتهلكوا نفوسكم عند الله، بقول الكذب، كما تهلك الفراش في الزيت والنار.

٣٤١- وسـألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وعلى آله السلام، أنه: « نهى عن الصلاة في ثلاثة أوقات » [(٣)]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث صحيح عنه عليه وعلى آله السلام، « نهى عن الصلاة حيث تبزغ الشمس، حتى تستعل وتبياض، وعن الصلاة حيث يقـوم كل شيء في ضله وينتصف النهار حتى تزول الشمس، وعن الصلاة عند تظييل الشمس واصفرارها إلى أن يغرب ضوءها ».

---

(١) أخـرجه مسـلم برقم (٢٦٢٨٩) بلفظ: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ الْفَرَاشُ فِي النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَـبُ عَلَـى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) بلفظ: عَنْ مُوسَى بْنِ عُلَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ يَقُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا حِينَ تَطْلُعُ الشَّـمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ. والنسائي برقم (٥٥٧)، والترمذي برقم (٩٥١)، وأحمد برقم (١٦٧٣٧)، والدارمي برقم (١٣٩٦).

٣٤٢- فأما ما سألت عنه من قول الله سبحانه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ [الإسراء:٧٨]. فمعنى ذلك أن دلوك الشمس هو: زوالها، وهي الظهر، ومعنى ﴿ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ فهو: عند غسق الليل، وعند وإلى حرفان من حروف الصفات، يعقب أحدهما الآخر.

٣٤٣- وسألت عن الكالي بالكالي [١]؟

هو الدين بالدين.

٣٤٤- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وعلى آله السلام، إذ سأله رجل، فقال: « يا رسول الله إنا نصيب هوامَّ الإبل، فقال عليه وآله السلام، حرق النار » [٢]، فقلت: ما معنى الحدث ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى الهيم، وهي [٣] التي تهيم على وجهها، وتعجز في الطلب صاحبها، فهذه تسمى: الهيم، حتى لعل الطالب لها لا يجدها في شهرين، من شدة إمعانها، وذهابها، وفي [ذلك] ما يقول الشاعر:

رجزه يشربن من دعيج الهيم

أراد: الإبل العطاش، التي قد طال هيمانها وعدمها للماء، وتشرب من الماء كثيرا، وحرق النار، فهو: الإثم لمن أخذ الضالة لنفسه، واقتطعها بظلمه.

٣٤٥- وسألت عن رجل وجد دراهم، في صرة. فقلت: هل له أن ينتفع بها غنيا كان أو فقيرا ؟

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧/٢. قال عبد الله بن عمر: هو النسيئة بالنسيئة.

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم (٢٤٩٣)، وأحمد برقم (١٥٧٢٤) بلفظ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَوَامُّ الْإِبِلِ نُصِيبُهَا قَالَ ضَالَّةُ الْمُسْلِمِ حَرَقُ النَّارِ.

والترمذي برقم (١٨٠١) بلفظ: عَنِ الْجَارُودِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ضَالَّةُ الْمُسْلِمِ حَرَقُ.

(٣) في المخطوط: وهي. وما أثبت اجتهاد.

وقد تقدم تفسير هذه المسألة، في الشرح للقطة كيف يفعل بها.

٣٤٦- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله عليه وعلى آله السلام: « أنه أمر النساء ألا يعذبن أولادهن بالذعر ».

والذعر فليس يعرف في اللغة، إلا أن يكون من طريق الذعر الذي يذعر إنسان في متاع إنسان، يتأوه عليه ويأخذه منه، فإن كان هذا فليس يحل أن يغذى به صغير ولا كبير، وإن كان المعنى [1] غير هذا فليس يعرف في اللغة. وأما الذي قال أمير المؤمنين عليه وآله السلام: « لا قطع في الذعرة »[2]، فهي مثل الرجل يذعر في السوق فيختلس شيئا، فليس في ذلك قطع، لأن النبي عليه وعلى آله السلام قال: « لا قطع في خلسة »[3].

٣٤٧- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وعلى آله السلام أنه قال: « على المسلمين أن لا يتركوا مقدوحا في قذى، أو عقل »؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا خبر صحيح عنه عليه وعلى آله السلام، لأنه يجب على المسلمين أن يرفدوا المسلم في غرمه، وفادح أمره، الذي لزمه في غير معصية ولا سرف، وقد يجب أيضا على الإمام أن يقوم بذلك إذا كان قائما، لأن الله سبحانه قد جعل في أمواله للغارمين سهما.

---

(١) في المخطوط: لمعنى. وما أثبت اجتهاد.

(٢) لم أقف على الرواية بهذا اللفظ. ولعله يريد قول علي عليه السلام: لا قطع على خائن ولا مختلس ... أخرجه الإمام زيد في المسند /٣٣٨، وهو في كنز العمال برقم (١٣٩١٩).

والذعرة: الخلة. قال ابن منظور: وفي حديث حذيفة قال له ليلة الأحزاب: قم فأت القوم ولا تذعرهم علي. يعني: قريشا. أي: لا تفزعهم، يريد: لا تعلمهم بنفسك وامش في خفية. لسان العرب مادة: ذعر.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٣٦٨) بلفظ: عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ وَلَا مُنْتَهِبٍ وَلَا مُخْتَلِسٍ قَطْعٌ. والنسائي برقم (٤٨٨٥)، وأبو داود برقم (٣٨١٧)، والدارمي برقم (٢٢٠٧).

٣٤٨- وسـألت عن الحديث الذي يروى عن النبي عليه وعلى آله السلام في: « النهي عن الثوب المصلت »[١]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا نعرف هذا الحديث، ولا معنى للثوب المصلت، إلا أن يكون المعنى في المصلت، الثوب المصور فيه الصور، فإن كان هكذا، فقد نهى عنه رسول الله عليه وعلى آله السلام، عن الصلاة فيه.

٣٤٩- وسـألت عما روي عن رسول الله عليه وعلى آله السلام أنه قال: « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا، خير له من أن يمتلئ شعرا »[٢]؟

قـال محمـد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث ليس يصححه أهل العلم في كل الشعر، لأن الشعر يفترق على معنيين، أحدهما جائز، والآخر حرام، فأما الجائز فما كان فيه موعظة وأدب وحكمة، وأمر حسن جميل لا منقصة فيه ولا عيب، فذلك جائـز، وقد كان النبي عليه وآله السلام، يسمعه ويستشهده، وكان أمير المؤمنين عليه السلام، يرويه ويقرضه.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٧١٢): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الثَّوْبِ الْمُصْمَتِ.

وفي لفـظ آخـر لأحمد برقم (١٧٨٣): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الثَّوْبِ الْمُصْمَتِ مِنْ قَزٍّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا السَّدَى وَالْعَلَمُ فَلَا نَرَى بِهِ بَأْسًا. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ الرَّقِّيُّ قَالَ: قَالَ خُصَيْفٌ: حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُصْمَتِ مِنْهُ فَأَمَّا الْعَلَمُ فَلَا. وأبو داود برقم (٣٥٣٣).

(٢) أخـرجه البخاري برقم (٥٦٨٩)، ومسلم برقم (٤١٩١)، والترمذي برقم (٢٧٧٨)، وأبو داود برقم (٤٣٥٦)، وابن ماجة برقم (٣٧٤٩)، وأحمد برقم (٧٥٣٥).

وأمـــا المعـــنى الثاني الذي لا يجوز، فما كان من الكذب، والهجاء والرفث، ونعت حُـــرم المسلمين، والذم للصالحين، فهذا معنى من قاله، كان مأثوما، وكان حاله في جوفـــه كحـــال القيح، الذي ذكره الرسول عليه وعلى آله السلام، وهذا فعل من أفعال الغواة، وأقوال المتمردين.

٣٥٠- وســألت عما روي في المدينة، وعن قول النبي عليه وعلى آله السلام: « بارز الإسلام إليها »(١)، فقلت: ما معنى بارز ؟

فـــالأرز هـــو البيوت في الموضع والوقوف فيه، ومعنى أيضا يبرز فهو يثيب ويحمد ويعف، وهما حرفان مختلفان في اللفظ، والمعنى واحد.

٣٥١- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله عليه وعلى آله السلام: « أن أقواما أتوه فقالوا: يا رسول الله إنا نركب أرماثا لنا في البحر، فتحضر الصـــلاة، ولـــيس عـــندنا إلا سقاهنا، فنتوضأ بما البحر ؟ فقال عليه وآله السـلام: هو الطهور ماؤه، والحل ميتته »(٢)، فقلت: ما معنى ذلك، وهل تجوز أكل ميتة البحر ؟

---

(١) لم أقف على هذه الرواية.

(٢) أخـــرجه الترمذي برقم (٦٤)، والنسائي برقم (٥٩)، وأبو داود برقم (٧٦)، وابن ماجة برقم (٣٨٠)، وأحمد برقم (٨٣٨٠)، ومالك برقم (٣٧)، والدارمي برقم (٧٢٣). وفي لفظ لأحمد برقم (٢٢٠١٧): حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ الْكِنَانِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ بَعْضَ بَنِي مُدْلِجٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْكَـــبُونَ الْأَرْمَاثَ فِي الْبَحْرِ لِلصَّيْدِ فَيَحْمِلُونَ مَعَهُمْ مَاءً لِلسَّفَرِ فَتُدْرِكُهُمْ الصَّلَاةُ وَهُمْ فِي الْبَحْرِ وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنْ نَتَوَضَّأْ بِمَائِنَا عَطِشْنَا وَإِنْ نَتَوَضَّأْ بِمَاءِ الْبَحْرِ وَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا فَقَالَ لَهُمْ هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحَلَالُ مَيْتَتُهُ

وفي لفـــظ الترمذي: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ

قــال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما التمسح بما البحر فجائز حلال، وقدا أجازه عليه وعلى آله السلام فلم يحرمه، وأما ميتته فحرام أكلها، وليس ما روي عنه عليه وآله السلام، في أكلها بصحيح [1] وقد حرم الله سبحانه أكل الميتة، و لم يذكر بحراً

الْبَحْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ.

(١) أخــرجه البخاري برقم (٢٣٠٣)، ومــسلم برقم (٣٥٧٦)، والترمذي برقم (٢٣٩٩)، والنسائي برقم (٤٢٧٦)، وأبــو داود بــرقم (٣٣٤٣)، وابن ماجة برقم (٤١٤٩)، وأحمد برقم (١٣٨١٧)، ومالك برقم (١٤٥٦)، والدارمــي برقم (١٩٢٧). وفي لفظ أحمد: عن عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ غَزَوْنَا جَيْشَ الْخَبَطِ وَأُمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَجُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ حُوتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ يُقَالُ لَهُ الْعَنْبَرُ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ وَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ فَكَانَ الرَّاكِبُ يَمُرُّ تَحْتَهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ أَخْــبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُ نَحْوًا مِنْ خَبَرِ عَمْرٍو هَذَا وَزَادَ فِيهِ قَالَ وَزَوَّدَنَــا النَّــبِيُّ صَــلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ فَكَانَ يَقْبِضُ لَنَا قَبْضَةً قَبْضَةً ثُمَّ تَمْرَةً تَمْرَةً فَنَمَصُّهَا وَنَشْرَبُ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّى اللَّيْلِ ثُمَّ نَفِدَ مَا فِي الْجِرَابِ فَكُنَّا نَجْتَنِي الْخَبَطَ بِقِسِيِّنَا فَجُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا فَأَلْقَى لَنَا الْــبَحْرُ حُوتًــا مَيِّتًا فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ غُزَاةٌ وَجِيَاعٌ فَكُلُوا فَأَكَلْنَا فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَنْصِبُ الضِّلَعَ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَيَمُرُّ الرَّاكِــبُ عَلَــى بَعِيرِهِ تَحْتَهُ وَيَجْلِسُ النَّفَرُ الْخَمْسَةُ فِي مَوْضِعِ عَيْنِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ وَادَّهَنَّا حَتَّى صَلَحَتْ أَجْسَامُنَا وَحَسُــنَتْ سَــحَنَاتُنَا قَالَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ جَابِرٌ فَذَكَرْنَاهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنْ كَانَ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ فَأَطْعِمُونَاهُ قَالَ فَكَانَ مَعَنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ فَأَكَلَ مِنْهُ.

وفي لفظ مسلم: عَنْ جَابِرٍ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ وَزَوَّدَنَــا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً قَالَ فَقُلْتُ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا قَالَ نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ قَالَ وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِــيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ قَالَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَيْتَةٌ ثُمَّ قَالَ لَا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا قَالَ فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْــبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا

ولا غـيره، فكـلما وقـع عليه اسم الموت فحرام أكله، في بحر كان أو بر، وأما الأرمـات، فهـو اسـم لبعض المراكب الصغار، لأنها قد تسمى بتيدا أو خلانا، وزواريقـا، وقواربا، وكل هذه أسماء لها تسميها بها الناس، وهذا الاسم أيضا من بعض أسمائها، وأما ما رووا عنه عليه وعلى آله السلام، من قوله: « أنا فرطكم على الحـوض »[1]، فإنما أراد عليه وعلى آله السلام: أنا سابقكم، والعرب تسمي كل من تقدم وسبق: فرطاً، يقول القائل: طلبت فلانا ففرطني، أي: سبقني.

٣٥٢- وسـألت عمـا روي عن بعض أصحاب النبي عليه وعلى آله السلام أنه قال: « تحرفت عنا الخرف، وأحرق بطوننا التمر »[2].

فَـأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا قَالَ فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ.

(١) أخـرجه الـبخاري برقم (٦٠٨٩)، ومسلم برقم (٤٢٥٠)، وابن ماجة برقم (٣٠٤٨)، وأحمد برقم (٣٤٥٧). وفي لفـظ لمسلم برقم (٤٢٤٣): عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْـرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا يَقُولُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي.

(٢) لعل الحديث تصحّف عند السائل.

أخـرجه أحمـد برقم (١٥٤١٩) بلفظ: عَنْ أَبِي حَرْبٍ أَنَّ طَلْحَةَ حَدَّثَهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهـم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ لِي بِهَا مَعْرِفَةٌ فَنَزَلْتُ فِي الصُّفَّةِ مَعَ رَجُلٍ فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كُلَّ يَوْمٍ مُدٌّ مِنْ تَمْرٍ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْرَقَ بُطُونَنَا التَّمْرُ وَتَخَرَّقَتْ عَنَّا الْخُنُفُ فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّـهِ لَوْ وَجَدْتُ خُبْزًا أَوْ لَحْمًا لَأَطْعَمْتُكُمُوهُ أَمَا إِنَّكُمْ تُوشِكُونَ أَنْ تُدْرِكُوا وَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ يُرَاحَ عَلَـيْكُمْ بِالْجِفَانِ وَتَلْبَسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ قَالَ فَمَكَثْتُ أَنَا وَصَاحِبِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا

واعــلم - أكرمك الله - أنه إنما أراد بانحراف الحرف عنهم، مطر الخريف الذي به تحـيى الماشية، وتغزر به ألبانها، وينتفع بلحمها، فلما أن انحرف الخريف عن رب الغـنم وعجفت، فأحرقهم التمر وحده، لأنهم كانوا يستعينون باللبن واللحم على التمر وحده.

٣٥٣- وسـألت عن السبوة التي تروى أن رسول الله عليه وآله السلام « دخل على عائشة وهو عندها مرخى عليها سترة »؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: السبوة، فهي الصغيرة من المعز، في لغة العرب.

٣٥٤- وسـألت عما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « للأنصارية حيث سألته عن الحيض؟ خذي قرضة فتطهري بها »[1]؟

معنى القرضة: قطنة من خرق قطن، أو صوف.

٣٥٥- وسـألت عمـا روي عن رسول الله عليه وآله السلام، في الغائط، إذ يقول: « اتقوا الملاعن، واعدوا النبل »؟

قـال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد يروى عنه عليه وآله السلام، أنه: « أمر من أراد الغائط، أن يتجنب ظل الشجرة، والحوائط، وحيث تقعد الناس، وموارد الماء،

الْبَرِيرَ حَتَّى جِئْنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَوَاسَوْنَا وَكَانَ خَيْرَ مَا أَصَبْنَا هَذَا التَّمْرُ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣)، ومسلم برقم (٤٩٩)، والنسائي برقم (٣٥١)، وأبو داود برقم (٢٧٠)، وابن ماجة برقم (٦٣٤)، وأحمد برقم (٢٣٧٦٠)، والدارمي برقم (٧٧٦)، بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ قَالَ تَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ.

وقـــوارع الطرق »[1]، لأن من تغوط في شيء من هذه المواضع لم يجد[2] أحد إلا لعنه. وقوله: « اعدوا النبل »: أظنه زيادة في الحديث.

وقد قيل: إن النبل: الحجارة التي يستجمر بها.

تمت المسائل، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وأهله الأكرمين.

(١) أخـــرج أحمد بن عيسى بن زيد في أماليه عن علي: ((نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبرّز الرجل ما بين القبور، أو تحت الشجر المثمرة، أو على ضفة نهر جار)). أمالي أحمد بن عيسى [رأب الصدع ١ /٢٧(٤)]، وأخرج نحوه الطبراني.

وأخـــرجه أبو داود برقم (٢٤)، وابن ماجة برقم (٣٢٣)، بلفظ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ.

(٢) في المخطوط: يجز. ولعلها كما أثبت أو نحوها.

مجمع الإمام المرتضى عليه السلام

تفسير
سورة الكهف

تفسير سورة الكهف

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾.

قال محمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم: معنى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فهو: الحمد والثناء على الله، والشكر بما أولى، الذي أنزل الكتاب.

معنى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ فهو: الله، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، وعبده فهو: محمد صلى الله عليه وعلى آله، و﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فهو: هذا الكتاب الذي فيه النور، والشفاء، والحق والهدى، وجميع ما يحتاج إليه من حلال وحرام، ونازلة من نوازل الأنام.

ومعنى ﴿ وَلَمْ يَجْعَل ﴾، فذلك هو لاعوج فيه ولا فساد، ولا اختلاف ولا تضاد، ولا تبديل.

﴿ قَيِّمًا ﴾ فهو الثابت المصيب، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكل ما فيه نور وحجة، ولمن عَقَلَه أكبر الدلالة، قيم بجميع أحواله، قاهر لمن ناظره، فَالِجٌ لمن حاوله، لا خلل فيه ولا فساد، تنزيل من ذي العزة والأياد، حكمة بالغة، ودلالة قاهرة.

ثم قال سبحانه: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾، ولدنه فهو: من عنده، والبأس فهو: العقوبة والتنكيل، والجزاء الدائم الطويل، فجعل كتابه حجة على خلقه، ومبينا لجميع ما افترض على عباده، وقص عليهم فيه حلاله وحرامه، وحذَّرهم بما جعل من أليم عقابه، لمن عصاه، وخالف أمره سبحانه وهُداه، فهو توجيهه الرسول عليه السلام بالكتاب المبين، حجة بالغة وإعذارا إلى جميع المخلوقين.

ثم قال: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فأمر سبحانه نبيه أن يبشر المؤمنين، ﴿ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ ﴾. فهو عطاء، وهبة وجزاء،

وهو مكافأة على طاعتهم، وإكرام من الله بذلك لهم. والحسن: فهو الكامل من العطاء، المبهج لمن صار إليه من أهل الجزاء.

ثم قال سبحانه: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾. فكانت هذه زيادة في البشارة، من بعد ما ضمن لهم من الأجر الحسن والعطية الكاملة، فأخبرهم أنهم ماكثون فيه، غير زائلين عنه، ولا مستقلين منه، إذ كل نعمة زال عنها صاحبها وزالت عنه، فليست بغبطة ولا سرور، وإنما هي بُلغة إلى حادث من الأمور، فكانت هذه الغبطة في الآخرة لهم من الله سبحانه دائمة، وعنهم غير منقطعة، ولا يفجعون فيها أبدا بنازلة.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾. فأخبر سبحانه بإنذاره في كتابه، وعلى لسان نبيه، ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾، لئلا يكون على الله حجة بعد الإعذار والإنذار، والتوقيف لهم على جهلهم، وعظيم ما اجترحوه من كفرهم، ونطقوا به من قبيح كلامهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ﴾ . فأخبر سبحانه بجهلهم في ذلك وتقحمهم في الزور، وقبيح ما نسبوه وآباءهم إليه سبحانه من الأمور [1].

ثم قال سبحانه: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾. فذكر عظيم ما تكلموا فيه، ونطقوا به من أفواههم، وأتوا به من قبيح كلامهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾. والكذب: فهو الزور، واجتراح الباطل من الأمور، جرأة وجهلا، وعماية وغشما، فأكذبهم الله سبحانه في قولهم، وزجرهم عما أتوا به من زور كلامهم، تعالى الله عما يقول الظالمون، وينسبه إليه الجاهلون.

---

(١) في المخطوط: ما نسبوه إليه سبحانه من الأمور وآبائهم. وما أثبت اجتهاد.

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾. والباخع بنفسه هو: الذي يسخو بها، فأراد الله سبحانه بقوله: ﴿ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: متلفها غما وأسفا، على ما تعاين من تكذيبهم وصدودهم وشدة كفرهم، ولم نكلفك ذلك فيهم، ولم نفترض عليك أن تتلف نفسك بشدة الحزن والوجد والأسف، وإنما عليك الإعذار والإنذار، والله سبحانه المعاقب لهم والمجازي بالهلكة على فعلهم، من بعد قيام الحجة عليهم.

فكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتد ما يرى من صدودهم، وما يعاين من إقدامهم بالكذب على خالقهم، عظم لذلك حزنه، وتأكد وجده، والغم فقد يتلف النفس، ويستجلب الأمراض. ألا تسمع كيف أخبر الله سبحانه عن نبيه يعقوب صلى الله عليه إذ يقول: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤ ﴾ [يوسف:٨٤]. فبلغ به الحزن إلى إن ذهب بصره وكَظَمَه.

وكذلك أيضا أيوب عليه السلام، بلغ به الحزن إلى أن أذهب لحمه، وأنغل جلده، وأشرف على الموت لعلته، لولا ما كان من إبقاء الله لنفسه.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾. فكذلك كل ما جعل الله سبحانه عليها، وخلق ما فيها وذرأ فهو زينة لها، وحجة له عز وجل وجل على أهلها، ودليل على وحدانيته، وشاهد على ربوبيته، وحدَّ سبحانه في جميع ذلك أحكاما بيَّنها وافترضها، فيما جعل على الأرض وذرأه من جميع ما خلق فيها.

ثم قال سبحانه: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾، ومعنى ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ أي: يمتحنهم ويختبرهم فيما خلقنا وجعلنا، وهم فممن خلق على ظهر الأرض بزينتها، ولما أراد الله سبحانه من إظهار حكمته وتدبيره، وحسن تقديره، وأمره لهم ونهيه. فابتلاهم بالأمر والنهي لتبين طاعة المطيعين، فيستوجبون بذلك الثواب من رب العالمين، وتظهر عند الأمر والنهي معصية العاصين، فيستوجبون بذلك العذاب المهين.

ثم قال سبحانه: ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ ﴾، عند الأمر والنهي ﴿ عَمَلًا ﴾ وطاعة واستقامة، ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾. الصعيد فهو: التراب، أراد سبحانه: أن جميع الخلق وما على وجه الأرض يصير صعيدا جرزا، يقول: رفاتا ذاهبا. والجرز فهي: الأرض التي ليس يحييها مطر، ولا ينبت فيها شجر، فأخبر سبحانه أن حالهم كحال الصعيد، وهي الأرض الجرز التي لا تنبت شيئا.

ثم قال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾. والكهف فهو: كل ما كان في الجبال مجوفا مضيئا، يسمى كهفا يُسكن فيه، ويُؤوى إليه، ويُظل من الشمس والأمطار، ويدخل عند وهج النهار.

والرقيم: فهو الجبل الذي فيه الكهف، وقد قيل: إنه الموضع الذي فيه الكهف، وأي ذلك كان فجائز في المقال، والذي أقول به - والله أعلم - أن الرقيم هو الجبل.

﴿ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾، يقول سبحانه: إنهم لم يكونوا من أعظم الآيات، بل كان في آياتنا ما هو أعجب وأعظم من هؤلاء، وإن كان فيهم العجب العجيب لمن فكر، وعقل واعتبر وازدجر، أن يكون قوم ممن قد خلقهم الله كخلق الآدميين، وركب فيهم من الأكل والشرب والروح وما ركب في جميع المخلوقين، ثم أقاموا بلا أكل ولا شرب ثلاث مائة سنة وتسع سنين، لم تتغير لمرّ السنين أمعاؤهم، ولم تذهب بطول المدة لحومهم، ولم تؤثر الأرض في أبدانهم، فهذا من أعظم دلالة لمن أبصر، وأبين حجة لمن تفكر، وآمن بالله واعتبر، فكان الناس يتعجبون من بقائهم، وسلامة أبدانهم، على طول هذه المدة، فأخبرهم الله عز وجل أن من آياته التي يرون ما هو أعظم من ذلك.

ثم رجع القصص إلى ذكر الفتية فقال سبحانه: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ . ومعنى أووا فهو: دخلوا فيه ونزلوا، وانضووا إليه وسكنوا، إنكارا على قومهم، واعتزالاً لهم لما أظهروه من شرارتهم، وعظيم كفرهم، فخرجوا إلى الله سبحانه هاربين، ولقومهم تاركين، حتى صاروا إلى الكهف، ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾، ومعنى ﴿ لَّدُنكَ ﴾ فهو: من عندك، ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾. فسألوا الله سبحانه الرحمة لهم والهداية والرشد والتسديد، فقبل الله ذلك من فعلهم، وشكر ما كان من اعتزالهم، فخفف عنهم المحنة، في طول الاعتزال من الناس والوحدة، فضرب على آذانهم كما قال عز وجل: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾. والعدد فهو: ما ذكر الله سبحانه من عدد ثلاث مائة وتسع سنين، ومعنى ﴿ ضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ فهو: ما كان من سباتهم، كانوا لا يسمعون ولا يبصرون، لما أراد سبحانه في ذلك من العبرة لهم ولغيرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾. فقال: ﴿ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾، يريد: أصحاب الكهف، وأهل عصرهم الذين بَلَغتهم الأخبار في اعتزال أهل الكهف في قومهم، ولم يكن قومهم ولا مَن بعدهم يدرون بأهل الكهف، قد أخفى الله سبحانه موضعهم وستره عن أعينهم، فكانوا لا يدرون بمكانهم، فقال عز وجل: ﴿ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾، يريد: من رقدهم التي كانوا فيها، ثم قال: ﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾، فلم يحط بذلك أحد، بل ظن أهل الكهف أنهم أقاموا ساعة، ولم يعلم من سواهم كم كان مكثهم في الكهف.

ثم قال سبحانه: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾. يقول: نخبرك بأمرهم على صحته، لأن أهل الكتاب كانوا يكذبون ويقولون ما لا يعلمون من أمرهم، فقال عز وجل: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ الذي لا شك يدخله، ولا باطل يخالطه.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾. فذكر عز وجل أنهم آمنوا بربهم وأطاعوه فيما افترض عليهم، فزادهم عند ذلك عونا وتوفيقا وهداية وتسديدا.

ثم قال: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾. ومعنى الربط منه سبحانه فهو: التسديد لهم والتوفيق، حتى تثبت قلوبهم على الحق، فارتبطت به فلم تزل عنه، لأن العرب تسمي من ثبت قلبه: مرتبط الجنان، مرتبط القلب، فلما وفقهم الله عز وجل

ارتبطت قلوبهم، وثبتت على الحق عزائمهم، ولم تزغ مع من زاغ من قومهم، فكان ذلك من الله عز وجل عونا لهم على طاعتهم له، وتثبيتا على تعلقهم بأمره، فلما كان ذلك منهم ازدادوا نورا إلى نور، وخيرا إلى خير.

ثم قال: ﴿ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾. فأخبر سبحانه بإقرارهم به وإيمانهم، وما احتجوا به في وحدانيته من خلق السموات والأرض. ومعنى ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فهو: خالقهما ومالكهما، فاحتجوا بعظيم صنعه على وحدانيته. ومعنى ﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾، يقول: لن نتخذ من دونه إلها نعبده، وفي طاعة الله نشركه، ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾. والشطط فهو: المحال من القول المهلك فعله، الباطل في نفسه.

ومعنى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾. إخبار منهم بفعل قومهم، وما اجترأوا عليه من عظيم كفرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾. يريدون بقولهم: لولا يأتون عليهم بسلطان، والسلطان فهو: البرهان الذي يشهد لهم بالصدق في فعلهم، فاحتجوا عليهم بذلك فقالوا لو لا تأتون على ما ادعيتم من هذه الآلهة بحجة واضحة، وبينة نيِّرة، تصدق قولكم فيما ادعيتم من كذبكم، واتخاذكم من دون الله آلهة.

ثم قال عز وجل: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾. والافتراء فهو: الكذب، وقول ما لم يكن، وذلك أنهم كانوا يزعمون أنهم يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله سبحانه، ويقولون: إن ذلك له رضى سبحانه، وكان ذلك منهم افتراء على الله وكذبا، ولذلك سأل الفتية البرهان إذ نسبوا ذلك إلى الله سبحانه، فسألوهم تصديق قولهم، لأن الله عز وجل إذا أمر بأمر أو تَعبَّد به، كانت معه شواهد تصدقه، وعلامات تؤكده، وحجج تبهر عقول الخلق وتبينه.

ثم ذكر عز وجل أمر الفتية وما كان من قولهم، إذ يقول: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ . ومعنى ﴿ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ أي:

تركتموهم وباينتموهم؛ ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا ﴾، أي: صيروا إلى الكهف، والكهف فهو ما ذكرنا وفسرنا.

ومعنى: ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾. فهو: ييسر لكم الخير، ويهدكم ويثبتكم ويتولى أمركم، ومعنى ﴿ يُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾، فهو: يوفق لكم من أمركم مرفقا، والمرفق فهو: الكفاية في جميع الحالات، لأن العرب تقول: أرفق علي بسبب، تريد: أعطني، فكان المرفق من الله سبحانه العطية لهم وكفاية المهم، مع الهدى والتسديد والعون والتوفيق.

ثم رجع القصص إلى ما تفضل الله به على أهل الكهف، فقال: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾. ومعنى ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ فهو: تنحرف. ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾. فأخبر بلطفه لهم في الشمس في طلوعها وغروبها، لأنها لو دخلت عليهم لأحرقت أجسادهم، وغيرت ألوانهم، فكانت إذا طلعت تزاورت عن كهفهم كما قال سبحانه: ﴿ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، أي: تنكسر عنهم. ومعنى القرض فهو: تزول عنهم، وتدخل في طرف يسير منه لا تصل بهم، وكذلك تقول العرب: قرضت أرض بني فلان، أي: أخذت في شقها، ويقال في الثوب: قَرضٌ إذا كان في بعضه، وإنما سمي: القرض لذهاب الشيء اليسير من الكثير، فلما قرض بعضه وسلم أكثره، قيل: قرض، كذلك الكهف لما أن لم تنتشر الشمس في كله، وإنما كان دخولها في حرف منه، قيل: ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾، فكان الكهف - والله أعلم - كان وجهه مقابلا لمغيب بنات نعش وللجدي.

﴿ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾. ومعنى ﴿ مِّنْهُ ﴾ فهو: الكهف، والفجوة فهو: الموضع السالم من الشمس وغيرها، مما يضرُّ بهم في موضع سلامة وعافية. ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، ومعنى ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ فهو: من الدلائل على الله سبحانه.

ثم قال عز وجل: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾. كذلك الله سبحانه من اتبع هداه، وآمن به واتقاه، فقد

سلم واهتدى، ونجا بعون الله من المهالك والردى، ونال بفضل الله سبحانه الفضل عليه، وإحسانه إليه، أفضل الهدى، وكان كما قال الله سبحانه: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾. ومعنى يضلل فهو: خذلان الله له، وتركه إياه من التوفيق والتسديد، والله عز وجل فلا يفعل ذلك إلا بعبد قد عصاه، وخالف أمره وهداه، فإذا كان من العبد استوجب من الله الخذلان، ومعنى ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ فهو: من بعد ترك العبد لطاعة الله سبحانه، ووقوع اسم الضلال عليه والخذلان من الله، لا تجد له وليا مرشدا، ولا إلى خير داعيا.

ثم رجع القصص إلى أهل الكهف فقال سبحانه: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾. يخبر عز وجل أنه لو نظر إليهم ناظر ظنهم أيقاضا، وقد يقال: إن أعينهم كانت مفتحة، وذلك لما أراد الله سبحانه من سلامتها، لأن الهوى والريح من منافع العين، ولو كانت مغمضة في طول هذه المدة لأحدث فيها طول الإغماض حدثا، فكانت أعينهم مفتحة وهم رقود لا يبصرون شيئا ولا يفهمونه.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾. معنى ﴿ نُقَلِّبُهُمْ ﴾ فهو: تحويله سبحانه من شق إلى شق، لطفاً من الله سبحانه لهم بذلك، لئلا يحدث في جنوبهم من طول المكث على الأرض فساد.

وقد يمكن أن يكون الله عز وجل يأمر بهم ملائكته، يقلبونهم لتراوح جنوبهم، ويفعل في ذلك ما شاء، إذ هو سبحانه إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون.

ثم ذكر كلبهم الذي كان معهم، فقال: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾. والوصيد فهو: باب الكهف.

﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾.

وذلك أن الله سبحانه طرح عليهم الهيبة والجلالة، فكانت هيبتهم تملأ قلب ناظر لو نظر إليهم، حتى يدعوه ذلك إلى ما ذكر الله سبحانه من الفرار منهم.

قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾. والتساءل فهو: التخابر بينهم عما خالفوا فيه قومهم، فكان من كلامهم ما قال الله سبحانه: ﴿ قَالَ

قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾. فلم يدروا كم لبثوا حتى قالوا: ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾، فاستكثروا اليوم، حتى قالوا: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾، وقد أقاموا المدة الطويلة.

ثم رجعوا بالتسليم لله سبحانه فـ ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾. يريدون بذلك: كمال اليوم، أو بعضه.

ثم قالوا: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾. ومعنى الورق فهو: الفضة. والمدينة فهي: مدينتهم التي كانوا فيها.

ثم قالوا: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾. يريدون: أيها أزكى وأطهر فليشتر لكم منه، وإنما أرادوا بذلك: أيُّ أهلِ القرية أصلح في إسلامه، وأثبت على طاعة ربه، فيشتري لهم من ذبيحته، ومما في يده، يريدون الطهارة والحلال.

وقد قيل: إن ﴿ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أي: أفضل طعاماً. والقول الأول أحب إلينا.

ومعنى: فـ ﴿ لْيَتَلَطَّفْ ﴾. أرادوا في استتار وانكتام عن الناس، حتى يأخذ لهم حاجتهم، وينصرف بها إليهم.

ثم قال: ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ ﴾.

ثم قال: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝ ﴾. فخافوا أن يظهروا عليهم، من بعد أن خرجوا من عندهم مغاضبين، ولهم مكفرين، أن يرجموهم.

ومعنى الرجم فهو: الرجم بالحجارة.

ثم قال: ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾. فأخبر أنهم لو دخلوا في ملتهم لم يكونوا بمفلحين، ولا عند الله سبحانه بناجين.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾. ومعنى ﴿ أَعْثَرْنَا ﴾ أي: دللنا عليهم، وأوقعنا على

موضعهم، لما أراد الله سبحانه من الحجة على أهل دهرهم، من إبقائهم في الكهف، بلا طعام ولا شراب.

فكان هذا دليلاً على الله سبحانه، وحجة باهرة، وكان للفتية هداية، وزيادة في النية والبصيرة.

ومعنى ﴿ حَقٌّ ﴾ فهو: الصدق الذي لا خلف فيه، ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾. فكان بعث الله سبحانه لهم من بعد طول هذه المدة، تصديقاً للساعة التي وعد بها.

فلما خرج الفتية من كهفهم، وهم يظنون عند أنفسهم أنهم أقاموا يوماً أو بعض يوم، فلما دخل المشتري لهم ببضاعتهم، دخل خائفاً وجلاً، فلم يعرف في القرية أحداً، وانكر أهلها جميعاً، وأقبل يسألهم عن قوم كانوا بها، وعن ملكهم دقيانوس، الذي كان سبباً لتكفيرهم، فيقولون: فنوا أولئك وذهبوا، وقرن بعدهم، فلما أنكروا أمره، وكان خبر اعتزال هؤلاء الفتية شائعاً عند القرن، الذين خرجوا فيهم، وفيمن بعدهم من خبر من كان قبلهم، ممن انتهى إليه خبرهم، مع إخبار عيسى صلى الله عليه بهم، وذكره لقصتهم، وما يكون من خروجهم.

وذلك أن عيسى صلى الله عليه، بعث من بعد اعتزال الفتية لقومهم، فأخبر بأهل الكهف وبقائهم، ولم يكن يُعلَم لهم ببقاء، من بعد ما كان من اعتزالهم لقومهم، حتى أخبر بذلك عيسى صلى الله عليه، باطلاع الله له على أمرهم، فلم يسألوه حتى فطنوا له، وأيقنوا أنه من أهل الكهف.

ثم رجع القصص إلى ما فعل الأولون، إذ يتنازعون بينهم، فقال عز وجل: ﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾. والتنازع فهو: تنازع الكلام، والمحاورة والمجادلة في البنيان عليهم، فحجب الله عز وجل أبصارهم عنهم، فلم يروهم.

ثم ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾. فكل هذا كان من كلامهم ومحاورتهم، وما ادرأوا في أمرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.

وهذا الكلام فهو من قول أهل الكتابين، فكان كلما يتكلمون به من عددهم، تخرصا وترجماً بالغيب.

ومعنى ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾. فهو في الغيب.

يقول الرجل يتكلمون فيما لا يعلمون، وينطقون في ذلك بما لا يفقهون، إذ هو عنهم مغيب مستتر، لا يعلمه إلا الله، كما قال الله سبحانه، والرجم فهو: قول ما لا يُعلم. يقول للرجل إذا تكلم بما لا يعلم: أنت ترجم بالغيب.

ثم قال الله عز وجل: ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾. ومعنى ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، فهو: لا يعلم عدتهم إلا قليل من أهل عصرهم، ومن كان معهم في دهرهم، ممن نظر إليهم، عند خروجهم من قريتهم.

﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا ﴾. فأمره سبحانه ألا يمار فيهم، إلا المراء الظاهر، والظاهر فهو: ما أعلمه الله به، وأظهره عليه في أمرهم، لأن كل متكلم تكلم بما لا يعلم، كان كلامه على غير صحة ولا بيان، رجما في المقال، ومخاطبة بالمحال، فنهاه الله عما عابه عليهم، وأمره بالمخاطبة الواضحة، والمقالة الصحيحة.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾. فأمره أن لا يستفتي فيهم منهم أحداً، فإنهم لا يصدقون في قولهم، ولا يخبرون بحق فيما يتكلمون به فيهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾. فكان ذلك تأديباً من الله عز وجل لنبيه عليه السلام، ودلالة على ما هو أفضل عند مخاطبته، إذ دله على الاستثناء في كلامه، والتسليم لحكم الله في جميع أسبابه.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾. فأمره بالذكر لربه.

ثم قال: ﴿ عَسَىٰٓ ﴾. وعسى هاهنا من الله إيجاب، ليست بشك ولا ارتياب، ﴿ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾. يقول لأقرب مما أنتم تمارون فيه، وتتكلمون به، فهداه الله سبحانه للصواب، وفهّمه فيما كانوا يمترون فيه للجواب.

ثم قال: ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾. فأخبر عز وجل عما لبثوا في الكهف من السنين.

ثم قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾، كذلك الله سبحانه هو العالم بما لبثوا. لا يعلم ذلك غيره، ولا يحيط به سواه.

وقال: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. فهو عالم بغيبها، وما استتر في جوانح أهلها، لا يعزب عنه صغيرة من خلقه ولا كبيرة، ولا يستتر عنه ظاهر ولا باطن، علمه بما ظهر وبان، كعلمه بما استتر وغبي في الجنان.

ثم قال سبحانه: ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾، ومعنى ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾، فهو: يوم القيامة، يقول: يبصرون ذلك اليوم البصر الجيد، والسمع الثاقب، لأن العرب تقول لمن غفل عن النظر في الشي، والاستماع لما يرد عليه فيه، إذا وقعت مصيبة: أبصر به اليوم. يريدون: ما أجود بصره ! من طريق التبكيت والتقريع، لما أن كان غفل عن النظر، حتى وقع في العظيم من الأمر، كذلك لما أن كان هؤلاء في هذه الدنيا غير ناظرين، ولا للحق مستمعين، ولا بما يرون من الآيات معتبرين. قال عز وجل: ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ ﴾ يوم القيامة ومعنى ﴿ بِهِۦ ﴾ أي: لهم. وذلك جائز في اللغة، والمخاطبة.

قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانفطار:٦]. وإنما أرادا: يا أيها الناس.

وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [ق:١٦]. وإنما أراد: الناس، يريد ما أجود أبصارهم وسمعهم عندما يعاينون جزاء ما كانوا به كذبوا، وعنه بالشهوة واللعب غفلوا.

وقال: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ ﴾. يقول: مالهم في ذلك اليوم من دون الله من ناصر ينصرهم، ولا ولي يدافع عنهم، بل تقطعت بهم الأسباب، وذهب عنهم ما كانوا يتعلقون به من الأضداد، وصاروا بفعلهم إلى شر محل ومآب.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾. فكذلك الله عز وجل، له الحكم والأمر، لا شريك له في ذلك.

ثم قال عز وجل:﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾. فأمره بتلاوة ما أوحي إليه، والوحي فهو: الكتاب والحكمة التي آتاه إياها، والدعاء إلى الله عز وجل، وإقامة الحجة، وأمره بإظهار ذلك وإبانته.

ثم قال: ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾. وكذلك الله عز وجل لا ناقض لحكمه، ولا مبدل لشيء من أمره، بحجة تقهره، ولا أمر يفسده، بل أمره القاهر، وحكمه النافذ.

ومعنى الملتحد فهو: المأوى والمذهب والملجأ.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾. فأمره الله سبحانه بالصبر مع المطيعين له، والتعليم لهم والهداية لرشدهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾. تفهيما من الله سبحانه وتأديبا، ولم يكن صلى الله عليه ليزهد فيهم، بل كان لهم محبا، وعليهم مشفقا.

﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾. فالزينة فهي: ما يعرف من زينة الدنيا وأسبابها، التي تقطع عن الله سبحانه.

ثم قال: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾. فكان هذا أيضا إخبارا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر من عدم التوفيق من الله بفعله، واستوجب ذلك بمخالفته، حتى تبع هواه، ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾، والفرط هو: الإفراط في الشيء المجاوزة للقدرة، والإغراق فيه بمالا

يجـــوز، وما يخرج من القصد إلى الإسراف، والإغفال فهو: الخذلان بما استوجب عـــند المخالفة والعصيان، مثل من كان من قريش، وغيرها من أهل الكتاب، فيما كـــانوا علـــيه مـــن الإبلاغ في الكفر، والإفراط والشرارة وقول الباطل والزور، وارتكاب الشرور، والكفر برب العالمين، وترك ما جاء به خاتم النبيين، حتى افرطوا في ذلك وجاوزوا كل حد.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾. فأمره أن يقول الحق الذي أمره الله به.

ثم قـــال: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾. فأمره بقول الصدق، وما افترض من الحق، فمن شاء أن يقبله من المخلوقين قَبِلَه، وآمن به وصدقه، ﴿ وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ اختـــيارا من نفسه، وتعديا في ذلك بفعله، لا بقضاء من ربه، ولا إدخال في معصيته، من بعد أن أقام الحجة عليه، وبيّن الحجة له.

وقد يخرج أيضا في معنى ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ على الوعيد والتهدد والزجر، والتأكيد عليهم في الطاعة، والإعذار إليهم في المعصية، وهذا وجه حسن.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ فأخبر عز وجـــل أنـــه أعد للظالمين، والمعاندين للحق ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ وهو: عذابها، والتفاف جوانبها، ومصيرهم في قعرها، وهو السرادق.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾. فأخبر سبحانه أنهم عند استغاثتهم من العطش، يغـــاثون بماء كالمهل، والمهل فهو: صفو القطران، فيسقون من ذلك عند عطشهم، فيشوي وجوههم، ويقطع بِحَرِّه أمعاءهم، ويتضاعف عند ذلك ما بهم[1] من شدة ألمه.

---

(١) في المخطوط: ما هم. ولعل الصواب ما أثبت.

ومعنى ﴿ سَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ فهي: جهنم، يقول سبحانه ساء رفقها، فأخبر عز وجل أن جميع ما فيها، من مائها وطعامها وأرفاقها، كلها من شر شديد متعب، لا منفعة فيه لطالبه، ولا راحة لمستشفع به عند حاجته.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾. فأخبر عز وجل أنه لا يضيع أجرهم، ولا يترهم شيئا من أعمالهم، بل يضاعف ذلك لهم، ويديمه بفضله عليهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾. فأخبر عز وجل أنها تجري من تحتهم الأنهار، وهم في أكرم محل وقرار، وفي الغرف العالية، والمنازل المرتفعة.

ثم قال سبحانه: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾. والأساور فهي: هذه الأسورة التي تلبس في الأيدي، إكراما من الله لهم، ومكافأة لهم على طاعتهم.

﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾. فأخبر سبحانه بلباسهم، وما منّ به عليهم من عظيم جزائه لهم، والسندس فهي: الثياب الخضر، كما قال الله سبحانه، وهو اسم سماها الله به، والاستبرق فهي: الحمر السرية المرتفعة، وقد قيل: إنها جنس من الوشي، ثم قال: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ ومعنى ﴿ عَلَى ﴾ فهو: في الأرائك، لأن على وفي حرفان يعقب أحدهما الآخر.

ثم قال: ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾. ومعنى ﴿ نِعْمَ ﴾ فهو: الكريم الفاضل، ومعنى ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ فهو: حسن وعظم كل شيء فيها من رفقها، وما جعل الله لأهلها من نعيمه، وعظيم عطاياه وفوائده.

ثم قال سبحانه: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾. وهذا مثل ضربه الله عز وجل للقصة الأولى، وجعله موعظة وتنبيها وفرقا بين المحقين والمبطلين.

ثم قال عز وجل: فـ﴿ كَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾. فكان هذا مثلا أيضا لأهل الظلم إذ أنعم الله عليهم بإحسانه، ورزقهم الأرزاق الوافرة، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة، فلم يشكروا نعم الله عليهم، وإحسانه إليهم، بل زادهم ذلك طغيانا، وجرأة وتمردا.

ثم ذكر عز وجل ما قال صاحبه حين يحاوره: فـ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا ﴾ [الكهف:٣٨-٤٠]. والحسبان فهو: الآفة النازلة، والتلف والعذاب، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ ﴾. فهذه الآيات محكمات مفسرات لأنفسهن، لا يحتجن إلى مفسر لهن، إلا اليسير منهن وقد بيَّنته، جعلهن الله عز وجل تنبيها ومثلا ضربه فرقا بين الصالح والطالح.

ومعنى ﴿ يُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، فهو: عذاب من الله ينزله بمن صد عنه، ونقمة يحلها بمن أدبر، وعن أمره عَنَدَ واستكبر.

ومعنى ﴿ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾، فالصعيد هو: التراب، والزلق فهو: الذي ليس فيه شيء.

ومعنى ﴿ خَاوِيَةٌ ﴾ فهي: معطلة ميتة، لا ثمر فيها ولا عائدة، قد مات أصلها وغار ماؤها، على عروشها.

معنى ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ فهو: خشبها التي تشرع به الأعناب، تكون تحتها تعرش عليها.

ثم قـــــال: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ ﴾.

ومعنى ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ فإنما هو: تَنَدُّمٌ وحسرة على ما فاته. قـال: ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ ﴾، يخبر عز وجل أنه لا فئة له ينصرونه مـن دون الله، عند نزول العذاب به، ولا هو بمنتصر، والفئة فهي الجماعة. وهذه الآيـات فهي أيضا مثل للآخرة، وما جعل الله فيها لمن أطاعه، من الجنان والنعيم، والـثواب الكريم، والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ۝ ﴾. فأخبر أن ثوابه خير الثواب، وطاعته أحسن عاقـبة، والدلـيل عـلى ذلك قوله سبحانه: ﴿ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الأحقـاف:٢٠]. يـريد: أذهبـتم ما جعلت لكم من النعيم والطيبات، والعطايـا العظيمة في الآخرة في الحياة الدنيا، لأن الله سبحانه قد جعل ما في الجنة جـزاء للمطيعين، فلما عصوه في الدنيا وجانبوا حكمه، واتبعوا أهواءهم، وتركوا رشدهم، كان هذا إذهابا لطيباتهم التي جعلها لهم الله على الطاعة.

ثم قال سبحانه:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ۝ ﴾. فكان هذا مثلا عظيما حكيما مُنبها مُيقظا من الغفلة، فأخـبر الله سبحانه أن حال الدنيا وأهلها في تزيينهم لها وتزيينها لهم، كالماء النازل من السماء، فاختلط به نبات الأرض، يقول: خضرة الأرض وحشيشها، حتى تراه مخضـرا ناظـرا حسنا، ويصبح من بعد ذلك هشيما، تذروه الرياح يابسا مغبرا، فكذلـك الدنـيا ومـا فيها زائل كزوال هذه الخضرة، فنهاهم الله عز وجل عن الاغترار لها، والركون إليها.

ثم قال سبحانه: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾. وذلك كما قال الله عز وجل: زينة للدنيا وبهجة لها، يسر بها فيها أهلها.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾. وقد قيل: إن الباقيات: التسبيح، وهو عندي - والله أعلم - التسبيح وغيره من الأعمال الصالحة، التي تبقى للعبد عند فنائه، وتنفعه في يوم بعثه.

وقال سبحانه: ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾. يقول: إن الباقيات خير عطاء وثوابا وأملا، والأمل فهو: الرجاء، بما في الآخرة من النعيم والزلفة والعطاء، وذكر أن ذلك خير من المال والبنين اللذين هما مخلفان متروكان.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ . ومعنى ﴿ يَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ فهو: يوم القيامة، وتسييرها فهو إذهابها ونسفها، ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أي: ظاهرة مكشوفة، ليس فيها شيء يستر بعضها عن بعض، وهي أرض الآخرة التي لا عوج فيها ولا أمتا.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾. يعني: الخلق، والحشر فهو الجمع.

﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾. ومعنى ﴿ لَمْ نُغَادِرْ ﴾ لم يخلف ممن خلق أحدا، حتى رده سبحانه كما كان أولا في دنياه.

ثم قال: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾. والصف فهو: اصطفناهم في يوم حشرهم، ووقوفهم في آخرهم، ﴿ وَعُرِضُوا۟ ﴾ أي: أحضروا للحساب، والعقاب والثواب.

ثم قال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾. يقول: لقد جئتمونا على خلقكم الذي كنتم عليه أولا، تبكيتا لهم لما كان يقول الظالمون المكذبون، ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٢، الصافات:١٦، الواقعة:٤٧]، فوقفهم الله بقوله: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ لم نغادر منكم أحدا عند الإرادة لبعثهم، فكان ذلك تصديقا لقوله سبحانه وتكذيبا لهم.

وقد يخرج ﴿ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾، يريد: - والله أعلم - أنه ردهم من بعد فنائهم وبوارهم، الذي كانوا يكذبون بالعودة عند كونه لهم، وإفناء الله لهم، فقال: ﴿ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾. يقول: رددناكم على ما أنتم عليه

أولا من صوركم، لم تنتقصوا مما كنتم عليه في حياتكم ودنياكم بعد البلاء، عند إرادتنا لردكم أحياء، والمعنى الأول فهو الصواب عندي.

ثم قال سبحانه تقريعا لهم أيضا: ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾. والموعد فهو: يوم القيامة.

ثم قال: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾. وليس ثَمَّ كتاب مكتوب يقرأ، وإنما هذا مثل ضربه الله لهم، لأنهم يعلمون أن ما كان في الكتاب موقع غير ضائع ولا فائت، فأخبرهم الله عز وجل بما يعرفون، وإنما الكتاب هاهنا: علم الله سبحانه بأمورهم، وإحصاؤه لجميع أفعالهم، كبيرها وصغيرها، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾. يريد: جزاء ما عملوا حاضرا لهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. فكذلك الله عز وجل لا يظلم أحدا من خلقه، بل هو المحسن إليهم، الرحيم بهم، أرسل إليهم النبيين، معذرين ومنذرين، وأبان لهم الحجة، وأزاح عنهم بذلك الظلمة، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢].

ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾. ومعنى ﴿ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ فهو: من أجل آدم عليه السلام، فكان السجود لله عز وجل لا لآدم، فلما أن سجدوا لله العظيم، لما [1] رأوا من خلق آدم عليه السلام، وما أبان الله من قدرته في ذلك، جاز أن يقول: ﴿ لِأَدَمَ ﴾، كما قال سبحانه: ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ [الأنعام:٩٢، الشورى:٧] فأقامها مقام أهلها.

(١) في المخطوط: ما. وما أثبت اجتهاد.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾. فذكر عز وجل ما كان من جرأة إبليس ومخالفته لأمر به.

وقد قال بعض عوام الناس: إن إبليس كان من الملائكة، وقد شرحنا ذلك في: (كتاب الإيضاح)، وليس يقول بذلك في الملائكة عليهم السلام إلا جاهل عَميٌّ، أو ظالم غوي، بل هم المكرمون المطيعون، الذين ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝ ﴾ [التحريم:٦].

ثم قال سبحانه تحذيرا منه لكيد إبليس: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ۝ ﴾. وذريته فهم: أتباعه وأولياؤه، فنهاهم الله أن يتخذوه وآباؤهم أولياء من دونه، قال عز وجل: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ۝ ﴾. وهل يكون شيء أعظم كفرا ممن يتخذ الشيطان ومن يتبعه أولياء ؟! ويصده عن الله وعن أمره ؟! ومعنى ﴿ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾، فكذلك بئس لهم أن يستبدلوا الشر بالخير، والهلكة بالنجاة، فنعوذ بالله من العمى، ومن الضلالة بعد الهدى.

ثم قال سبحانه: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ۝ ﴾. فهذه آية محكمة عامتها لا تحتاج إلى تفسير، ومعنى ﴿ عَضُدٗا ﴾ فهو: معينا وموازرا، ومعنى ﴿ ٱلۡمُضِلِّينَ ﴾ فهو: المغوون الصادون عن الحق، التاركون للصدق.

﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ ﴾. ومعنى ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ﴾ فهو: يوم القيامة، ﴿ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ﴾ فهم: الذين آثرتموهم عليّ، وأشركتموهم في طاعتي، حتى أهلككم ذلك في آخرتكم، واستحققتم به العذاب عند ربكم، ﴿ فَدَعَوۡهُمۡ - كما قال الله عز وجل - فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ ﴾. وكيف يستجيب أو ينصرهم ؟! أو يدفع ما نزل بهم ؟! من هو في الهوان ! والعذاب والنيران !!

ومعنى ﴿ شُرَكَآءِيَ ﴾ فإنما جاز ذلك من طريق التبكيت لهم والتقريع.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾. والموبق فهو: الهلكة التي وقعوا فيها، تقول العرب: أوبق فلانا، أي: أهلكه.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾. فإنما هو: أيقنوا، وهذا في لغة العرب صحيح، أن يقال: ظن في موضع أيقن، يقول القائل: ظن أني لا آكل، وهو لا يظن ذلك، بل يوقن أنه يأكل، ويقول القائل: عسى أن أقوم، وعسى هي في موضع شك، وهو يوقن بأنه يقوم، وكذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. ويونس صلى الله عليه فلا يُنسب إليه جهل، وهو فلم يظن أن الله لا يقدر عليه، بل هو موقن بذلك، ولكن هذا في لغة العرب جائز.

تقول: ظن، وإنما هو في بعض المخاطبة أيقن، فكان ظنهم إيقانا أنهم مواقعوها، ومواقعوها على ما قلنا به من الظن، قول الله عز وجل في كتابه: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩]. فشهد لهم بالإيمان وقال: ﴿ فَظَنُّوٓاْ ﴾، وإنما هو أيقنوا.

ومعنى: ﴿ وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾. والمصرف فهو: المنحرف والذهاب، والفرار إلى غيرها فلا يجدون إلى ذلك سبيلا، وكان عندما عاينوا العذاب كما قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ:٥١].

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾. وكذلك الله سبحانه قد ضرب لهم الأمثال تنبيها لهم وتعريفا ليذكروا.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾. والجدل فهو: المحاورة والكلام والمخاصمة والمناظرة في ترديد الكلام، والمراجعة بالخطاب.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾

﴾. لما كانوا عليه من الجحود والتمرد، والإنكار للحق والمكابرة فيه، حتى يترل هم ما نزل بأولئك من صنوف النقم.

ومعنى ﴿ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فهو: ما كان الله يترل هم عند صدودهم، وذلك قوله سبحانه في غير هذه السورة: ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٦١- ٦٢]. وسنته فهو: حكمه فيمن خالف أمره، ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾، والعذاب فهو: ما يُترل الله عز وجل بأهل المعصية، من الخسف والقذف والمسخ والنار التي كانت تقع هم، ومعنى ﴿ قُبُلًا ﴾ يقول: أو معاينا مقابلا لهم، باغتا في غفلتهم. ومن سنة الأولين: الاقتداء بفعلهم، والجحدان كجحدانهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾. وكذلك هو عز وجل إنما أرسل المرسلين مبشرين بثواب الله ونعيمه، وما أعد سبحانه لأهل طاعته، أرسل معهم بالحق المبين، والصدق الزاهر المستبين، ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ فهو: محذرون معذرون لما بين أيديهم من العذاب.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾. ومعنى ﴿ يُجَـٰدِلُ ﴾ أي: يحاورون ويتكلمون ويخاطبون.

ومعنى ﴿ لِيُدْحِضُواْ ﴾ فهو: ليفسدوا ويذهبوا ويغيروا الحق، والعرب تقول: دحض فلان، أي: سقط. فأراد بإدحاضهم للحق: طرحه وتبديله.

ثم قال: ﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾. ومعنى ﴿ ءَايَـٰتِى ﴾ فهو: ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام من المعجزات، والآيات الباهرات، هزوا ولعبا، ونسبوها إلى السحر والحيل، فلم يعتبروا بعظيم ما فيها من الرشد والهدى، وما أبان الله فيها من الدلائل لمن آمن واتقى.

ومعنى ﴿ مَآ أُنذِرُواْ ﴾ من العقاب، والعذاب الشديد، فكان كل ذلك عندهم هزؤا يهزأون به، ولا ينتفعون بشيء منه.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾. فكذلك لا أظلم لنفسه ممن ذكر بآيات ربه، وعظيم أمره، فأعرض عن ذلك.

ومعنى أعرض عن ذلك فهو: ترك الحق، وما أبان الله له من الصدق، حتى أهلكها، وفي أليم عذاب الله أوقعها.

ومعنى ﴿ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ فهو: نسيانه لمعاصيه، وما احترحه من الذنوب المهلكة، وارتكبه من الخطايا الموبقة، فنسي تلك الذنوب التي قدم، و لم ينتفع بما ذكر، ولو رجع وتاب، وأقلع مما هو عليه من قبيح الأسباب، لغفر ذلك له.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾. وإنما معنى ﴿ جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ تبكيت لهم وتقريع، لأنهم كانوا يزعمون، ويكذبون على الله ويفترون، ويقولون: إن الله قد جعل قلوبهم في أكنة، ومنعهم من اتباع نبيه، والدخول في طاعته.

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾، والوقر فهو: الصمم. ألا تسمع كيف يخبر الله عز وجل في غير هذا الموضع حين يقول: ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت:٥]. فأراد عز وجل: التقريع لهم بقولهم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾، وتبكيتا على قولهم الذي نسبوه إليه أولا، والدليل على ذلك قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾. يقول: إن كان الأمر كما قالوا: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾. فأكذبهم سبحانه في قولهم، ووقفهم على قبيح كلامهم.

ثم قال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾. وكذلك الله عز وجل غفور حليم، رؤوف رحيم، لو يؤاخذهم على

ذنوبهم، وما يكسبونه من قبيح أفعالهم، لأهلكهم، ولكن أملى لهم، كما قال في غير هذه السورة: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾ [آل عمران:١٧٨].

ثم قال سبحانه: ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾. فأخبر عز وجل أنه قد أخر عقوبتهم إلى يوم بعثهم، ومعنى ﴿ مَوْئِلًا ﴾ فهو: مذهب ومعدل ومكان يولون إليه.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾. فكذلك كان فعل الله عز وجل فيمن سلف من أهل الظلم والعدوان، أهلكهم بما كان منهم من الفسق والعصيان.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾. ومجمعهما فهو: انتهاؤهما جميعا الذي يجتمعان إلى الإنقطاع فيه.

ومعنى ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ أي: يمضي في طلب ذلك دهرا طويلا، وسنين كثيرة. وقد قيل: إن مجمعهما بناحية البصرة، حيث اجتمع المالح والعذب معا، بقدرة الله سبحانه، والقول الأول أشبه عندنا بالحق، وأقرب بعون الله إلى الصدق.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾. والحوت فهو: حوت كان مع رسول الله صلوات الله عليه، يأكل منه هو وفتاه، فلما نهضا للرحيل نسيا الحوت، فرجع فتى موسى فوجده قد ذهب في البحر حيا سويا.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾. ومعنى ﴿ جَاوَزَا ﴾ أي: خلفا الموضع الذي كانا فيه، ومعنى قوله: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾. يعني: شدة وتعبا، ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾. ومعنى ﴿ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾ فهو: نزلا عندها، وحطا تحتها.

ومعنى ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ فإن في حياة الحوت ودخوله البحر عجبا [1]، وأي ما عجب.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾. والذي قال ذلك فهو: موسى صلى الله عليه، أي: ذلك ما كنا نريد من آيات الله أن نراها ومثلها.

﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾. يقول: رجعا إلى الموضع، والقصص يعني الأثر، والأثر فهو: أثرهما وطريقهما.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾. وقد قيل: إن العبد الذي وجداه هو: الخضر عليه السلام. وقد قيل: غيره من عباد الله.

ثم قال سبحانه مخبرا عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ - عليه السلام - هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾. فسأله موسى صلى الله عليه الصحابة واستأذنه في التبع، على أن يتعلم من علمه، ويقتبس مما مَنَّ الله به عليه، فأخبره أنه لن يستطيع معه صبرا.

ثم قال له: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾. فأخبره أنه لا يقدر على الصبر، لقلة إحاطته، وخبرته بما يفعله، وقال الله عز وجل يخبر عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾. فقال العبد الصالح لموسى: إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء أفعله، ولا تعارضني من الأمر فيما أعلمه، حتى أخبرك به، وبمعانيه وتأويله، ابتداء مني، وعقدا أمرهما على ذلك.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ العبد الصالح، فاستنكر موسى من فعله، واستوحش لما عاين من عمله، ولم يقف على ما

---

(١) في المخطوط: عجب. والصواب ما أثبت.

أمر الله به الخضر في أمرها، وخشي موسى الغرق على أهلها، ولم يفهم العلة التي كان خرق السفينة من أجلها، فـ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾. ومعنى ﴿ إِمْرًا ﴾ فهو: المبتدع المنكر.

ثم قال سبحانه يخبر عن رد العبد الصالح على موسى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾. وهذا محكم لا يحتاج إلى تفسير، ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾. فمعنى ﴿ تُرْهِقْنِي ﴾ أي: تكلفني وتحمل عليّ ﴿ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾، أي: شططا وتعبا.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾. فكان موسى صلى الله عليه يرى من أفعال الخضر أشياء ينكرها، ولا يقف على ما أمر الله به فيها، فيخاطبه بها، ويعاتبه فيها، ولم يكن عنده معرفة أمرها على حقيقتها، فيكون منها على بصيرة، وكان العالم يفعل ما أمر الله، وما قد أطلعه عليه وأمره به فيه، فعجل موسى صلى الله عليه بالمخاطبة والكلام والإنكار، لعظيم ما يرى فيها، إذ ليس عنده صحة من أمرها، ولا علم بحكم الله سبحانه فيها.

ومعنى ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾. فهو: لقد جئت شيئا قبيحا مستنكرا، ﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾. وقد قيل: إن الغلام كان صبيا صغيرا، وليس ذلك عندنا بصحيح، بل كان الغلام كبيرا بالغا !! والعرب تسمي ابن العشرين والثلاثين سنة: غلاما.

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾. ومعنى ﴿ يَنقَضَّ ﴾ فهو: يسقط.

ثم: ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾. ومعنى ﴿ أَجْرًا ﴾ فهو: أجرة وجعلا.

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ... إلى قوله: ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1]. وهذه الآيات محكمات مُبيَّنات لا يحتجن إلى تفسير مفسر، لأن الله سبحانه قد بينهن وأوضحهن، وتلاوتهن وتفسيرهن واحد، وقد فسرنا منهن ما كان يحتاج إلى تفسير.

ثم قال سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾. وذو القرنين فرجل من الروم كان عبدا صالحا، واسمه الإسكندر. وقد قيل: إنه سمي ذا[2] القرنين، لأنه بلغ مطلع الشمس ومغربها. وقد قيل: إنه رأى في النوم أنه أخذ بقرني الشمس. ومعنى ﴿ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي: سأخبركم منه خبرا، وذكرا مشروحا بينا.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾. فكان التمكين من الله له في الأرض كما قال الله عز وجل. والسببُ الذي آتاه الله فهو سبب توفيق وتسديد، ونصر وتأييد، ومعنى ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهو: في كل شيء من أمره سببا.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾. فالعين الحمئة هي: العين ذات الحمأة. وقد قيل: إن الحمئة: البعيدة. وقيل: إنها الحارة، والقول الأول أصوب.

﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾. وكان ذلك أمرا من الله عز وجل بسطا له في الحكم، وكان

---

(٥) كمال الآيات: ﴿ ... ... ﴾

(٢) في المخطوط: ذو. والصواب ما أثبت.

قول ذي القرنين رحمة الله عليه في ذلك عدلا، وكلامَ صدقٍ رضيه الله منه، ومعنى ﴿ يُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾، فالنكر هو: الشديد الذي لا يعرف من عذاب الدنيا، لهوله وشدته.

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾. فكل هذا قائم بنفسه، مستغن عن التفسير بنفسه.

ثم قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾. ومعنى ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾، يقول: لم نجعل لهم من دونها حجابا يحجبها عنهم، ولا يواريها عن أعينهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾. ومعنى ﴿ لَدَيْهِ ﴾ فهو: ما عنده، وما هو فيه، ﴿ خُبْرًا ﴾ والخبر فهو: العلم بجميع أمره، ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ ﴾ يقول: اتبع سببا من أسباب الله التي أعطاه إياها، ووفقه لها، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ ، ومعنى لا ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ فهو: لا يفقهون ما يُكلمون به، وقد يمكن أن يكون ذلك منهم لعجمة شديدة، أو لبلاهة وشدة جفاء، وبطوءٌ أذهان، وقد تقول العرب للإنسان إذا كان كذلك: ما يفقه شيئا.

ثم قال سبحانه يخبر عنهم: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. ويأجوج ومأجوج اسمان لقبيلتين، كما قال: همدان وخولان، وقد يمكن أن يكونوا سموا ياجوج وماجوج لكثر أجيجهم وعجيجهم، ومَوَجَانٍ بعضهم في بعض، ولذلك سموا بهذين الاسمين، فكانوا يفسدون في الأرض ويعيثون [1] فيها فسادا وتخريبا، وهم خلق عظيم كثير جدا.

(١) في المخطوط: ويعثون. ولعل الصواب ما أثبت.

ثم قال سبحانه يخبر عنهم: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ﴾. ومعنى ﴿ خَرْجًا ﴾ أي: مالا نسلمه إليك، وعطاء نجزله لك، على أن تدفع عنا شرهم، وتكفينا ما قد أحاط بنا من شرهم، والقوة التي سألهم فهي: المعونة، وإحضار ما أمرهم به من زبر الحديد.

ثم قال: ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾. والردم فهو: البناء الذي يوضع بعضه على بعض الكثيف المحكم.

ثم قال: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾. والزبر فهي: القطع الكبار.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾. والصدفان فهما: لحيا الجبلين، فردم - رحمة الله عليه - الحديد بعضه على بعض، حتى سد ما بين الجبلين، وبلغ بناؤه بالحديد رؤوس الصدفين.

ثم ﴿ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾. والنفخ عليه فهو: إلهاب النار فيه، ونفخهم عليه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾. يقول: حتى إذا صار نارا تتوقد، ﴿ قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ ﴾. والقطر فهو: النحاس، ولما أن سكبوا النحاس فيه انسبك هو والحديد معا، وصار الردم قطعة واحدة، لا يتزحزح من مكانه، ولا يطيق أحد طلوعه.

ثم قال: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝ ﴾. ومعنى ﴿ ٱسْطَٰعُوٓاْ ﴾ أي: لم يقدروا أن يظهروا فيه، لعلوه وشموخه، واستواء أرضه، ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾، يقول: لم يستطيعوا أن ينقبوه لعظمه وشدته.

ثم: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ ﴾. يقول: إذا جاء وقت القيامة جعله الله دكا، والدك فهو: المهدوم المكسر الساقط، وخروجهم من ذلك السد من علامات الساعة والقيامة، وهو قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء:٩٦- ٩٧].

ومعنى قوله: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾. أي: فضل منه وإحسان عليكم، في استقامة هذا الردم، ولولا فضل الله جل شأنه ما نلنا ذلك، ولا قدرنا عليه.

وقد قيل: إن جماعة من ياجوج وماجوج هربوا منه عندما أراد أن يسد عليهم، فبلغه ذلك، فأمر جماعة يتبعوهم ليردوهم عند نفرهم، فلم يلحقوهم وأعجزوا عن الرد لهم، فقيل له: إنهم قد أعجزوا وذهبوا. فقال رحمة الله عليه: اتركوهم اتركوهم، وهم هؤلاء الترك الذين يُعرفون، فسموا بقوله اتركوهم: الترك، استقوه لهم من الترك.

ثم قال: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾. يقول: صدقا لا خلف فيه، ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾. ومعنى ﴿ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ فهو: ما يكون عند فتح ياجوج وماجوج، من الهرج والمروج، والفتن والعظائم.

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ فهو: نفخ في صور الآدميين للبعث، ومعنى ﴿ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾، فهو: جمعهم للحساب جمعا، مستحصى حتى لا يغادر سبحانه منهم أحدا.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾. وعرضها لهم فهو: معاينتهم لها، ومحاضرتهم إياها، وإيقانهم بها، ثم قال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾. يعني: بذلك الكافرين، أن أعينهم في غطاء، والغطاء فهو الغفلة التي كانوا عليها، فلم يكونوا ينتفعون بما يرون من الآيات، ويعاينون من الأمور الباهرات، وقد شغلهم الهوى، والميل إلى الدنيا، حتى كانوا عن مشهد القيامة في غطاء، والغطاء فهو: ما كانوا عليه من الغفلة والونى [1].

---

(١) الونى: الضعف والفتور والكلال والإعياء.

ثم قال: ﴿ وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾. ومعنى ﴿ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾، يعني: أنهم كانوا لا يقدرون من البغض للحق والتكذيب له استماعا، وكانوا يبغضون استماعه للذي كانوا عليه من الصدود عن الحق، وقلة استماعهم له، وكانوا يفعلون من ذلك فعل من لا يستطيع أن يسمع، والسمع هاهنا فهو: الطاعة لله ولرسوله، وهذا في لغة العرب موجود، يقول الرجل للرجل: اذهب معي إلى فلان. فيقول: لست أستطيع أنظر إليه، يقول من بغضه وهو يستطيع أن ينظر إليه، فلما أن كان مبغضا له شانئا لأمره، جاز أن يقول: لا أستطيع، ويقول القائل: لا أستطيع أن أدخل عليك من بغضك، وهو يقدر أن يدخل عليه، فكان هذا من بغضهم للحق، جعلتهم أنفسهم مع اتباع شيطان، حتى لا يقدروا أن يستمعوه، ولذلك ضرب الله لهم الأمثال في قلة الاستماع.

قال الله سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾. واتخاذهم عباده من دونه فهو: إيثارهم بالطاعة على الله سبحانه، حتى اتخذوهم من دونه أولياء، ومعنى ﴿ أَفَحَسِبَ ﴾ فهو: وعيد وتقريع.

ثم قال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾. والنزل فهو: العطاء والجزاء، لأن العرب تقول إذا نزل الإنسان على ما يكره: نزل نزلا قبيحا، فلما أن كان عطاؤه سبحانه في الآخرة ونزله لهم جهنم، قال: ﴿ نُزُلًا ﴾ أي: جزاء من الله وتنكيلا، وعذابا شديدا، إذ كان خروجهم من أجداثهم، وحضورهم يوم القيامة إلى ربهم، طريقا إلى منزل البلاء، ومحل الشقاء.

ثم قال سبحانه: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾. فكذلك كل من تعلق بالباطل وترك الحق، ومال بجهده عن القصد، وتَوَهَّم أنه على طريق رشده. فكانت الجاهلية تعمل أصناما وتوقد نيرانا، تقول: إن ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، فكانوا يتوهمون أن عبادة الأصنام تقربهم إلى الله سبحانه، فكان هذا من السعي الضال، الموجب للنيران، والخزي والهوان، ومثل

مـــا ترى في الآن كثيرا من أهل دهرك، ممن هو كَلِفٌ ببدعة، لَهِجٌ بشبهة، يصف الغـــي رشدا، والجور قصدا، فهو ضال عن الحجة، مسترسل في الغفلة، غير راجع إلى الحق، ولا طالب للصدق، وذلك أيضا ممن قد ضل سعيه في الحياة الدنيا،و هو يحسب أنه يحسن صنعا.

ثم قـــال سبحانه: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ ﴾. فسماهم كافرين به، غير مصدقين بلقائه، واللقاء فهو: الآخرة والبعث والحشر.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ﴾. وحبطت فهي: بطلت.

ثم قـــال: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾. يقـــول: فليس لهم يوم القيامة عمل يعطون عليه، ولا يثابون فيه، كما قال سبحانه: فـ﴿ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [القارعة:٨-٩]. أراد بالموازين: العمل.

ثم قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾. والهـــزؤ فهـــو: الاستخفاف والاطراح والتكذيب، فكانوا يتخذون آيـــات الله العظـــيمة الـــباهرة ورسله الصادقة الطاهرة هزوا، فحق عليهم من الله الوبال، وصاروا بكفرهم إلى شر حال.

ثم قـــال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾. ومعنى ﴿ ٱلْفِرْدَوْسِ ﴾ فهو: اسم لفاخر الجنان، وعظيم منازلها، وأكرم محلها، والنزل فهو: العطية والكرامة التي ينزلهم الله بها، ويحلهم فيها.
﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾. والخالد فيها فهو: الدائم الباقي الذي لا يزول عنها أبدا.

ومعـــنى ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ فهو: لا يطلبون بها بدلا، قد عظم سرورهم بها، واشتد جذلهم بدخولها، فهم لا يبغون بها غيرها، مخلدون أبدا فيها.

ثم قال سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾.

قال محمد بن يحيى بن الحسين عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، وقد أثبتُ تفسيره لها وشرحته في كتابي هذا، وما [(١)] كان يقول به في تأويلها، فأثبتها على ما أجاب به، ولم أحب أن أشرح غير شرحه، واجتزيت فيها بقوله، فقال صلوات الله عليه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى ﴾. والكلمات فقد تكون: المحكمات، وحكمة الله سبحانه لا ينفدها منفد، ولا يقدر على إحصائها كلها أحد، وكيف يحيط بكلمات الله لو كان البحر مدادا لنفذ قبل نفادها ؟! ولو جاء بمثلها مددا لها، إلى إن ينقطع ذلك أبدا.

ثم قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾. وكذلك الله عز وجل واحد أحد، صمد فرد.

وقال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾. واللقاء فهو: العودة بعد الموت، والرجعة من بعد البلاء، والمحاضرة، لما قد قدموه من جميع الأشياء، وحضور القيامة.

ثم قال: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾. ومعنى ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا ﴾، والصالح هو: ما افترض الله على خلقه، ودلهم سبحانه عليه في كتابه، وعلى لسان نبيه، من أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والتقرب إلى الله سبحانه بما كان من سوى ذلك من النوافل، وكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه، ويزلف لديه، ومعنى ﴿ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾، يقول: لا يشرك في طاعة ربه وعبادته أحدا من خلقه، وقد يكون ذلك بالطاعة والرياء.

---

(١) في المخطوط: ما كان. ولعل الصواب ما أثبت.

الغفلة

الغفلة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه، محمد خاتم النبيين، وعلى أهله الطيبين وسلم.

من عبد الله محمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى جماعة أهل الغفلة والونى، الراضين لله سبحانه من أنفسهم بأحسن الأشياء، التابعين للهوى، الصادين عن طريق الحق والتقى، بالغرة واللعب والمنى، والإعراض عن الله ذي العظمة الأعلى، التاركين لإمام الهدى، بغير نظر ولا حجة ولا تدبير ولا بصيرة ولا اعتبار، كالأنعام المستنفرة، من رهج القسورة.

أما بعد:

فقد أصبحتم في أشر منزلة، وأقبح حالة، تخدعون الضعفة، وتصدونهم عن المحجة، وتتقلدون آثامهم، وتخترون بالوسواس أحلامهم، وتسلبون بالمكر والخديعة عقولهم، ولا ترجون الآخرة، ولا تخشون شر العاقبة، بل تفكهون في حطام العاجلة، ولا تبالون ماذا قدمتم عليه في الآجلة.

فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، ومن الضلالة والردى، والجري في ميادين أهل الشقاء، بعد المعرفة والهدى، ومن قبول المتشابهات، والأخذ بالأقاويل والتعلات الكاذبات المهلكات، التي لا تصح ولا تصح.

فإن من أخذ في دينه بغير الصحة، عادت عاقبة أمره إلى البدعة، وخرج بغير شك من الحقيقة، وكانت عاقبة أمر خسرا، ونسأله النجاة من البلاء، ومن مجاورة الأشرار، ومن الركون إلى الظلمة الفجار، إنه عليٌّ جبار، عزيز قهار، لا تنكتم عنه الأسرار، ولا تواريه البحار، ولا تخفى عليه خافية، من سر ولا علانية، الجواد الكريم، الواحد القديم، العزيز الحكيم، الذي لم يزل ولا يزول، وهو رب العرش العظيم، مقيم الحجج على البرية، المبين لهم طريق الملة، الموقّف لهم على المنهج، الكاشف عنهم البأساء، المنذر لهم من جميع ما رجز عنه ونهى، سبحانه وتعالى، ﴿

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال:٤٢].

أما بعد:

فـإني أحمـد الله حمد من آمن به واتقاه، وطلب في الأمور كلها رضاه، ولي الحمد والتحمـيد، والآلاء والتوحيد، ذي البطش الشديد، المبدئ المعيد، البعيد من ظلم العبـيد، مدبـر الأمر [1]، ومنزل القطر، ومفجر الأنهار، ومنبت الأشجار، الفرد الصـمد، الواحـد الأحـد، ذو العـزة والجلال، والعظمة والإفضال، والكبرياء والسـلطان، العظـيم البيان، الواضح البرهان، مذري الرياح، وفالق الإصباح، ذو الـنعم السـوابغ، والحجـج البوالغ، مميت الأحياء، ومحيي الموتى، فاطر الأرض والسـماء، لا تنقصـه الساعات، ولا تعروه السنات، النائي عن شبه المخلوقات، العـلي عـن درك الأكف اللامسات، وبصر الأعين المحدودات، الأول قبل خلقه، والـباقي بعد فناء بريته، الذي أسبغ علينا نعمه، وورادف علينا ولدينا مواهبه ومننه، وفقـنا لأمـره، وجعلنا من القَوَمَة بحكمه، والدعاة إلى دينه، مَن عَنَدَ عن طاعته، وحـاد عن نهيه، ومال عن طريق رشده، يأمر بالمعروف الأكبر، وينهى عن الباطل والمـنكر، نحمده على نعمائه، ونشكره سبحانه على ما منَّ [به] من عطائه، كثيرا كما هو أهله ومستحقه.

وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، صاحبة ولا ولدٌ، ولا كفؤ ولا أمد، الـبريء من ظلم العباد، المتقدس عن القضاء بالفساد، الآمر بالخيرات، والناهي عن المـنكرات، خـالق الأرضين والسماوات، النائي عن درك[2] حواس المربوبين، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

---

(١) في المخطوط: الأمور. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في المخطوط: درك واه حواس. ولعلها زيادة سهو من الناسخ.

وأشـــهد أن محمـــدا عبده ورسوله، خاتم أنبيائه، وصفيه ووليه، والمبلغ لما أمر به، والمـــؤدي أمانـــته، والقـــائم بأمره، والذآب عن دينه، والمجاهد للظالمين، والمعادي للفاســـقين، والقـــاتل للناكثين، وسيد المرسلين، وأمينه على خلقه أجمعين، أرسله بالهدى نذيرا وبشيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فقمع به الجاحدين، وأذل به المارقين، وأقام به على بريته الحجة، وأكمل به لهم النعمة، فصدع صلى الله عليه وآله وسلم بالحق، ونطق بالصدق، وذب المشركين، وباينَ في الله عز وجل العشيرة الأقـــربين، حـــتى أتاه اليقين، وقد بلغ الرسالة، وأوضح في الدلالة، قد رضي الله سعيه، واختار له ما عنده، من بعد أن أكمل به دينه، فصلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار، وسلم تسليما.

وأحذركـــم الدنيا وزوالها، والاعتزاز بها، والركون إليها، وأعلمكم أنها فانية، وغير باقية ومنصرفة، ليست بدائمة، حلالها حساب، وحرامها عقاب، كم من مغرور بها قـــد خدعته ؟! وواثق بزهرتها قد أبلغته فعاددته ؟! رهين لحد، وخدن جهد، حلوة خضرة، مورقة زاهرة، تفتن من صبا إليها، وتقتل من أحبها، وتكيد من وثق بها.

كـــم مـــن ضنين بها صرعته ؟! وعاملٍ تعبَ فيها أهلكته ؟! ومؤثرٍ لها نَصبَ فيها أسلبته ؟! فأصبح بعد الجدة متمرقا [1]!! وبعد الكمال متفرقا، قد أكل الدود لحمه، وطحـــن الـــبلاء عظمه، وأخلق الثرى وجهه، مأخوذا محاسبا على عمله، قد أيقن بالجـــزاء، وزاحت عنه العلل والمنى، عند حضور أجله، ونزول الموت به، ومعاينته الأهوال، وشدة الحال، وسكرات الموت وهوله، وحسراته وغمراته، وحضور الملك لديـــه ومعاينته لهم عند مخاطبتهم له وهم يضربون وجهه كما قال الله سبحانه: و﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١]. هنالك تصح

---

(١) متمرقا. التمرق: الشيء يفنى منه فيبقى منه الشيء. ومرق شعره وتمرق وامّرق: إذا انتثر وتساقط من غير مرض أو غيره.

الأعمال، وتصرم الآمال، وتعظم الأهوال [(١)]، وتقع الحسرة والندامة، وتهجم المصائب، وتكثر العجائب، ويطول الحزن والبكاء، والويل والأساءة [(٢)]، وتدوم الحسرات، وتتابع الزفرات، ويتأسف المقصر في حظه، ويرجع باللوم على نفسه، حيث ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨].

فكم في يوم القيامة من باك وباكية ؟! ومعول ومعولة ؟! ونادم ونادمة ؟! وصارخ وصارخة ؟! لا يُرحم بكاؤهم، ولا يجاب دعاؤهم، قد تقطعت بهم الأسباب، وصاروا إلى شر محل ومآب، وقالوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٩] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧-٨٠]، فكيف بكم ؟ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [سبأ:٥٢] ؟! إنه لن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، ولا تُقبل من أحد توبة، ولا تسمع له معذرة، فأين تهربون ؟! وإلى أين من عذاب الله غدا تقربون؟!

عباد الله، فـ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]، فالله الله في أنفسكم، اعملوا لآخرتكم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، قد اقترب الحساب، ودنا المآب، وكل ما هو آت قريب، ومن مهد لنفسه فهو المصيب، قَرُبَ الحساب، وتوضحت الأسباب، ونطقت السرائر، وظهرت الضمائر، وتكلمت الأيدي، وشهدت الأرجل، وعظم البلاء، وتضاعف [(٣)] منه

---

(١) في المخطوط: الأهوال به. لعلها زيادة من الناسخ.

(٢) في المخطوط: والأساة. لعلها تصحفت. وما أثبت اجتهاد.

(٣) في المخطوط: تضاعفت. ولعل الصواب ما أثبت.

الشقاء، وكثرت الأهوال، وطاشت الأحلام، وألجم العرق، وقرب الرهق، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝ ﴾ [الشعراء:٨٩-٩٣] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ ﴾ [الشعراء:٨٨ - ٩٥].

وأيم الله يا أهل الغفلة لو قصدتم الحق لسلمت قلوبكم من الأمراض، ولصمت مسامعكم من الإعراض، ولكن كابرتم ألبابكم، وعارضتم حجج ربكم، الموكلة فيكم، منعتموها من بلوغ الغاية، واستحقاق النهاية، وسبل [١] الدلالة، وحيرتم قلوبكم، ووهلتم[٢] عن النظر لأنفسكم، وأنّى يسلم قلب مع أصدائه والمعارضة له باللهو والمحال؟! وتقلب من حال إلى حال؟! فقلوبكم أبدا مشتغلة،[٣] وألبابكم بحَيرةٍ، وفِكَرُكُم عارية، وإنما القلب مَلِكٌ، والجوارح خدمه، فإذا صلح الملك صح خدمه، وإذا فسد بطل أعوانه وخدمه، فقلوبكم فاسدة، وجوارحكم لذلك مهملة، فكأن قد فزع عن قلوبكم، ونزل بكم الجزاء، وذهب عنكم الاستهزاء، وعاينتم الويل والجزاء.

يا أهل الغفلة: أفي طاعة الله عز وجل تزهدون؟! أم عليه تجترون؟! أم على اللهو واللعب تتنافسون؟! أم على الدنيا وزينتها تتغايرون؟! أما والله لو أحببتم[٤] الدنيا لسألتموها من يملكها؟! ولو أحببتم الآخرة لعملتم ما يصلح لها؟! خسرتم الدنيا والآخرة، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝ ﴾ [الحج:١١، الزمر:١٥].

---

(١) في المخطوط: وسهل. وما أثبت اجتهاد.

(٢) الوهل: السهو والغلط والضعف والفزع.

(٣) في المخطوط: مستقلة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) الكلمة في المخطوط غير واضحة، ولعلها كما أثبت.

وقـد بلغنا أيها الساهون أنكم آثرتم هواكم، وتركتم ما يجب عليكم لخالقكم، وخالفتم ما أمركم الله عز وجل وأمركم به، ودلكم عليه من اتباع المحقين، ونصرة الأئمة الصادقين، وتركتم الفحص والنظر عن أكثر فروض رب العالمين، وأعظمها قدراً، وأجلها خطراً، وأنفسها ذكراً، وأرفعها أرومة، وأعلاها درجة، وأسمحها ذروة، وأسناها أمراً، وأولاها فرضا، وأقواها حجة وفعلاً، نظام الحساب، وجامع المفروضات، وأغفلتكم الحيرة، فعاديتم الحق بلا بصيرة، وارتكبتموه بلا بينة، ورفعتموه بلا معرفة، واستبدلتم به جهلا، واشتريتم به ثمناً قليلاً، فأنتم كما قال الله سبحانه: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ ﴾ [البقرة:١٦-١٨].

عارضتم: يا أهل الغفلة الحق بالعمى، والدين بالهوى، فخذلتم عند ذلك أئمة الهدى، وجريتم في ميادين أهل الباطل والشقاء، بلا حجة بينة، ولا دلالة واضحة، إلا اقتداء بفعل الظالمين، وتخلقاً بأخلاق مَن سَلَفَ من المعاندين، الذين [1]أخبر عنهم أحكم الحاكمين، حين يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝ ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [فصلت:٣٣]. وقال عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥]. وقال سبحانه: ﴿

---

(١) في المخطوط: الذي. وما أثبت اجتهاد.

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٨١-١٨٢] ﴿ هدينا ﴾ ﴿ خلقنا ﴾.

وكأن لم تسمعوه عز وجل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩]، و﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة:١٢٠ - ١٢١]. والصادقون الذين أوجب الله طاعتهم، وأمر سبحانه باتباعهم والكون معهم، فهم أئمة التقى الداعون إلى الرشد والهدى.

وقال عز وجل: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة:٤١]. وقال عز وجل عن مؤمني الجن بمدحهم [1] بذلك: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢].

---

(١٢) في المخطوط: ويمدحهم. وما أثبت احتهاد.

وروي عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (من سمع واعينا أهل البيت فلم ينصرنا، لم يقبل الله توبته، حتى يلحقه جهنم). فقال رجل من القوم: يا أبا الحسين فإني ممن أدرك جدك الحسين عليه السلام فلم أنصره ؟ فقال له زيد: تعد وتستعد، فلعلك تدرك رجلا من أهل محمد، فبالحراء وبالحراء)، وقال رسول الله صلى الله عليه: (من مات لا يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية).

فتركتم الحق والمحقين، وعارضتم كتاب الله الواضح المبين، وأغفلتم ما جاءت به السنة عن خاتم النبيين، فلا كتاب الله حكّمتم، ولا سنة نبيه تبعتم، ولا ما ركب فيكم من عقولكم أنصتفم، فأنتم في أمركم كما قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥]. ولقد عالكم الجهل، فتمكن في قلوبكم، وأغدق سبحانه عليكم حتى زلتم عما كان عليه أوّلكم، وأهل المعرفة من أسلافكم، فملتم عنه عناداً، وسرتم بغير سيرتهم جهلاً وحياداً، ثم نعق بكم ناعق الغي والعمى فتبعتموه جهارا، ولم تتركوا لأنفسكم في الآخرة معادا، فتمسكتم بحبل الغاوين، وباينتم في مقالتكم الحق والمحقين، وتخلقتم بأخلاق الجاهلين، ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر: ٣- ٨].

فأنتم [إن] لم تعاجلوا بالتوبة هالكون، وعند الله سبحانه معتدون، اتخذتم الحق وأهله اعداء وباينتموهم، وغلبكم الهوى فجانبتموهم، وتبعتم الردى، وتركتم التقى[1]، فرفضتموهم، فرويداً تحصدون ما زرعتم، وتجدون وبال ما اخترتم،

---

(١) في المخطوط: وصريم النقا. إلا أن صريم مهملة، والكمبيوتر لا يكتب حرفا مهملا. ولعلها كما أثبت. أو قريبا منها. والله أعلم.

وتجزون صاعا بصاع مما كسبتم، مكتوب في التوراة: [يا ابن آدم كما تدين تدان، إنك لن تجني من الشوك العنب].

فبادروا إلى الله بالرجعة، في اوان الاستقالة ووقت الإنابة، والأنفس سالمة، والأعمال مقبولة صحيحة، وإلا فأنتم خاسرون خسرانا مبيناً، متعرضون بذلك وبالا أليماً، فلا يدعوكم المحكُ [1] والعصبية إلى التقحم في الخطيئة، قال الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨]. وقال سبحانه فيمن صد عن الحق، وجانب عن الصدق: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ ﴾ [الزخرف:٣٦-٣٩].

ويحكم أين [2] تذهبون ؟! وماذا به تحكمون ؟! وماذا به عند الله سبحانه تحتجون ؟! أو بأي سبب من عذابه تتخلصون ؟! وأين من الله تفرون ؟! إذا حصرتم والناس يبصرون، يوم تبلى السرائر، ولا يكون للمرء من الله ولي ولا ناصر، ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ ﴾ [فصلت:١٩]، قال الله سبحانه: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب:٦٦-٦٨].

كيف أمنتم في الدنيا التعس، وفي الآخرة النار ؟! وكيف تصبرون على العذاب والهوان ؟! بمباينتكم الأئمة الأخيار، ومساعدتكم لمن عَنَدَ من الأشرار، وإني

---

(١) في المخطوط: فلا يدعونكم. ولعل الصواب ما أثبت. والمحك: التمادي في اللجاجة.

(٢) في المخطوط: إن. والصواب ما أثبت.

لأحذركم أهوال الطامة، وزلزلة يوم القيامة، والوقوف يوم التغابن بالحسرة والندامة، قال الله سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝ ﴾ [غافر:١٧-١٩]. وأنتم مستقبلون بالسعة ضيقاً، وبالفرح ترحاً، وبالسلامة تعباً ووجعا.

ركنتم إلى دار الغرور ونسيتم يوم الحسرة والنشور، أنى لكم من الله الفرار ؟! أين التورع والاستغفار ؟! أين الندم والاعتذار ؟! صدكم عن ذلك العبث والاستكبار ! فكأن قد حد بكم الرحيل، وقطع بكم الزاد القليل، ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝ ﴾ [المعارج:١١-١٨]. قد عاينوا الخزي في يوم عظيم الأهوال، وراح عنهم اللهو والمنى في كل حال، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. يوم تعطل العشار أربابها، وتهمل الخلائق أموالها، وتنفر الآباء من أبنائها، انفطرت السماء في ذلك اليوم وانشقت، ورجفت الأرض واضطربت، وكورت الشمس فاسودت، وطمست النجوم فتناثرت، وعنت الوجوه فكلحت، وتغثرت الألوان فكسفت، وبرقت الأبصار فشخصت، واصطكت الأقدام فزلت، وبرزت الجحيم فسعرت، ونشرت الصحف فقرئت، وتكلمت الأنفس فاعترفت، وأقرت الجوارح فنطقت، وأعلنت السرائر بما فيها من الفضائح وأظهرت، وعاينت الجحيم المجرمين، فزفرت عليهم لتزدردهم أجمعين، فشهقوا لها أكتعين، وسالت دموعهم من الخوف باكين، ووقع الخلائق على ركبهم حالمين، سكارى من الخوف يرعدون، ونادت جهنم بالمذنبين، ألا سوقا جميع الخاطئين، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

لســت أدري أيها الغافلون ما الذي صرفكم عن طاعة ربكم ؟! أو ما حجتكم في قولكم ؟! وما الذي صدكم عن الحجة المنيرة ؟! الزاهرة البهية البيضاء الواضحة ؟! التي كان عليها أسلافكم، وثبت عليها - والحمد الله - الآن خياركم، ولأي سبب عاديــتمونا ؟ وتركتم بيعتنا ؟ وأعرضتم عن دعوتنا ؟ أجاءكم بذلك نبي مرسل ؟! بكـتاب منزل ؟! بعد محمد خاتم النبيين، صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الأخيار من أهل بيته أجمعين.

فأنــتم بذلــك تحكمون، كما قال الله سبحانه فيمن كان قبلكم من المعاندين: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝ ﴾ [القلم:٣٥-٤٠]. لسنا نجد لكم في دين نبيكم، ولا فيما نطق به كتاب ربكــم، فســحة في فعلكم، فماذا نزل بكم ؟! ولِمَ أصررتم على ظلم إمامكم ؟! وتبرأتم من الحق الذي قد أبانه الله لكم ؟! أثبتوا ذلك بحجة بينة تحتجون لها علينا، وإلا فقد عارضتم الله وكاشفتموه، وباينتموه وعاديتموه وعصيتموه، وخرجتم من طاعته، وخُذلتم [١] بحكم كتابه، وأنكرتم أمر رسوله، ونبذتم فرقانه، وكرهتم فعله، وعطلــتم أحكامــه وحدوده، وجاهرتموه ومرقتم من الدين كما يمرق السهم من الرمــية، وصرتم من أهل المعصية والحمية، واقتديتم بأفعال الجاهلية، وخرجتم من قــرب الرحمن، واعتصمتم بحبل الشيطان، واجتمعتم على الخسران، وكنتم كمن بــاع آخرته بدنياه، وكفر بالله وعصاه، وصار في النار بعمله محله ومثواه، فإنا لله وإنــا إلــيه راجعــون، أسفا عليكم أيها الغافلون، أين العقول المنيرة ؟! والأذهان الحاظــرة ؟! أعدمتموها فأنتم معذورون، وبزوالها عند الله غدا تحتجون، أم أنتم لها مكابــرون ؟! ولنعم الله عليكم فيها منكرون ؟! فلقد خسرتم الخسران المبين، أين يُذهب بكم وأنى تؤفكون ؟

---

(١) في المخطوط: وبذلتم. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

عباد الله كأن لم تسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٢٣]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:١٢]. وقال سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧-٨]. وكأن لم يسمعوا قوله يحض على تقواه، ويأمر عباده بالتعاون عليه، حين يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة:٢]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]. فالله الله عباد الله لا تولوا عنه معرضين، ولا تكونوا له من المعاندين، فينالكم من النقم ما نال الأولين، فقد أمسيتم وأصبحتم أهلَ الحق تشاقون، وعلى البر والتقوى لا تعينون، ولا عنا ألسنتكم تكفون، ولا الدين الواضح تنصرون، والله المستعان على ما تعملون، ولا ما أمرتم به من طلب الدين، والمسألة عن فرائض رب العالمين، ولا الفرض المؤكد عليكم في ذلك تقصدون، كأن لم تسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢]. وقال سبحانه في التفقه والتفهم في الدين: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧]. إن النفير إلى أهل العلم فريضة مؤكدة، من الله لجميع الخلق لازمة.

ألا تسمعون ما ذكر الله سبحانه في هاتين الآيتين، وما أوجب عليكم فيهما من الحجة، حتى تعرفوا [1] الحق من الباطل، والمعتدل من المائل، فلا إلى إمامكم العادل - صلوات الله عليه - لتعلمٍ وتفقهٍ قصدتم، ولا لما أوجب الله سبحانه عليكم من

(١) في المخطوط: تعرفون. والصواب ما أثبت.

الجهاد لأعدائه والقيام مع وليه هدمتم، قال الله سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٧-١٠٨].

وبعد:

فالذي أنتم عليه ثابتون، وعليه مقيمون، وبه عاملون، وبفعله مشهورون، فإن يكن بآية من كتاب الله سبحانه موجودة ؟! أو سنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأثورة ؟! فأوجدوناها وعرفونا بها، وأوقفونا على معانيها، فلا يجوز لنا بعد صحتها الخروج منها، ولا الرفض لها، ولا الترك لما أمر الله به فيها، ولن تجدوا ذلك أبدا ، فإن كان ما تفعلون بأمر غواة المخلوقين الضالين المضلين، الجاحدين ليوم الدين، فبئس ما تفعلون، وبئس ما لأنفسكم تبصرون، أن صدَّقتم خصماءنا علينا، ورحلتم بالهوان بأهواء غيركم فينا، وفعلتم فعل اليهود لعنة الله عليهم، حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٣] ، وقال سبحانه يخبر عن كفرهم أيضا، حين قالوا: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام:٩١]. فأكذبهم الله في قولهم، وذمهم في فعلهم ثُمَّ، أن محمدا صلى الله عليه وعلى أهله ليس بنبي، واتبعوا أهواءهم، وانقادوا لأهل الجهل منهم، فما ضره ذلك ولا ضر الحق الذي جاء به، بل كانوا من الهالكين، وخسروا الخسران المبين، وماتوا وهم من الكافرين، المستوجبين للعذاب المهين.

فأنبهوا عبادَ الله أنفسَكم، واستعملوا عقولكم، مالكم من الحق معرضون ؟! وعلى الباطل مصرون ؟! وعن الصراط ناكبون ؟! وفي الدين مقصرون ؟! بغير تبيين، ولا كتاب مبين ؟! فتوبوا إلى الله في حياتكم قبل أن تصبحوا من النادمين، وتحتجوا بما

احتج به الظالمون، حين قالوا: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٧-٦٨] .

ويحكم لا صبر لكم على النار ! ولا على أهوالها، ونكالها وزفيرها وأجيجها، وظلمتها وشهيقها، وشدة تغيظها، وشراب حميمها، وأكل زقومها، وتخاصم أهلها، وعويلهم فيها، إنها نار تلهب، وأنفس المجرمين فيها تُعذب، وأجسامهم في حرها تقلب، مُنَضَّجة جلودهم، محرقة قلوبهم، باكية أعيانهم، لا ترقأ لهم فيها دمعة، ولا يُقالون عثره، قد أبسلوا بحسرة أنفسهم، وعاينوا العذاب الأليم، والخزي الدائم المقيم، فهم يستغيثون فلا يغاثون، ويسترحمون ولا يُرحمون، ويطلبون الإقالة فلا يُقالون، ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر:٣٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٣-١١١]. وقال تبارك اسمه، وجل ذكره، فيمن استعمل الغفلة، وترك النظر والإستقامة: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦].

أما يسمعون إلى كتاب الله الناطق، على لسان رسوله الصادق: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧ - ١٨]. فهل سمعتم [١] القول فميزتم، أو فتشتم لطلب النجاة فعرفتم، ونظرتم فيما أوجب الله عليكم فعملتم، عمدتم إلى أكبر فروض الله تبارك اسمه، وجل ثناؤه، فجعلتموه أهون الأسباب عندكم، ونبذتموه وراء ظهوركم، وأغفلتم قول الأخيار، وقبلتم قول الخونة الأشرار، فدلوكم بغرور، وأوقعوكم في الهلكة، ودلوكم على أقبح سيرة، وأدخلوكم في الضلالة، يريدون بذلك صلاح دنياهم، واتباع هواهم، ونرجوا أن يكون كدحهم مكذبا، وسعيهم باطلا، ورخاهم ماحلا [٢]، بل هم كذلك وقد بَوَّبوا لكم أبوابا، وفتحوا بظلمهم لكم أسبابا، فحملوا فيها أوزاركم مع أوزارهم، وباءوا في الآخرة بآثامكم وآثامهم، قد رجعتم معهم، وقبلتم كلامهم، وإن الحق عندنا لمستبين، والواجب - وإن عندتم عن الطاعة، وصرتم على غير الإستقامة - أن ننصحكم في أنفسكم، ونعرفكم ما يجب لله عليكم، وإن كنتم عنا صادين، ولنا كارهين، واقتدينا بذلك بما حكم به رب العالمين، في إرسال النبيين، معذرين ومنذرين، مَن عَنَدَ من المخلوقين، ويحذركم ملكة الظالمين، وسطوة الجبارين، ومعاملة المتكبرين، والخضوع لأمر الفاسقين.

والحق والباطل ضدان، وعند أهل المعرفة متنافيان، وقد بلغنا عن بعض مَن طاش حلمه، وقل علمه، وأحاطت به خطيئاته، من أوباش الرجال، وتُباع المحال، أنهم يذكرون عن أبي عبد الله الداعي رحمة الله عليه ورضوانه [٣]، أنه نهاهم عن اتباع الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، وقد علم الخاص والعام، وأهل اليمن وأهل الشام، من فضائل الإمام الهادي إلى الحق رحمة الله عليه

---

(١) في المخطوط: اسمعهم. وما أثبت اجتهاد.

(٢) الكلمتان في المخطوط مهملتان، ولعلهما كما أثبت، والله أعلم. والماحل: الأرض الجدبة. والمحل: انقطاع المطر، ويبس الأرض من الكلأ.

(٣) في المخطوط: ورضوانهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(١)، وعابنوه من علمه وورعه وتقاته، وصدقه وحلمه ووقاره، ومجاهدته لأعداء ربه، ومنابذته للفساق، ومشآقته لأهل النفاق، ومعرفته بالدين وحقيقته، ونصرته وموالاته لأولياء الله، ومعاداته في الله، وتلاوته لكتاب الله، وحفظه لمعالم دينه، ووقوفه على طريق نجاته، وتخلصه من المآثم، وطاعته لله الأعز (٢) الأكرم، وقوله عليه بالعدل والتوحيد، وإقراره بالوعد والوعيد، يضرب على ذلك الهام، ويقتل فيه مَن عَنَدَ من الأنام، مع إقامته للحدود، ومقارعته لأهل العنود، وكف يده عن أموال المسلمين، ورأفته بالضعفة والمساكين، وعنايته بالفقراء المحتاجين، مالا ينكره عالم مؤمن، ولا عارف بالله موقن، وما كان أمره بغي ولا خفي، بل كان علمه مكشوفا، وفعله موصوفا، وبالدين والتقى معروفا، طاهر الأثواب، بريا من الإقتحام على ما لا يحل له من الأسباب، قويا في أمر الله، مصمما في دينه، قائما بما أوجب الله عليه، مع نسكه وخشوعه، وزهده وصلاته، ومحافظته على صيامه، لم يكن بمتكبر ولا متجبر ولا مختال، ولا متقلب من حال إلى حال، بل يبرز للأقران، ويدعوهم للطعان، فأذاقهم حر السنان، وعلا رقاهم (٣) بصارم الهندوان، وزاحف بمهجته جمائع الفرسان، وساق صفوفهم، وقمع في الله نخوتهم، وفل جدهم، وأوهن كيدهم، وهم ألوف مؤلفة، وجيوش متكاثفة، وجمائع عظيمة، كانوا قد أذلوا بها الإسلام، وأباحوا حماه، مع ظلمهم للأيتام، وأكلهم للحرام، وقتلهم لأمة محمد عليه السلام، وما من منقبة جميلة، ولا مرتبة نبيلة، ولا خطة عالية، إلا وللإمام الهادي إلى الحق صلوات الله عليه فيها فضل كامل.

كان أسخى العالمين، وأبر المؤمنين، وأفضل المجاهدين، بعد من مضى من أسلافه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين. كان يزين الحكماء، ويمتاح من علمه العلماء، كم من حد أقامه ! ومنكر غَيّره ! وحقٍ أظهره ! ودين نصره ! ومضطهد

(١) في المخطوط: لفضائل إلى الحق الإمام رحمة الله عليه. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: الأغر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في المخطوط: وعلا رق بهم. مصحفة.

ستره ! وفقير جبره، ويتيم أواه، وحائر أرشده وضال هداه، ومتحير دله الطريق فأقصر، وأعمى القلب جاهل به أبصر، ومجبر مشبه لله عاد ونظر، فتخلص من موبقات، ونجا من مهلكات.

فكم لأمير المؤمنين الهادي إلى الحق صلوات الله عليه من معجزة بينة، وحكمة ظاهرة، قهر بها أهل عصره، يذل الجبار بين يديه، ويخرس أهل الجهل من مناظرته، ويتضعضع المتكبرون خوفا لهيبته، لما عرفوا من سطوته على الظالمين، وشدة قسوته على الفاسقين، كم من متمرد أخزاه، وخميس [1] في طاعة الله أفناه، ومؤمن أدنه، ومظلوم قواه، وما عسى أن أصف من فضل الهادي إلى الحق ؟! ليث الحرب، والكاشف للكرب، صاحب الحملات، وقاتل أهل الجهالات، وقاصم من قال بالمحالات، ولقد كان خليفة مهديا، وعدلا مرضيا ومخيفا [2] كميا، وسميدعا جريا[3] حتى مضى لسبيله رضوان الله عليه محمودا مفقودا، يلقى الأهوال، ويقتل في ذات الله الرجال، عاملا بطاعة الله، متبعا لمرضاته، متجنبا لمعاصيه، فجمع الله بينه وبين جديه محمد وعلي صلوات الله عليهم في مستقر رحمته، وجعلنا في زمرتهم، وممن يحذو حذوهم، ويقفوا آثارهم، ويحيي سننهم رضوان الله عليهم، وصلواته على أرواحهم.

إن الهادي عليه السلام ممن أخبرت به العلماء، وبشرت بقيامه الأنبياء، شهر سيفه، وبذل نفسه، وخاف في طاعة ربه، وباين الظالمين، ونابذ الفاسقين، وخرق الصفوف، وصادم الألوف، وجدع من الظلمة الأنوف، وصبغ من أعدائه السيوف، وذكّر ذا الفقار، وقابع الأخيار، وثار غضبا لله الواحد الجبار، حامى دون دين جده المصطفى جميع الأشرار، يصادم الظالمين، ويقتل أعداء الله المعاندين،

---

(١) الخميس: الجيش، لأنهم خمس فرق: القدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق.

(٢) الكلمة في المخطوط مهملة. ولعلها كما أثبت.

(٣) في المخطوط: حـريًا. ولعلها كما أثبت. لأن الجري: المقدام. وهي تناسب ما قبلها، لأن الكمي هو: الشجاع. والسَّميدع: الموطأ الأكناف.

فناله في ذلك المحكوم، وارتكبته في طاعة ربه الغموم، وصبر على النوائب والهموم، وانفرد في الله من الأهلين والأقربين، فأبلى في الله جهده، فبلغ في ذلك طاقته، غير ناكص على عقبيه، ولا ناكل [1] عن طاعة ربه، لا يطلب إلا صلاح المسلمين وعز الديـــن، وظهور سنة خاتم النبيين، لا لغرض دنيا دنية قصد، ولا لرغبة في حطامها لهد، قد علم ذلك رب العزة الأحد.

يصـــدر الســـهام في أهـــلها، ويخرجها في طرقها، قد باع نفسه من ربه، ودنياه بآخـــرته[2]، ورغب فيما يرغب فيه مثله، من أهل المعرفة والتقى، والدين والهدى، فكـــان صلى الله عليه في بحبوحة الإمامة نازلا، وفي عرصتها قاطنا، يشهد في ذلك الفـــرقان، ويصـــدقه في قوله أهل المعرفة والإيمان، من تعلق به نجا، ومن تخلف عنه غـــرق وهـــوى، مـــع شهادته لله تبارك وتعالى بالعدالة، وبراءته من فعل الظلمة، وإقراره له بالوحدانية، وانفراده بالربوبية، وعرفه حق معرفته، ولم يجوره في حكمه، وجاهد في الله مَن عَنَدَ عن أمره، ولم يصفه بخلاف فعله، تعالى عما يقول المبطلون، وتقدس عما يسنده إليه الجاهلون، المبتدع للأشياء، الخالق للأرض والسماء، الواحد الأزلي، الحـــي القيوم، الأول والآخر، والظاهر والباطن، القوي المقتدر، الذي ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء، وهو العليم الخبير.

أفي الهادي إلى الحق تشكون ؟! أم فيه تمترون ؟! وأنى بمثله لو تعلمون ؟! خسرت صـــفقتكم، وبارت تجارتكم، لقد غبنتم الحظ العظيم، والفوز الكريم، وكنتم كما قـــال الرحمن الرحيم، فيمن ظن أنه على هدى، وهو على الباطل من أمره والعمى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨]. ولقد توفي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه وهو علم للدين، وإمام [3] من أئمة

(١) في المخطوط: ولا بأكل. مصحفة. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: بآخره. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في المخطوط: وقمام. مصحفة.

المسلمين، وعابد لله حتى أتاه اليقين، ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس:٣٥]، فبكت عليه السموات والأرض وجميع من عرف الله من المؤمنين، وبكى فقده قلوب المتعبدين، وتابع إخوان الصالحين، فالقلوب بعده واجفة، والدموع هاملة، والخطوب متمكنة، والحوادث متكاثفة، لجليل ما نزل بنا وبهم من فراقه، فالله على ذلك المستعان، ونسأله الصبر على الإيمان، إنه منان، ذو فضل وإحسان.

يا أهل الغفلة، وأخدان الشهوة، أين يذهب بكم وأنى تؤفكون ؟! أبمثل الهادي إلى الحق يهزأ المجرمون ؟![1] بئس ما نظرتم، ولآخرتكم مهدتم، حسرتم فلم تعقلوا، وعلمتم فلم تفطنوا، قد رين على قلوبكم، فتركتم التمييز، واستحققتم الترك من الله، فعدمتم التوفيق، نظرتم إلى الدنيا بأعين مبصرة، وقلوب زاكية، أحكمتم بها معايشكم، ونلتم بها أكثر مكاسبكم، تسألون عن أرباحكم، وتقصدون في البحث عنه تُصلحكم، وتركبون في ذلك كل عظيم من الأشياء، وعميت أبصاركم، وحارت قلوبكم، عن النظر في مكاسب آخرتكم، وما به تنجون غدا عند ربكم، تركتم أعظم التجارة خطرا، وأكثرها نفعا ومكسبا، كأن لم تسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف:١٠-١٣]. تركتم المسألة عن هذه التجارة، الفاخرة مكسبها[2]، الكريم مطلبها، المنجية من العطب لمن قصدها، فأصبحتم من دينكم في غرور، وفي عملكم

(١) في المخطوط الكلمتان مهملتان. ولعلهما كما أثبت أو قريبا منهما.

(٢) في المخطوط: الفاخرة لمسها. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

علـــى ثبور، أغفلتم النافع لكم، وطلبتم الزائل عنكم، فكأن قد وقعت لكم الحسرة والندامة، وصرتم به إلى شر منزلة وحالة.

وايم الله لقـــد اختـــتلكم الهوى، فأمالكم عن التقوى، وادلهمت عليكم الغشوة، بمجالســـتكم لأهل الغفلة، أي حظ حُرمتموه ؟! وأي منهج حق تركتموه ؟! وأي نور زاهر سُلبتموه ؟! ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة:١٣٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦-٢٥٧]. ذهب العمى، وأنار الهدى، وبانـــت العلماء، بفضل العلي الأعلى، فأنتم في فعلكم كمن ترك المحجة البيضاء، ذات القصد والهدى، وركب المقارب، وتَكَمَّهَ في المعاطب، فقعد عما قصد، وحار عما له نُصب، فتعجل الشقاء، وهجم به ذلك على المتالف والبلاء.

أفمـــا فـــيكم أيهـــا الغافلون رجل سديد ؟! أما فيكم عارف رشيد ؟! أما فيكم معاتـــب لنفســـه لبيـــب ؟! مفكر في أمر خالقه مصيب ؟! احتنك عليكم الجهل، وأهلكـــتكم مردة الرجال، بالباطل والاحتيال، فبادروا بالتوبة، وعاجلوا بالرجعة، واســـتقيلوا الله سبحانه لأنفسكم من الزلة، في أوان المهلة، فليس بعد الموت لأحد مـــن توبـــة، ولا ســـبيل له إلى إنابة، اليوم اليوم عباد الله في أوان الحياة، ووقت الســـلامة، والتوبة مقبولة، والأعمال مكتسبة، قبل معاينة الأهوال، وتصرم الآمال، ومحاســـبة ذي العزة والجلال، ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الدخان:٤١ - ٤٢]، إنـــه مـــن نصب نفسه لعداوة أئمة الهدى، صحت عداوته للأنبياء، ومن صحت عداوة للأنبياء، صحت عداوته للعلي الأعلى.

اللهم اشهد لعبدك وابن عبديك بالنصيحة لخلقك، والزجر لهم عن ارتكاب معصيتك، فقد أبلغت ونصحت، وأخرجت الحجة من عنقي بالتبيين لمن ضل عن أمرك ، والدعاء إلى طاعتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك.

اللهم اشهد على من ظلم [1] وتعدى وصد، واحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين، فقد افترى على أبي عبد الله رضي الله عنه من قال عليه الباطل وظلمه، وتَقَوَّل عليه المحال وبهته، معاذ الله ما قال أبو عبد الله من ذلك حرفا واحدا، ولقد كذب وافترى، وخان وتعدى، وحاد عن طريق الهدى، الذي قال عليه بذلك، بل كان أبو عبد الله يعظم الهادي إلى الحق، ويجل خطره ويشهد بإمامته، ويعرف قدره، ويوجب حقه، ويشهد بفضله، ويذيع مناقبه، ويشهر ذكره، ويأتم به، ولو عُمِّر لخرج معه، كما خرج أخواه الحسن والحسين، العالمان الفاضلان، العارفان بالله، المقدمان بأمر الله، التابعان الورعان التقيان، آثرا [2] الآخرة على الدنيا، وما تبقى على ما يفنى [3]، وما قطع أبا عبد الله نظر الله وجهه، عن أن يفعل مثل فعلهما، إلا ريبُ المنون الذي لا بد منه، ولا محيص عنه، فرحمة الله ورضوانه عليه، غفر الله ذنوبه، وتجاوز حوبه، وبلغه في [ذلك مطلوبه].

وكذلك سليمان بن القاسم الورع الفاضل، الليث العاقل، القائل بفضل الهادي إلى الحق، المقدم له والعاقد في عنقه بيعته، المتقرب إلى الله بطاعته، ولقد كان على الخروج إليه عازما، فرحمة الله عليه، حتى عرض له من الأمر ما لا يقدر على دفعه بشيء، من بعد بيعته للهادي إلى الحق، وإجابته لدعوته، ومسارعته إلى أمره ونهيه.

وكذلك ابنه علي بن سليمان الذي أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه بالهجرة إلى الهادي إلى الحق رضي الله عنه، وبشره بالشهادة، وأخبره بما أنعم الله به

---

(١) في المخطوط: يظلم. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في المخطوط: أبرى. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

(٣) في المخطوط: بما يفنى. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

عليه من السعادة، فخرج إلى الحق قاصداً، ولطاعة الله عز وجل طالباً، حتى بلغ في ذلـــك أملـــه، ونـــال بفضل الله أمنيته، وصدق رؤياه فيما أُمر به ورآه، رحمة الله عليه[1] ومغفرته.

وكذلك موسى بن القاسم الفاضل الورع، وجميع من كان معه من ولد القاسم بن إبراهـــيم رضـــي الله عنه ، فكل قد عقد البيعة في رقبته، وسار تحت عَلَمه ورايته، وقـــاتل وقوتـــل دونـــه، فلا ترتابوا في الحق فتكونوا من الهالكين، ولا تَشكوا فيه فتحشـــروا مع الظالمين، فما بالأمر من غباء [2]، على من آمن واتقى، فنسأل الله لنا ولكم الثبات على طاعته، والنجاة من النار برحمته.

عـــباد الله ألســـتم بالله موقنين ؟! ألستم بفرائضه وما أنزل على خلقه بعارفين ،؟! أتـــرون لو أن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة ثوابه ومأواه، قـــائم بنفسه، ثم خرج ابن ابنه، ودعا إلى الله، وإلى كتابه، وإلى سنة نبيه صلى الله علـــيه وآله وسلم، ثم منعكم القاسم من اتباعه، والإجابة له، والدخول في دعوته، ألـــيس كان يجب عليكم في هذا الفرض المؤكد العظيم، الجليل الكبير، الذي ليس حظـــه بيســـير، أن تخرجوا إلى القاسم، وإلى ابن ابنه حتى تشاهدوهما وتناظروهما، وتعرفوا مذهبهما، ثم كان أعرف الرجلين بالله، وأقومهما بما أوجب الله، وأعزمهما بمـــا علـــيه يتبع، وتقام الحجة على من خالفه، فإذا قامت الحجة عليه، وخرجت الإمامة من يديه، تُرك ورُفض، بعد الحجة والبيان، وما لا يشك فيه من أهل المعرفة إنسان.

فكـــيف يقع عليكم الشك بدعوى مكذوبة ؟! على رجل لم ينصب نفسه ؟! ولم يُقـــم ساعة للحق دعوة ؟! ولم يشهر سيفاً ! ولم يقتل في طاعة الله نفساً ! ولم يُقم عـــلى أحد حداً ! وإنما كان لازما لمنزله، مقتصداً في أمره، غير ظالم للأخيار، ولا طاعن على الأبرار، وإنه مما كذب عليه لبريء، والمتقول عليه فهالك شقي، فليس

---

(١) في المخطوط: رحمة عليه. والصواب ما أثبت.

(٢) يقال: غبي عن الشيء، غباوة. إذا لم يعرفه.

هاهنا شك ولا التباس، ولا حيرة لأحد من الناس، ويحكم إنكم في بحر نار تخوضونه، وأمر لا تعرفونه، أوشك أن يغرقهم فيما لا تفقهونه، فأنتم في دينكم في غرور، تتبعون أهل الشرور، وتقبلون قول الزور، في الأئمة الأفاضل، والدعاة إلى الله في المحافل، قد تركتم الحق وعاندتموه، ورفضتم ما أمركم الله به وكرهتموه، قال الله سبحانه في كتابه: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١ ﴾ [الزمر:٦٠-٦١]. أمكنتم الشيطان من أنفسكم، وحكمتموه على عقولكم، فقادكم في زمامه، وأدخلكم في أعوانه، وأنتم لا تفقهون، ولا إلى الحق ترجعون، ولا كتاب الله تدبرون، ولا دعوة الحق والصدق تجيبون، قد حكمتم على أنفسكم بالعمى، ونفرتم عن الحق والعلماء، حتى كأنكم نابذتمونا، وبجهلكم رفضتمونا، بآية من كتاب الله واضحة، أو سنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيمة، فأظهرتم العداوة لنا، وصددتم جهلا عنا، أفكرهتم قولنا ظلماً وعدوانا، وزوراً وبهتانا، عن قليل تجدون وبال فعلكم، وتجازون على ظلمكم، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٤٤ ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١١١ ﴾ [النحل:١١١]. قد حكمتم على أنفسكم أن لا تطيعوا إماماً، ولا تجيبوا [١] داعياً، بئس ما فعلتم، ولأنفسكم مهدتم، ألسنا ويحكم من ولد محمد خاتم النبيين ،؟! ورسول رب العالمين إلى كافة خلقه أجمعين ؟! ثم من ولد القاسم بن إبراهيم الطاهر بن الطاهر، الفاضل بن الفاضل [٢]، المجرد، العائذ بالله المتعبد، ما هذا الإعراض عنا ؟! والعداوة لنا ؟! أتريدون كلما قال ظالم لنفسه جاهل، مصر على معصيته غافل، كلاماً تبعتموه، ورويتموه وطاويتموه، وأطعتموه بتمويهه عليكم، في أكبر فرائض الله

---

(١) في المخطوط: تجيبون. مصحفة.

(٢) في المخطوط: بن ابن الفاضل. وكتب فوقها علامة شك. ولعلها كما أثبت.

وأعظمها، فتعلمون [1] والله سبحانه بالمرصاد، وإليه المنقلب والمعاد، تبارك ذو العزة والأيـاد، وما حاق فعلكم إلا بأنفسكم، ولا يترل وباله إلا بكم، وما خطابي هذا لرغبة في وصال الظالمين، ولا محبة لمكاونة الآثمين، ولكن حجة أقيمها لرب العالمين، ومـا أنا فيمن أعرض عن طاعة ربه، أزهد منه فيما فرط فيه بجهله، ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس:١٠٨].

وَيْحَكُـم يـا غافلون !! أي علم كعلم الهادي تقتبسونه ؟! وأي زهد مثل زهده تمـثلونه ؟! وأي إمـام في عصره كنتم تعلمونه ؟! فإن جهلتموه فاسألوا عنه غير مـتوانين، وانتبهوا من رقدتكم يا نائمين، اقفوا آثاره، وانظروا أفعاله، تشهد لكم عـلى صـدقه ودلائله، وتُعرِّفكم بحقيقة علم مسائله [2]، إن الجهلة للعلماء أعداء، ولأولي الألباب خصماء، وأنتم مخطون، وعلى خطاياكم مصرون، وبما أنتم فيه من الجهل متمسكون، وللحق وأهله منكرون، ولقد عاش الهادي إلى الحق دهراً طويلاً - ولله الحمد - مقيما للحق، قائما بالصدق، يُمضي الأحكام، وينصف الأطفال، ويبعد المحال، ويقيم الإسلام، ويميت الآثام، حتى إذا انصرمت حياته، وحضرت - صلوات الله عليه - وفاته، اختار الله له ما عنده، ونقله إلى درا كرامته، لم يوجد له رحمة الله عليه بعد عينه ذخيرة جمعها، ولا أموال إلى أحد أزلفها، فما وجد له ثوب يكفـن فيه، حتى اشتُرِيَت أكفانه، وأصلح من بعد عينه شأنه، كان ذلك منه زهداً في الدنـيا، واستضاءاً بنور الهدى، واقتداء بمن سلف من الآباء، وأدى الأمانة، لما كان عليه من حقيقة الديانة.

وَلِـيَ جزءاً من الدنيا، فأقام فيه ما أمره الله به من جميع الأشياء، وخرج منه فرداً، لم يتخذ منه فرشاً ولا كنزاً، بل رد ذلك إلى أهله، ومن حكم الله له به، وهل يحاط

---

(١) في المخطوط: وأعظمهما بسرود. فتعلمون. لعلها زيادة.

(٢) في المخطوط: علمه مسائلة. ولعل الصواب ما أثبت.

بفضـــله ؟! أو يوقـــف على حقيقة أمره ؟! ويح الجاهل بفضله ! بما له تعرض [١]! وأي ركن من الإسلام يجزيه عليه فَرض [٢]؟! وأي معصية لله ومخالفة فيها ارتكض ؟! ولـــن يتلف الجاهل بذلك إلا نفسه، ويُسحب بذلك في النار صاغراً على أنفه، وأنى يضر المسلمين الضحى، أو يدفع الحق بالباطل [٣] والخطأ، وأنا أعظكم بالله أن تولوا عن الحق مدبرين، وأن تكونوا له من المحاربين.

قـــال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله عند لسان كل قائل، فلينظر قائل ما يقول). وقال عليه السلام: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يدري أنها وقعت موقعاً قد تبوأ بها مقعده من النار).

واعـــلموا يا غافلين أن الإيمان، والكفر باللسان، فانظروا كيف تصنعون ؟! وما به على الله تتقحمون ؟! إنكم غدا على الله تعرضون، وعما تقدم منكم تُسألون، وإنه لحـــق مثلما أنكم تنطقون، أيها المرتابون الشاكون ألا تكشفون قولنا ؟! وقول من يطعـــن علينـــا ؟! ألا تفتشون ما عندنا ؟! وعند من لا يصدق فينا ؟! ألا تبصرون رأيـــنا، ورأي من هو مخالف لنا، ألا تميزون الحق من الباطل، والعلم من الجهل ؟! فـــتكونوا من أمركم على بصيرة، وبينة نيرة، فيكون ذلك غدا لكم عند الله حجة، قد أصبحتم مشرفين على الهلكة، منتظرين لنزول النقمة، وزوال النعمة.

اللهم اشهد عليهم وكفى بك شهيدا، وحسيباً ورقيباً، ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعـــام:١٠٤]. وأنا أقسم بالله العظيم، ونوره الكريم، ما دعائي إلى الكتاب إلا لإقامـــة الحجة عليكم !! والتنبيه لكم، فيما أنتم عليه مقيمون من الغفلة والخطأ، والزلل

---

(١) في المخطوط: بما تعرض له. ولعلها كما أثبت.

(٢) هكذا هي في المخطوط.

(٣) في المخطوط: والباطل. ولعلها كما أثبت.

والـــونى، عـــن المعرفة بحق الهادي إلى الحق، والقائم بالصدق، ليكون السائل لكم عن ذلك، والطالب لكم به والمحاسب لكم عليه، من بعد إقامة الحجة عليكم فيه.

ألـــيس يلـــزمكم إن كنـــتم من أهل مقالتنا القول على الله بالعدل والتوحيد ،؟! والإقـــرار بـــالوعد والوعـــيد ؟! وإقامة الفروض المؤكدة، على الصحة والحقيقة، والإسراع لمن دعاكم إلى الحق والهدى، والدين والتقى، والجهاد للظالمين، والمنابذة للفاسقين، حتى يظهر أمر الله وهم كارهون، والإجابة إلى الإمام الداعي إلى الرشد والإيمان، القائم بالفرقان، المظهر للأحكام، الناعش للإسلام، المشبع للأيتام، الحافظ لجمـــيع الأنام، فقد دعاكم وناداكم فتثاقلتم إلى الأرض، وتركتم ما أمركم الله به مـــن الفرض، فخذلتم الحق والمحقين، ورفضتم أكبر فرائض رب العالمين، وما أجد لكم غدا عند الله العلي الأعلى في الرفض لذلك، والعناد له، وترك الدخول، عذراً عند الله عز وجل [1]، بل لا يسعكم، ولا يحل لكم، إن كنتم بالله مقرين، وبحسابه موقـــنين، ولثوابه راجين، أن تعدلوا عن الحق، وتصروا على المجانبة له، وترفضوا ما افترض الله عليكم منه.

فـــبادروا بالـــتوبة، وانتبهوا من الغفلة، وتزودوا للغيبة، التي لا تنتظر معها الأوبة، وتفروا إلى الله ممن قد أهلككم، ودمر عليكم بفعله، وصدكم بجهله، فما فرض الله علـــيكم قولَ من أفسد ولم يصلح، ودعا إلى غير دين الله ولم يفلح، إن الحق ليس يخفـــى عـــلى ذوي الألـــباب المميزين، ولا على أولياء الله المحققين، الموحدين لله، العـــارفين به، قال الله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝ ﴾ [محمد:٢٤-٢٥] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ ﴾ [محـــمد:٢٨]. فـــارجعوا عباد الله بأنفسكم، وتوبوا إلى الله ربكم، وعاملوه عز وجل في سركم وعلانيتكم، وأخلصوا له بهديكم، واعتصموا بحبله، واتقوه حق تقاته، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ

---

(١) في المخطوط: الله وجل. ولعل الصواب ما أثبت. ولعل في هذه الجمل سقطا فالخلل فيها واضح.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨]. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ [آل عمران:١٢٢، آل عمران:١٦٠، المائدة:١١، التوبة:٥١ إبراهيم:١١، المجادلة:١٠، التغابن:١٣].

لم يفتشوا العلم فيبصروا، و لم يتحروا فيه فيقصروا، و لم يتمكن الحق في قلوبهم فيعرفوه، ويعلموا به ولا ينكروه، بل رضوا بالهوى صاحباً، وبالجهل مؤنساً، كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور:٣٩]. فنعتم من عملكم بالمعاصي، وفي طلب التوبة بالتواني، فمثلكم فيما تعلقتم به من البدعة، وخالفتم فيه الكتاب والسنة، ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة:٢٦٤]، فإن ترجعوا إلى الحق تكونوا من القائمين، ويجب لكم ما يجب للمؤمنين، من الإخاء والخلطة، والصفاء والوصلة، والمحبة والموآدة، والمشاركة في كل حال، وإن تتولوا عن الحق مدبرين، وعن الله سبحانه معرضين، تقم الحجة لله عليكم، وتجب عليه البراءة منكم، ثم تعاملون بما يعامل به أهل العناد، لذي العزة والأياد، فيترل بكم ما نزل بالمعاندين، وعما قليل لتصبحن نادمين.

وعليكم بالتقى والصدق في جميع أموركم، والوفاء لله بما عقد في رقابكم، مع أداء الأمانة، وترك الخيانة، وعرفان الحق، ورفض الباطل، ولزوم الإيمان، وحفظ القرآن، والخشية للمنان، وأكرموا الجار واليتيم، واستغفروا التواب الرحيم، ولا تخالطوا الأشرار، ولا تعصوا الواحد الجبار، وحاسبوا أنفسكم، وراجعوا عقولكم، ولا تنسوا حظكم من آخرتكم، واستيعذوا بالله من شر أنفسكم، فإنها أعدى عدو لكم، توقعكم في المهالك، وتدخلكم في المتالف، وتوردكم موارد ترديكم، فويل لكم من يوم عبوس قمطرير، لا تنجون فيه إلا بأعمالكم، فلا تغتروا بالمهلة في أيام حياتكم القريبة، فكأن قد تصرمت آجالكم، ورحلتم بأعمالكم، قال الله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

وقد ترون أيها الغافلون أن جبريل أتى إلى النبي صلى الله عليهما وسلم، فقال: (أحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه، وعش ما شئت فإنك ميت)، قال الله سبحانه: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]. ولا يقولن كل مريب قصدني بكلامه، وخصني بخطابه، ولم أقصد رجلاً بعينه، فأوبخه وألومه، وإنما قصدت بكتابي هذا من كان على ما ذكرت من المخالفة والبدعة، فمن كان كذلك، فإياه قصدنا، وبالموعظة أردنا، وبالتنبيه والتوبيخ اعتمدنا، وحجة الله فيما افترض علينا من التذكرة والزجرة عليه أقمنا، وبأخلاق النبيين ومن كان بعدهم من الصالحين اقتدينا، فليكن كتابي هذا على من سمعه من أهل الغفلة نعمة، ولا يجعله لله سبحانه عليه حجة، فيتعرض لنزول النقم، وزوال النعم.

ولا تكونوا عباد الله ممن ذمه الله في كتابه، وعابه في جميع أسبابه، حين يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٦]. فإني لكم أيها الساهون ناصح، وفي هدايتكم مصرح، ولطلب رشدكم قاصد، ولما تنجون به عند الله صامد، فاقبلوا الموعظة، وتمسكوا بالنصيحة، واستفيقوا من الغفلة، فقد آن لنائمكم أن يتيقظ، ولذي الغفلة منكم أن يتعظ، فقد ركبتم في الغفلة - عن الهادي إلى الحق - مركباً صعباً، يصرع بأموركم، فخسرتم، ذلك هو الخسران المبين، فقد حان لجائركم أن يزدجر ويهتدي، ولظالمكم أن يرجع وينتهي، قال الله سبحانه: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

وأيم الله إن في بلدكم ومن حولكم من أهل مقالتنا لرجالاً مؤمنين، وقوما موحدين، وبالله سبحانه عارفين، وله في جميع أحوالهم قاصدين، وذلك الجمهور الأعظم، وأهل المعرفة والكرم، نظروا بأعين مبصرة، وقلوب زاكية، وفطن ثاقبة، فلم يلتبس عليهم الحق من الباطل فيهلكوا، ولم يمازجهم الشك فيضلوا، بل عرفوا

الحق، ومالوا إلى الصدق، فأبصروا، واقتدحوا من نوره فعرفوا، واستقوا من شريعته فلم يظلموا، وطلبوا من الحق مغرسه فرشدوا، أولئك الذين ربحت تجارتهم، وفازوا بآخرتهم، وأرضوا الله سبحانه بفعلهم، لم تختلج في قلوبهم الأوهام، ولا كلام الجهلة الطغام، شكر الله سعيهم، وثبت على طاعته أمرهم، ونفعهم بالتقوى، وزينهم بالهدى، فقد نالوا بالتعلق بالهادي إلى الحق شرفاً، وأصابوا في ذلك قصدا.

فمنهم عاقد للبيعة في رقبته، والمنتظر لأمره، والمصدق لقوله، والمتمسك بحبله، والمهاجر إلى داره، طالبون لطاعته، ومؤدون [1] للفرض الذي أمر الله سبحانه به، ناصحون مجتهدون في طاعة الله سبحانه، قد باعوا أنفسهم من الله البيع الصحيح، وأخذوا به الثمن الربيح، يرون الموت مغنماً، والمجاهدة لأعداء حتما، حتى يضربون في الله الهام، ويبينون في محبته السواعد والأقدام، فهم في أمر الله مصممون، صابرون محتسبون، يأمرون بالمعروف الأكبر، وينهون عن التظالم والمنكر، لا تهولهم المحن، ولا ترعدهم في طاعته الإحن، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ٢٣﴾ [الأحزاب:٢٣]، أولئك عند الله سبحانه مكرمون، ولديه غدا مثابون، ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤].

فلو سألتم مشايخ في بلدكم أهل ديانة، ومعرفة وعلم وأمانة، لرشدتم، استقوا من الماء عذباً، وشربوا نهلاً، ومشوا في المعرفة رسلا، أخذوه من مغرسه، وطلبوه من أهله، فهم على بينة من ربهم، رضي بهم الهادي إلى الحق لكم دعاة ومبصرين، ومعلمين ومفهمين، فاسألوهم ترشدوا، واقتبسوا منهم تهتدوا، فلن يدخلوكم في ردى، ولن يخرجوكم أبدا من باب هدى، بعون الله ذي العزة والعظمة الأعلى.

---

(١) في المخطوط: والمؤدون. وما أثبت اجتهاد.

ولست أوصي نفسي وإياكم إلا بتقوى الله العظيم ومراقبته، وإيثار طاعته، والتجنب لمعاصيه، فإن بطاعته نجا الناجون، وبمعصيته هلك المفترون، وحجج الله قائمة، وبيناته ظاهرة، وكتابكم بينكم آياته منيرة، ودلائله زاهرة، ولمن دعاكم إلى الله شاهدة، والله خير الشاهدين، وأحكم الحاكمين.

وخذوا عباد الله نصيبكم من التقوى، فإنها أفضل ما طُلب من الأشياء، إن الدنيا تخلق الأبدان، وتذهب الأعمار، وتجدد الآمال وتباعد الأمنية، وتقرب المنية، دار كل محنة وبليَّة، من ظفر فيها نصب، ومن فاتته من أهلها تعب، والمخرج منها ففي سلوك المنهج وترك اللهج، بما لا يثبت به لصاحبه عند الله الحجج، فاقبلوا النصيحة، ودعوا اللجاجة، فخير الإخوان من أعان على التقوى، ودلت صحبته على الرشد والهدى، ولا تجعلوا لله عليكم سلطانا، فقد أعذر عليكم وأنذر، وبيَّن وحذَّر، قال الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٤-١٤٥]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج:١-٤].

تم كتاب الغفلة، والحمد لله أولا وآخرا.

الأصول

الأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم.

قال الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما: اعلموا أحاطكم الله وهداكم، ووفقكم وكفاكم، أنه لا يصلح عمل إلا بمعرفة وبصيرة، ونية وعزيمة، فإذا اتفقت المعرفة والعمل، فقد سلم العبد من الهلكة والزلل، واستوجب من الله سبحانه السلامة في دنياه الفانية، وآخرته الباقية، فكان في هذه الدنيا برا تقيا، وفي الآخرة مقربا زكيا، نسأل الله لنا ولكم الثبات على طاعته، والتمسك بحبله، والموالاة لأوليائه، والمعاداة لأعدائه، والعمل بما أمر به من حكمه، حتى يوصلنا وإياكم بذلك إلى ثوابه، ويجعله لنا ولكم سترا من عقابه بعفوه.

باب التوحيد

فأول ما ينبغي لكم أن تعرفوا، ولدين الحق أن تقصدوا، وهو الواجب عليكم من الحق، معرفة الله سبحانه، وأصل معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي جميع صفات التشبيه عنه، فليس له سبحانه شبه ولا نظير، ولا يوصف بحد مما يوصف به المحدودون، فتنفوا عنه جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، شَبَهَ خلقه، وكل ما كان فيهم ولهم من الأدوات والآلات، من الأيدي والأرجل، والوجوه والألسن، والشفاه والأبصار والأسماع، حتى يخرج من قلوبكم، ويصح في معقولكم، أنه بخلاف ما ذكرنا من خلقه، وتعلموا أن لكل [1] ما ذكر الله سبحانه من ذلك في نفسه معنى وتأويلا معروفا، عند أهل المعرفة والدين، الذين أؤتمنوا عليه، وأمروا بالقيام فيه، والدعاء إليه، فلا يقع في عقولكم أن المخلوقين بصفة من الصفات التي تعقل وتميز بالعقول والأبصار، إلا كان الله سبحانه بخلاف ذلك الذي يتوهمه المتوهمون.

---

(١) في المخطوط: كل.

فكل ما وقع في قلوبكم أنه على مثال، أو شيء من الأشياء، فهو تبارك وتعالى بخلاف ذلك، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤]، فهو الذي لا كفؤ له ولا نظير ولا مثيل، ولا شبيه ولا عديل، عز ربنا وجل عما يقول المبطلون والمشبهون علوا كبيرا، لا يُوصف سبحانه إلا بما وصف به نفسه، ولا يُستدل عليه إلا بما أوجد من خلقه، وأبان من صنعه، من سماء مبنية، وأرض مدحية، وأرواح مَذْرِيَّة، وكواكب تجري، وقمر يسري، ونهار منير، قَدَّرَ شمسه الواحد القدير، المكون لكل ما دل به على نفسه، البريء من شبه خلقه.

باب القول في العدل

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الله سبحانه عدل في قضائه، لا يقضي على خلقه بمعصية، ولا يخرجهم من طاعة، أمرهم تخييرا، ونهاهم تحذيرا، لم يجبرهم على معصية، ولم يخرجهم من طاعة، بل مَكَّنهم من الاستطاعة، وأعطاهم على ما كَلَّفَهم القوة، وجعل لهم إليه السبيل، فمن أطاعه فقد نجا، ومن عصى فقد استوجب من الله سبحانه النقم والبلاء.

فأما ما يقول به الجهال الذين لا يعرفون الله عز وجل، ولا يصدقون وعده ولا وعيده، فيقولون: إن الله سبحانه يقضي بالمعاصي ويأمر بها، والله تعالى بريء من ذلك، بل كذبوا في قولهم، واجترأوا على الله بكلامهم.

وكيف يقضي سبحانه بمعصية ثم يعذبهم عليها ؟! إذاً لكان لهم ظالما ؟! وعليهم متعديا ! والله بريء من ذلك. ولو كانت المعصية كما يقول هؤلاء الظلمة، أنها قضاء من الله حتم، ما كان للعبد في ذلك ذنب !!! لأن المعصية حينئذ فعل الله لا فعل العبد، وليس للعبد في قضاء الله حيلة. أفلستم ترون إن كان الأمر كما قال هؤلاء الظلمة ؟! أن الله قد ظلمهم، أو عذبهم على فعلهم، لأنه حين قضى عليهم بالمعصية، قد منعهم من الطاعة، ولو تركهم والطاعة لأطاعوا !! والله بريء مما يقول فيه المبطلون، وأسنده إليه الجاهلون، ألا تسمعون كيف أكذبهم سبحانه: ﴿

وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨]، فأكذبهم في قولهم، ونفى عن نفسه ما نسبوه إليه بظلمهم، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، فذكر الله خلقهم للعبادة لا للمعصية، وأكذب قول من زعم أن الله يقضي على العباد بالمعاصي، وقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠]، وذكر أنه أمر بالصلاح والتقى، والدين والهدى، وأبطل بذلك قول من زعم أن المعاصي من الله قضاء.

أرايتم لو أن أحدكم أمر عبده، وحكم عليه بعمل شيء من الأشياء فعمله وأطاعه، ثم أخذه فضربه على ما عمل مما أمره به، أليس يكون قد ظلمه وتعدى عليه ؟! فإذا كان هذا من فعل المخلوقين ظلما وتعديا ومستنكرا !! فكيف يجوز أن ينسب إلى الله رب العالمين ؟! أو يقال به في أحكم الحاكمين ؟! أن يكون يقضي عليه بمعصيته، ثم يعذبه عليها.

فإن قال قائل: فإن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر:٨]، فقد نراه يُضِل.

قيل له: إنما تتبع ما تشابه منه، كما قال الله سبحانه: ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧]، وقد أخبر أن تأويله لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، والقرآن عربي ليس بأعجمي ! إنما يقرأه العلماء من آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، ممن له المعرفة باللغة، والقصد الذي أراد الله به، فمعنى: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾، فإنما هو: يوقع اسم الضلالة عليهم، لما أن استوجبوا بفعلهم اسم الضلال، سماهم ضالين، وهذا موجود في اللغة، إذا قال رجل لرجل: يا ضلال فلان ضللني، و لم يضله عن طريق ولا محجة، وإنما سماه ضالا، فلما أن سماه ضالا، قال: ظلله، فعلى هذا يخرج معنى قوله سبحانه: ﴿ يُضِلُّ ﴾، أي: يوقع اسم الضلال على من يستأهل ذلك بفعله.

ولو كان كما يقول المبطلون، يقضي عليهم بالمعاصي حتما، وبالطاعة حتما، كما قضى بالموت والخلق، فجعل منهم أبيض وأسود، وأحمر وأصفر وأسمر، وطويلا وقصيرا، ما ذمهم على معاصيهم، ولا عاقبهم على فعلهم، ولا حمدهم على حسناتهم، ولا على طاعتهم، إذ كان ذلك منه قضاء، كما لم يحمدهم ولم يعاقبهم على بياضهم وسوادهم، واختلاف ألوانهم وموتهم، ولكن جعلهم مخيرين في الطاعة والمعصية، وأبان لهم طريق النجاة والهلكة، ثم قال: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٢]، فعاقبهم على اختيارهم المعصية، وأثابهم على اختيارهم الطاعة.

والشاهد على ما قلنا من تخييره لهم، وتركيب الاستطاعة فيهم، وأنهم غير مضطرين، ولا مقهورين. قوله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧]، فأخبر الله أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى، ولو كانوا مجبورين على المعصية مقضيا عليهم بها، ما استحبوا شيئا، ولا قدروا من بعد أن هداهم أن يستحبوا.

وكيف يجوز لمن آمن بالله يقول: إن الخلق مجبورون، والله يقول: استحبوا. فقول الله أحق وأولى، وأصدق في جميع الأشياء، لأنه لا يجوز أن يقال: اختر لمن لم يجعل له اختيارا، ولا استحبابا، ولولا أنه جعل فيهم الاستطاعة، ما قال: ﴿ ٱسْتَحَبُّوا ﴾، هذا مالا يقول به عارف تقي، بعد ما يسمع من قول الله سبحانه ما يسمع، فهذا كتاب الله ينطق بخلاف ما قالت المجبرة، فسبحان من لا يظلم العباد ! ولا يقضي عليهم أبدا بفساد [1]!

باب القول في الوعد

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الله سبحانه يبعث من في القبور، ويجمعهم عز وجل ليوم النشور، وأن ما وعد الله سبحانه أولياءه، وأهل طاعته، من الثواب الكريم، والخلود في جنات النعيم، حق: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا

---

(١) في المخطوط: بفسادهم. ولعل الصواب ما أثبت.

بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجـر:٤٨]، دائـم سـرورهم، رائحـة أحزانهم، جزيل عطـائهم، مسـتمر ذلك لهم أبدا: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [الدخـان:٥٦]، فهذا الذي ذكرنا من وعد الله سبحانه حق يقين، ﴿ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريـات:٢٣]، ليس في وعد الله خلف، ولا لعطائه انقطاع، ما دامت السماوات والأرض، أبد الأبد.

باب القول في الوعيد

ثم تعلمون من بعد ذلك أن وعيد الله سبحانه وما أعد لأعدآئه، المخالفين لطاعته، حق: ﴿ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ [المجادلة:٨] (١)، ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ - كما قال سبحانه: - إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [النبأ:٢٤-٢٥]، يعذبون فيها بألوان العذاب، في السلاسل والأغلال، ﴿ وَلَهُم - كما قال سبحانه:- مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحج:٢١]، يضرب بها رؤوسهم، إن اسـتغاثوا من جوع أطعموا الزقوم، وإن استغاثوا من عطش اسقوا ماء الحميم، يقطع أمعاءهم، فهم في بلاء لا ينفد، وعذاب سرمد مؤبد، لا يموتون فيها أبدا كما قـال سـبحانه: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طـه:٧٤] (٢)، كلما احـترقوا، حـتى تـبقى أرواحهم في رؤوسهم، ردهم الله على ما كانوا عليه من الصحة، وكلما أخرجوا من عذاب دخلوا في عذاب، لا يخرجون من عذابها ساعة، قـال الله سـبحانه: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النسـاء:٥٦]، وقـال عـز من قائل: ﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجـر:٤٨]، وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٦]، فإذا علمتم ذلـك، وأيقنتم أنه ليس بخارج من النار من دخل فيها، فقد عرفتم الوعد والوعيد،

---

(١) في المخطوط: ﴿ فبئس ﴾.

(٢) في المخطوط: ﴿ لا يموتون فيها ولا يحيون ﴾.

وأصبحتم لله سبحانه نعم أهل الطاعة والعبيد.

باب القول في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تعـــلمون من بعد ذلك أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عبد الله ورسوله، وخيرتـــه من خلقه، وصفوته من جميع بريته، خاتم النبيين، فلا نبي بعده، أرسله الله سبحانه نذيرا، وناصحا وبشيرا، بدين واضح مستبين، خلّص به خلقه من العذاب المهين، ودلّهم على الحق الواضح المستبين، فبلّغ صلى الله عليه وعلى آله رسالة ربه، ونصـــح لأمته، واجتهد في تبليغ ما أرسل به، حتى شرح الحلال والحرام، وأوضح الحق والأحكام، فلم يبق فريضة من فرائض الله سبحانه، تعبّد بها خلقه، حتى بلّغها رسوله جميع عباده، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفـــال:٤٢]. فـــلما أقام الله الحجة على خلقه، برسوله وخاتم أنبيائه، قبضه الله إليه وقد رضي عمله، وتقبّل سعيه، فعليه من الله أفضل الصلاة والترحيم.

باب القول في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام

ثم تعلمون من بعد ذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أخو رســـول الله ووصيه، وأفضل الخلق بعده، وأعلمهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقومهم بحق الله، وأشدهم إبلاء في جهاد أعداء الله، بين يدي رسوله، وفـــيه ما يقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة:٥٥]، فكان يـــؤتي الزكاة - وهو راكع - علي بن أبي طالب دون جميع الخلق. وفيه ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه، الـــلهم وال مـــن والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله). والخلـــق كلهم مجتمعون يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو رافع بيد علي عليه السلام، حتى أبصر بياض آباطهما، وهو ينادي بهذا القول. وفيه أيضـــا يقول: (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي). ويقول: (

علي مع الخلق والحق معه).

[فضل الحسن والحسين]

ثم تعلمون من بعد ذلك أن (السبطين الحسن والحسين، أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيباه)، وأنهما إماما عدل، واجبة طاعتهما مفترضة. وفيهما [١] وفي أبيهما وأمهما ما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين جمعهم تحت الكساء، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، أنا حرب لمن حاربهم، سِلْم لمن سالمهم، اللهم وال من والاهم وعاد من عاداهم). وفيهما ما يقول عليه السلام: (كل بني أنثى ينسبون إلى أبيهم، إلا ابنَي فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما). وبذلك حكم الله سبحانه لهما حين يقول لرسوله، إذ أمره بالمباهلة للنصارى، فقال له: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝ ﴾ [آل عمران:٦١]، فحضر صلى الله عليه وآله وسلم بالحسن والحسين، فهما أبناؤه بحكم الله لهما بذلك، وأحضر معهما عليا وفاطمة، فـ(علي نفس رسول الله)، (وفاطمة بضعة منه). وفيهما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما). وفيهما صلوات الله عليهما من الأخبار والروايات ما يكثر ذكرها، ويتسع شرحها، وفضلهما [٢] فأكثر من أن يحصى، وفيما شرحناه كفاية وبيان.

باب القول في الإمامة

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الأئمة من ولد الحسن والحسين، فمن كان مستأهلا من أحد هذين البطنين، وكانت فيه شروط الإمامة وصفتها، فهو الإمام مفترض الطاعة. ولا تجوز الإمامة أبدا إلا في ولد الحسن والحسين، بتفضيل الله لهما، وجعله

---

(١) في المخطوط: ولأبيهما وفيهما. زيادة سهو.

(٢) في المخطوط: وفضلها. ولعل الصواب ما أثبت.

ذلـــك فيهما. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أهل بيتي أفضل الخلق، وهـــم صـــفوة الله مـــن خلقه، والأمناء على بريته وعباده). ذلك لمن كان منهم فاضلا، ولأمر الله سبحانه متبعا، وبحكمه مقتديا. وفيهم ما يقول رسول الله صلى الله علـــيه وآلـــه وسلم: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلـــف عـــنها غرق وهوى). وفيهم أيضا يقول: (أهل بيتي أمان لأهل الأرض، والـــنجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض، أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهبت النجوم من السماء، أتى أهل السماء ما يوعدون). وفيهم ما يقول: (إني مسائلكم غدا، فمجحف بكم في المسألة، عن كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض). وفيهم ما يقول: (ما أحبنا أهل البيت أحد، فزلت بـــه قدم إلا ثبتته قدم، حتى ينجيه الله يوم القيامة). وفيهم ما يقول: (ما دخل في دمائنا أهل البيت أحد من الناس، بسهم ولا سيف ولا رمح، ولا شطر كلمة، إلا جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله). وفيهم ما يقول الله سبحانه، ممـــا افـــترض على خلقه من المودة لأهل بيت نبيه عليه السلام، فقال: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشـــورى:٢٣]، فأوجـــب محبتهم، وافترض ولا يتهم، مثل الصلاة والصيام، فمن قام بما أوجب الله عليه فيهم ســـلم وغنم، ومن قصر في ذلك هلك وندم. وفيهم ما يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فبين الأمر فيهم سبحانه وأوضحه، ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء:١٦٥].

باب القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تعـــلمون من بعد ذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين قاموا بالدين، وكانوا في حقيقة الإيمان، واتبعوا بالطاعة والإحسان، واجب فضلهم مشـــهور، والطـــاعن عليهم مأزور، والمتنقص لهم مذموم، هالك عند الله مثبور، معـــذب مدحـــور، لمدح الله سبحانه لهم، وما قال فيهم، حيث يقول: ﴿ ۞ لَّقَدۡ

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨]. وقال عز وجل: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح:٢٩]. وفيهم من التفضيل في كتاب الله، وعلى لسان نبيه، ما لو ذكرناه لطال به الشرح، وكثر فيه القول، فحقهم واجب على جميع المسلمين، وفضلهم لازم لجميع المؤمنين، فلا يسع أحد من الناس طعن على أحد ممن ذكرنا، إلا الترحيم عليهم، والاستغفار لهم واجب، والاقتداء بحسن أفعالهم لازم، إذ لهم السابقة القديمة، والأفعال المحمودة، والنية والبصيرة، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين، إنه لذو فضل على العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فذلك الواجب لمن ثبت على عهد رسول الله منهم، ولم يتغير عما عاهد الله فيه، حتى لقي الله عليه.

باب القول في الجهاد

ثم بعد ما ذكرنا فيجب على الخلق أن يعرفوا فضل الجهاد، وما أوجب الله عز وجل لمن جاهد من الثواب العظيم الكريم، والجزاء العظيم، فبالجهاد يُقام الكتاب وتحيى السنة، وتنفذ الأحكام، ويذهب الباطل والآثام، وتشبع البطون الجائعة، وتكسى الظهور العارية، وينصف المظلوم، ويقمع الجبار، ويرضى الرحمن، ويسخط بالشيطان، وتذهب الأهواء المشكلة، وتثبت الأسباب النيِّرة. وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصف:١٠-١٢]، فأوجب الله سبحانه لمن جاهد

غفران الذنوب جميعا، ولم يوجبه في شيء من الأعمال إلا في الجهاد.

وقال سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، في الجهاد: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣]، ثم قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩]. وقال سبحانه: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [الأحقاف:٣١، نوح:٤]، فلما ذكر الجهاد قال: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥].

وفي الجهاد ما يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: (ما اغبرت قدما رجل مؤمن في سبيل الله فطعمته النار). وقال عليه السلام: (إذا أرجف قلب المؤمن في سبيل الله، تحاتت الذنوب عنه، كما يتحات التمر اليابس من رؤوس النخل، في يوم عاصف). وفي الجهاد ما يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لنومة في سبيل الله، أفضل عند الله من عبادة ستين سنة، يصوم نهاره لا يفطر، ويقوم ليله لا يفتر). ويقول عليه السلام: (ما خفقت راية حق على رأس امرء مسلم، إلا حرم الله عليه النار). وقال عليه السلام: (مثل أعمال البر مع الجهاد كمثل مجة في بحر). وفي الجهاد من الفضل، والذكر من الله سبحانه ومن رسوله عليه السلام، ما يطول شرحه، ويكثر ذكره، والقليل النافع خير من كثير غزير لا يغني.

والجهاد فإنما فرضه الله عز وجل على كل مسلم، وأمرهم بجهاد كل ظالم غاشم، فقال سبحانه في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:١٢٣]، فلما نزلت هذه الآية قال بعض الناس: الجهاد في أهل الشرك، وقال بعضهم: الجهاد في أهل البغي، من أهل الإسلام، حتى يعودون إلى ما حكم به رب

العالمين، في كتابه المبين.

ثم نظرنا في قولهم، فطلبنا شاهدا في كتاب الله عز وجل في اختلافهم، فوجدنا الله عز وجل قد بيّن ذلك في كتابه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧]، فعلمنا عند ذلك أن كل من لم يحكم بما أنزل الله، فقد افترض الله جهاده، وأوجب على الأمة قتاله، حتى يرجع إلى أمر الله، قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التوبة:٧٣، التحريم:٩]. فأمر الله بجهاد الكافر والمنافق معا.

وقد أمر سبحانه نبيه عليه السلام بقتال فئة من المسلمين، بغت على فئة أخرى من المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات:٩]، فإذا كان الله عز وجل يأمر بجهاد فرقة من المؤمنين، إن بغت في دَلْوِ ماءٍ على فئة أخرى من المسلمين، وذلك: (أن جهينة ومزينة كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبق أحد الحيين إلى الماء يقال لهم: جهينة، ثم جاءتهم مزينة وكانت أكثر منهم، فقالت لهم: انحازوا عن الماء حتى نشرب، فامتنع الآخرون من ذلك، وقالوا: نحن سبقناكم إلى الماء، فإذا فرغنا شربتم كما شربنا، فأبوا عليهم وقاتلوهم على الماء وطردوهم عنه، فأمر الله سبحانه بقتالهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار معه حتى وضعوا السلاح في الفئة الظالمة، وقتلوا منهم وطردوهم.

فإذا كان الله يأمر بقتال فئة من المسلمين إن بغت على فئة من المؤمنين في دلو ماء، فكيف لا يأمر بقتل من بغى على رب العالمين ؟! وخالف سنة خاتم النبيين ؟! وشرب الخمور، وارتكب الشرور، وعطل الصلاة، وترك الزكاة، واعتكف على اللهو والطنابير، واشتغل بضرب المعازف والمزامير، وظلم الأيتام، وقتل في الإسلام، وظلم المسلمين، وقتل الضعفاء والمساكين، وهتك الحريم، وأظهر المنكرات، وأمات

الصـــالحات. فجهاد هؤلاء ومن كان مثلهم فواجب، [وواجب] على الأمة صلاح دار محمـــد وتتريبهـــا، من الأدناس التي هي فيها، حتى يرجعوا إلى ما افترض الله عليهم من حكمه، والقيام بما أوجب الله من حقه، فإذا فعلوا ذلك، وأقاموا دينهم، ونزهوا دارهم، وجب عليهم أن يخرجوا إلى الروم وغيرهم من المشركين.

فأما والدار فاسدة، وأحكام الكتاب مُطَّرحة، وكثير من الخلق عن الله شاذون [1]، ولأمـــره مضآدون، وعلى معاصيه مكابرون، فكيف يُجاهدون المشركون، وتَصلح دارهم ؟! وهذه دار محمد عليه السلام فاسدة، وأمته لشريعته بعد تاركة ؟! إلا من عصـــم الله قلـــبه، وبالخير سدده، وذلك القليل من القبيلة، والواحد من الجماعة، فَلْيَبْكِ على الإسلام الباكون، وليندب دين محمد عليه السلام النادبون، فقد أصبح غريبا مُطَّرحا، قليلا ناصره، كثيرا مضآده، فإلى الله في ذلك المفزع والمشتكى، وهو غاية المطلب والرجا.

فَرَحِمَ الله عبدا نظر لنفسه، وقاس شبره بفتره، وطلب ما ينجيه في آخرته، ورجع إلى الله تائبا من ذنوبه، وعمل لآخرته، واستكثر من زاده، ليوم معاده، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، الـــنجا الـــنجا عـــبادَ الله، والطلب الطلب ! لما ينجي من العطب ! في يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، فـــلا تغـــتروا - رحمكمُ الله - بالدنيا، ولا تستعملوا في حياتكم المنى، فكـــم مـــن مغـــرور بأجله قد بغته الموت في غفلته ! فالدنيا غآرة لمن ركن إليها، مهلكة لمن وثق بها، لا يدوم خيرها، ولا تنفك عجايبها، ولا فجائعها، من اطمأن إلـــيها خدعته، ومن وثق بها صرعته، المغرور من اغتر بها، والجاهل من وثق بشيء منها.

فـــبادروا فـــيما ينجيكم عند الله، ويقربكم إلى ثوابه، ويباعدكم من أليم عقابه، ﴿

(١) في المخطوط: مأذون. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان:٣٣] (١).

باب وجوب طاعة أولي الأمر من ولد الرسول صلى الله عليهم أجمعين

ويجب على المسلمين أن يعرفوا على الحقيقة، وما أوجب الله سبحانه عليهم من طاعة أولي الأمر من أهل الحق، والقَوَمَة بالصدق، الذين أمر الله باتباعهم، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]، فيجب على من اعتقد طاعة إمام عدل، أن يحسن طاعته، ويخلص في قيامه معه، ولا يجوز (٢)ما أمره به ربه، فإن المخالفة لإمام حق وزر عظيم، وذنب عند الله جسيم، وتصديق ذلك ما تجدون في كتاب الله جل وعز من الأمر بالطاعة، ألا تسمعون كيف يقول سبحانه في كتابه: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩]، فأمر سبحانه بالطاعة، وحكم عليهم سبحانه في ذلك بالاستقامة، ثم قال عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]، فأوجب سبحانه الطاعة لأنبيائه عليهم السلام، ثم أوجبها من بعدهم لأوليائه المطيعين لأمره. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء:٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن

---

(١) في المخطوط: ﴿ واتقوا ... ﴾.

(٢) لا يجوز، يعني: لا يتجاوز.

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧١-٧٢]. فأعطاهم الله سبحانه على الطاعة ما تسمعون، مما ذكر من عظيم الهبة، وجزيل العطية، وكريم المنزلة، لأنه لا تتم الديانة إلا بالطاعة، ولا يثبت دين مع المخالفة، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، ثم قال سبحانه يعذر إلى خلقه، ويقيم الحجة عليهم في الطاعة، وما أمرهم به من الاستقامة، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤]، ثم قال سبحانه مخبرا [1] عما سينالهم في مخالفتهم عن الطاعة، وينزل بهم في الآخرة من غضبه، وأليم عذابه، ولعنته [2]: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٨]. فوقعت بهم عند ذلك الندامة، حيث لا استقامة، وجُعلوا بين أطباق النيران، وفي محل الخزي والهوان. ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [المعارج:١١-١٨].

ثم قال سبحانه يحث على الطاعة لنبيه عليه السلام: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ

---

(١) في المخطوط: ويخبر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: لعنته. ولعل الصواب ما أثبت.

يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المجادلة: ١٣]، وطاعة الأئمة الأتقياء، فرض من الله سبحانه، كما أوجب طاعة الأنبياء سواء سواء، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء:٥٩، الأنفال:٢٠، محمد:٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦].

فاحفظوا - رحمكم الله - دينكم بالاستقامة والطاعة والنصيحة لله سبحانه، على الحقيقة الذي أمركم، فإن الله عز وجل يطلع علي قلوبكم، ويحيط بما استجن بين جوانبكم، وهو المكافي لكم. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، فـ ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

باب النازل

ويجب أيضا على كل عاقل من أهل الإسلام، عند نزول شديدة من الشدائد، في نفسه أو ولده أو ماله، أن يحسن بالله سبحانه الظن، فما كان من هذه النوازل من قِبَل الله سبحانه، نظر فيها الذي تنزل به نظرا جيدا وميَّزَ أمره، فإن كان مطيعا لله سبحانه مؤتمرا بأمره، منتهيا عن نهيه، غير مخالف في شيء مما حكم به، فليعلم أن هذه النازلة محنة من الله سبحانه، اختبره بها ليضاعف له الأجر والثواب عليها، ويعظم له العطاء والجزاء فيها، لأن الله سبحانه يقول: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت:١ - ٢]، أي:يمتحنون، ليتبين بحقائق إيمانهم وصحة إسلامهم، عند نزول الشدائد والامتحان بهم.

وإن كان صاحب هذه النازلة عاصيا لله معاندا، مرتكبا المعاصي، غير خايف له، ولا مؤتمر بأمره، فليعلم أن ما نزل به من هذه المصائب عقوبة وبلاء، وخزي من الله في جميع الأشياء، وذلك قليل من كثير سينزل به، ويحل بساحته، فليبادر بالتوبة والرحمة، قبل حلول منيته، والوقوف لمحاسبته.

باب معاداة الظالمين والبراءة منهم

ويجب أيضا على جميع المسلمين أن يقفوا على ما أمرهم الله به في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من المعاداة للظالمين والمجانبة لهم، والرفض لمن كان ظالما، من قريب وبعيد، فإن ذلك فرض من الله مؤكد في كتاب مبين، قال الله سبحانه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة:٢٢]، فحرم الله على كل مؤمن المودة لمن كان عدوا لله، من الآباء والأبناء والإخوة والعشيرة، وافترض عليهم مجانبتهم، وعداوتهم، كما افترض عليهم الصلاة سواء سواء.

ثم قال سبحانه مؤكدا لعداوة الظالمين، زاجرا عن موالاتهم: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود:١١٣]، فأعلمهم سبحانه أن جزاء من مال إلى الظالمين وأحبهم النار، والخزي والهوان. ثم قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٤٤]، فنهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء، والكافر فكل من ارتكب المعاصي لله، وخالف أمره، وضاد حكمه، هو كافر لنعم الله، قال الله سبحانه في ذلك: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧] [١]، فأخبر سبحانه أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر معاند، تجب البراءة منه والمعاداة له، والمباينة والهجران، حتى يعود إلى أمر الله وطاعته، أو تملكه أحكام الله على معصيته.

ألا تسمعون كيف يقول الله عز وجل في خليله إبراهيم، الأواه الحليم، حين يخبر عن فعله في الله عز وجل حين يقول: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٤]، ثم قال عز وجل في كتابه، يخبر أيضا عن إبراهيم عليه السلام، حيث يقول: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ

---

(١) في المخطوط: ﴿ ... هم الكافرون ﴾.

إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، فباين إبراهيم والذين معه آباءهم وأبناءهم وإخوالهم، الذين كانوا معهم بالغداة، حين عاندوا الله سبحانه وخالفوا أمره، وكذلك يجب على كل من يؤمن بالله أن يقتدي بفعلهم، ويتبع ما أمر الله به في ذلك من معاداتهم.

وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣]، وفي معاداة الظالمين ما يقول الله سبحانه للمؤمنين، ويطلعهم عليه من أخبار الفاسقين: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [النساء:٨٩]، وفي أقل ما تسمعون في كتاب الله سبحانه، ما يوجب البراءة من أعدائه على كل مسلم، فمن وادّ عدوا من أعداء الله، وأحبه، أو ناصره أو عاضده أو كانفه [1]، فقد أعان على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين، واستوجب من الله الخزي والهوان، ومعاجلة الأغلال، وبرئ من الله ورسوله وملائكته وجميع المسلمين، قال الله سبحانه: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود:١٨].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (الإيمان الحب في الله، والبغض في الله). وروي أيضا: (حق على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، فإن حسب كلامه من عمله أقلّ الكلام إلا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث: مؤنة لمعاشه، وتزودا لمعاده - يعني آخرته - وتلذذا في غير محرم). وقد يروى أنه نزل على موسى النبي صلى الله عليه

---

(١) كنفه: حاطه وصانه.

في الصحف: (عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟! ولمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ؟! ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ؟! ولمن أيقن بالحساب ثم هو لا يعمل). ويروى عن أبي ذر رحمه الله عليه: (قال: قلت: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال عليه السلام: من سَلم المسلمون من يده ولسانه). وقال أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد. ثم وصف ذلك حتى وصل إلى الجهاد، ثم قال: من ذلك على أربع شُعَب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن - يعني مواطن الحرب - وشنآن الفاسقين - يعني البغض لهم - ثم قال: من أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له).

وقال الشاعر:

إن عيشا يكون آخره المو ت لعيش معجل التنغيص [1]

فانتفعوا - رحمكم الله - بكتاب الله، واستضيئوا بنوره، وتعلقوا بحبله، فقد بيَّن الله سبحانه في كتابه لكم ما يرضيه من الأفعال، وما يسخطه [2] من الأعمال، فاتبعوا ما أمركم الله بفعله، واتركوا ما أمر بتركه، تصبحوا من الآمنين، وعند الله سبحانه من المقربين، فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

باب التوحيد

فإن قال قائل: ما معنى قول الله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، فالجواب في ذلك يخرج على أربعة معاني، معروفة معلومة، عند

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) في المخطوط: ما أسخطه. ولعل الصواب ما أثبت.

جميع العرب مفهومة.

فأولها: أن يكون معنى سميع هو: عليم. والحجة في ذلك قول الرحمن الرحيم: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ [الزخرف:٨٠]، والسر فهو: ما انطوت عليه الضمائر ولم يبدُ، فذلك أسر السرائر. والنجوى فهو: ما يتسآر به ويخفيه المتناجون، من الكلام والمحاورة فيما يخفون ويكتمون. والسر الذي في القلوب فليس يُسمع، لأنه مستحن لم يُسمع، وإنما يُسمع ما ترجمه اللسان، وباح به ضمير الإنسان. وإنما أراد ذو الجلال والإكرام، بما قال في ذلك من المقال، التوبيخ لهم والإخزاء، والتوقيف لهم على ما يأتون من الخطأ، إذ يتوهمون، فإن الله لا يخفي عليه خافية، سرا أو علانية، قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ [الزخرف:٨٠]، يقول: لا نعلم ونحفظ من أمرهم ما يكتمونه في غيابات ضمائرهم ؟!

والمعنى الثاني في اسم الواحد الباري: أن يكون السميع هو: المجيب للداعين، ممن دعا من عباده المؤمنين. والحجة في ذلك فما حكى الواحد الكريم، عن نبيئه زكريا وخليله إبراهيم، الأواه الحليم: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، يعني عليه السلام: إن ربي مجيب لمن يشاء من الأنام، وفي ذلك ما تقول العرب لمن سأل من الله أو طلب: سمع الله دعاءك، أي: أجاب الله طلبتك ونداءك.

والوجه الثالث: فيقول القائل الواحد من الراكعين المصلين: سمع الله لمن حمده. معناه أي: قَبِلَ الله ممن حمده، وأثاب على شكره من شكره، فهذه الثلاثة الوجوه التي يجوز أن يوصف بها الرحمن، وقول فصحاء العرب ممن [1] عرف للسان.

والوجه الرابع: فلن يجوز على الواحد الجليل، في شيء من الأقاويل، وهو موجود في المخلوقين، فتعالى عنه رب العالمين، وهو الإصغاء بالآذان والإنصات، لجولان دواخل الأصوات، ومستقر لمفهوم المقالات، وتعالى عن ذلك المهيمن الكريم، المقدس الواحد الفرد العظيم، وكيف يكون سبحانه كذلك ؟! أو يجوز المقال فيه

---

(١) في المخطوط: من. ولعل الصواب ما أثبت.

بذلـك ؟! وقد تسمع قول ذي الجلال والإكرام: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]. والكفؤا فهو: المثل والنظير، في الصغير كان أو في الكبير.

ولو كان ذا جوارح لكان ذا أعضاء، ولو كان ذا أعضاء لكان ذا جزء وفيه أجزاء، ولو كان ذا أجزاء، لكان بلا شك جسما، ولو كان أجزاء لجرت عليه الحوادث والأزمان، ولأشبه ما خلق من الإنسان، ولو كان كذلك لم يكن خالقا ولكان مخلوقا، لأن كل جسم لا بد له من جاعل مجسِّم، إذ لابد لكل مجعول من جاعل، كما لابد لكل مفعول من فاعل، ولكل مصنوع من صانع، ولكل مقطوع من قاطع!

فسبحان من ليس كذلك !! ولا على شيء من ذلك !! لا تحيط به الظنون، ولا يصفه الواصفون، إلا بما وصف به نفسه، من قوله سبحانه في آخر سورة الحشر[1]: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ...﴾ [الحشر:٢٢-٢٤] إلى آخر السورة.

باب الرد على من قال إن الله يُبصر بعين كأعين العباد

يقال له: إن معنى ﴿ بَصِيرٌ ﴾ يخرج على معنيين، عند أهل العلم نيرين، فأما أحدهما: فهو العالم بالأشياء طرا، من ذلك قول العرب: فلان بصير بالفقه والنحو والحساب، بصير بالشعر والكلام في كل الأسباب، تريد: أنه عالم، وفي كل أمر قائم، فعلى ذلك يخرج قول الرحمن، حين يقول: ﴿ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٥، ٢٠، غافر:٤٤]، يريد: عالم محيط بكل أمرهم، مطلع على خفي سرهم.

والمعنى الآخر فهو: النظر بالعين والنظر، والله من ذلك فبريء، وعنه فمتعالي عَليٌّ.

---

(١) في المخطوط: الحشر من قوله سبحانه. ولعلها زيادة سهو.

إذ ذلـــك، ومن كان كذلك، مشابه للمخلوقين، وقد نفى عن نفسه رب العالمين، حـين يقــول سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشــورى:١١]، ولو كان كما يقول من كفر بالله وجحد باياته ! لكان مشبها لكــل ما يراه ويحيط به من البصر بالأعين من المربوبين !! ولو كان كما يقولون لبطل قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ !! ولو بطل من الكتاب شيء يسير، لبطل منه الجليل الكبير، ولو بطل بعضه، لأشبه الباطل كله، بل هو يؤكد بعضه بعضنا، فلن يبطل منه حرف أبدا.

وكيف يبطل أو يتناقض ما أحكمه ذو الجلال والسلطان ؟! وحفظه من كل سوء الــرحمن ؟! ألا تســمع كيف يقول سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ ﴾ [فصــلت:٤١-٤٢]، ويقــول جل جلاله، عن أن يحوبه قوله أو يناله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝ ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، فكيف يتناقض أو يــبطل ما حفظه الواحد الكريم ؟! وحاطه من كل باطل ودنس ذميم ؟! ومنعه وحجره من الشيطان الرجيم !! كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا، وحاروا عـــن قصد السبيل والحق حورا شديدا. فهذا الحق والصواب، وهو قول الهادي إلى الحـــق صلوات الله عليه وقولنا، وما إليه يؤول قولنا وأمرنا، وبه يأخذ من أراد الله مـــن جمــيع أمـــة محمد جدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو الواضح المستبين، يهدي الله به من أراد الدين، من جميع المسلمين، فمن قال بغير هذه المقالة فهو عند الله من الهالكين، ولديه من المعذبين.

تأويل قول الله جل جلاله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ [الروم:٤٣].

يقــول عز وجل: أقم نفسك لربك وخالقك، أقم نفسك بالدين بكليتك لمصورك وجاعلك. وقوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [البقرة:١١٢] نفسه ودينه، واستسلم له في جمــيع أموره، وأخلص له سبحانه. ولم يرد سبحانه بما ذكر من ذلك: الوجه، دون سائر الأعضاء، والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟

ءَاخِرَهُۥ ﴾ [آل عمـــران:٧٢]، لم يرد سبحانه بما ذكر عنهم أن للنهار وجها كما يُعقـــل من الوجوه ذوات التصوير، التي أمر بغسلها عند الوضوء، فتعالى عن ذلك العلي الأعلى الخبير. وعلى ذلك يخرج قوله: ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥]، أراد ســبحانه الموجود في كل جهة: الله تعالى، لا أن له وجها، فسبحان الله الخبير عما يصف المبطلون !! وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

الفصل

الفصل

إن أول ما يجب على المتعبدين الكاملة عقولهم، السالمين، وهو الذي لا عذر لأحد في تركه، ولا رخصة في جهله، ولا إيمان إلا به.

أن يعلموا أنهم مخلوقون، وأن لهم خالقاً أحدثهم، وباريا صورهم، واحداً لا مثل له، ولا نظير، ولا شبيه له من خلقه ولا ظهير، لا يوصف بتجسيم، ولا يدرك بتوهم، ولا يتضمنه مكان، ولا تلحقه عيان، ولا ينال بالحوآس في دنيا ولا آخرة، دلت عليه آثار صنعته، وعجائب حكمته، ومعجزات بدائعه، أنه بخلاف ما أوجد من حدودها، وبرى من أجسامها، إذ كانت الحدود والأجسام هي الدلالة على الحدث، الممتنعة عن القدم، فكلما كان فيها، فلا يوجد في صانعها، ولا ينسب إلى محدثها، وأنه العالم الذي لا يجهل، والقادر الذي لا يعجز، والقوي الذي لا يغلب، والعزيز الذي لا يذل، الأول لا بحد ولا غاية تنفد، ولا أمد يعد، ولا مثل يوجد.

وأن ينفوا عنه جميع صفات البرايا ومشابهاتها، حتى لا يتوهموا أنه كشيء مما خلق، ولا في الحركة ولا السكون، ولا الأرواح ولا التجسيم، ولا الإنتقال ولا المغيب، فإذا هم فعلوا ذلك، فقد أصحوا توحيده، وأثبتوا معرفته، وحققوا ربوبيته، ووصفوه بما وصف به نفسه، ووجب عليهم أن يعلموا أنه عدل في قضائه وحكمه، لا يظلم عباده، ولا يجور على بريته، ولا يأخذ أحداً إلا بفعله، وما كسبت يده، ولا يأمر بأمر ويكرهه، ولا يترك شيئا ويعذب عليه من لم يفعله، ولا يكلف فوق الطاقة، ولا يسلب العبد الإستطاعة، ولا يحمله على طاعة قسراً، ولا يجبره على معصية جبراً.

بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً، فإذا هم أقروا بعدله في خلقه، ونفوا عنه جميع أفعال عباده أن يكون جبرهم على شيء منها، فقد نطقوا بالصدق، وفعلوا بالحق، ووجب عليهم أن يعلموا أنه صادق الوعد والوعيد، منفذهما على ما أخبر في كتابه المجيد، لا يظلم المطيع، ولا يجور عليه، ولا يغفر للعاصي، ولا يحسن إليه، وأن يؤمنوا بالنبيين، والملائكة المقربين، وحجج الله على خلقه أجمعين، وكتبه إلى الأولين والآخرين، والساعة، والجنة، والنار، والبعث، والحساب، والجزاء، والخلود،

وأن الله سبحانه ختم أنبيآءه ووحيه بمحمد عبده ورسوله، وخاتم النبيين، لا نبي بعده، وأن علي بن أبي طالب، أخو الرسول، وصنوه، ووصيه، وأولى الخلق بالخلق بعده، وأن الحسن والحسين، إماما عدل، مفترضة طاعتهما. ومن حذا حذوهما من أولادهما الطاهرين، فهو الإمام المفترضة طاعته.

فهذا أول العبادة وسبيل المعرفة، ورأس العمل الذي لا يقبل إلا ممن عرفه، لأن من لم يعرف الله حق معرفته فهو معرب على جهالته، وأدنى المعرفة والإقرار، تعصم من الجهل والإنكار.

مجموع الإمام المرتضى عليه السلام

جواب
على بعض قرابته

[جواب على بعض قرابته]

هـــذا كتاب من الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام. جواب عن كلام بلغه عن بعض قرابته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما.

فهمــت أكــرمك الله ما ذكرت، وفي كتابك ما لخصت، مما اتصل بك من كتب بعــض أهـــل بيتي، أطال الله بقاءهم، وأصلحهم وهداهم، وما مدحوا به أنفسهم وتكلموا به، مما ليس للحق بدافع، ولا لحججه بقاطع، ولو أخروا ذلك في إبان [١] مشـــايخهم رضي الله عنهم، ونضر وجوههم، لعابوا ذلك عليهم، وما رضوا به من فعـــلهم، ولقـــد كانوا يسمعون كلامهم فينا، ويشاهدون إنصافهم وتقديمهم لنا، وقولهـــم بـــالحق فينا، لا يستحلون غيره، ولا يستجيزون سواه، فالله نستعين على أمورنـــا، وما نقاسيه من دهرنا، فلست مستجيزا فيهم ما استجازوا فينا، منع من ذلـــك خـــوف الـــرحمن، وتلاوة القرآن، ومجانبة الشيطان، وصلة الأرحام، ورتق الإســـلام، وما أنا ممن يقرظ [٢] نفسه كما يقرظون، بل الله يزكي من يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، ولست ممن يبني أمره على هوى، ولا ينقاد إلى زهرة الدنيا، ولا يبيع آخرته بالأولى، ولا يجري في لعب ولا منى، وإنما يطلب الطاعة لله سبحانه، في ما سَرَّ وساء، من جميع الأشياء، ومَن عامل ربه قصرت خطاه، وترك هواه، وانقاد سلسا لحكم مولاه.

((فأمـــا ما يلظ به بعض أهل بيتنا، من الكلام الذي يظهرونه فينا، مما غيره أحسنُ بهم، وأقرب إلى ربهم، فلن يجدوا فينا هم ولا غيرهم - ولله الحمد - أبدا عيبا ولا مقالا، فلقد ركبوا في أمرنا الشاذ، وغاروا فينا الأعماق)).

---

(١) في المخطوط: أبان. ولعلها كما أثبت. والإبان: العصر.

(٢) أي: يمدح.

الشرح:

الشـــاذ: الغلـــيظ من الأمور. وغاروا فينا الأعماق: فالغور: الغوص. والأعماق: البعد.

((لغير سالف مكروه سبق، ولا منفظع منا اغتبق، إلا البر المتتالي، والحفظ لهم في كل أحوالي، وما اعتدوا مني قطيعة اخترعتها، ولا يحفظ لفظ بكلمة أسديتها)).

الشرح:

معنى اخترعتها أي: ابتدعتها. ومعنى استديتها: أي قدمتها.

((وما جميع ما يكتبون به، إلا كالآل الذي لا حقيقة له عند فحصه، وما هو عن الحجج، إلا كالدقق لدى الموج، أو كالعثير إذا تفرق واضمحل)).

الآل فهو: السراب الذي إذا أبصره المبصر ظنه ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئا.

ومعنى الدقق: فهو دقيق التراب. والعثير: فهو العجاج الذي تثيره الرياح. وكذلك يقول: رؤبة العجاج:

في قِطَـــعِ الآل وهبوات الدقق .... [1]

((وإن هـــذا الشـــذى الـــذي يبلغـــنا منهم قد سمق، فنحن نعانيه جرعا، بالقيل والجاشرية، وفينا المحتمل)).

الشرح:

معنى سمق: أي طال. وفي ذلك يقول الشاعر:

مســـتأنف الأعشـــاب من روض سمق .... [2]

ومعنى الشذى فهو: الأذى.

قال الشاعر:

---

(١) ديوان رؤبة /١٠٤. وعجز البيت: خارجة أعناقها من معتنق.

(٢) البيت لرؤبة ديوانه / ١٠٤، وعجز البيت: ثني إذا ما اصفر حجران الذرق.

شـذا بـةً عنها شذى الربع السحق ....[1]

والجاشرية: شرب السَّحَر.

قال الشاعر:

وندمـــان يزيد الكأس طيبا   ســقيت الجاشرية أو سقاني

القيل شرب نصف النهار في القائلة.

((قـــد صـــار لنا هيا وحيا، واغلنكس علينا، وإني لهم لنعم الكالي والوهواه، وإن صدري في الاحتمال والصبر لمثل القرقوس الأمق)).

الشرح:

الهيا والجيا: الطعام.

قال الشاعر:

وما كان على الهيا والجيا امتدا حيكا   ولكـــن لقضـــى الله إذ بيَّـــنه فيكا

معنى: اغلنكس: تراكم. ومعنى الوهواه: المشفق، وفي ذلك يقول رؤبة.

....   مقـــتدر الضيعة وَهْواهُ الشفق[2]

والقرقوس فهو: القاع الأملس الممتد، وفي ذلك ما يقول:

هـــل يستوي عندك من في عدق   وراكب يهوي بقرقوس أمق [3]

((ولا يأضـــم على ذوي الأرحام إلا معتد أو مسلوس، وحاش لله أن يكون ذلك من شيمي، ولا ينخرق عن ذوي الأناصر مَرِسِي)).

الشرح:

---

(١) البيت لرؤبة ديوانه / ١٠٤، وصدره: ألف شتى ليس بالداعي الحمق.

(٢) البيت لرؤبة. ديوانه /١٠٥. وصدره: فياضة بين العفيف واللبق.

(٣) لم أقف على البيت في ديوان رؤبة.

المسلوس فهو: المجنون. قال رؤبة يصف حمار الوحش:

أحقـــب كالمحلج من طول القلق   كأنه إن راح مسلوس الشمق (١)

يعني: النظر في التلفت، والأضم فهو: الحقود المكايد، ومعنى لا يأضم: لا يحقد على أقاربه. وفي ذلك يقول الشاعر:

وجاهل بيدي علينا أضمه

ومعنى ينخرق فهو: ينقطع، وفي ذلك يقول جدي القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

نـــائي المحل بعيد الأنس أسلمه   بـــر الشفيق فحبل الود منخرق (٢)

وأما الأناصر فهي: الأرحام، قال أبو طالب بن عبد المطلب لقريش:

وتحتلـــبوا حـــربا عوانا وتقطعوا   أناصرنا بعد المودة والقرب (٣)

والمَرِسُ: الحبال المبرمة. يقول: إني لا أقطع ما أبرم الله سبحانه من مرس الأرحام. والمرس أيضا: الرحل الشديد العقدة، الذي لا ينحل ما هو عليه من قوافيه.

وأنا أقول كما قال حاتم:

وإن الـــذي بـــيني وبـــين بني أبي   وبـــين بـــني عمي لمختلف جدا

إذا طلعـــوا نجـــدا بمـــا لا يسرني   طلعـــت لهـــم فيما يسرهم نجدا (٤)

وإني - أكـــرمك الله - أقمنُ الناس وأبنهم بالجميل لمن عرف الله، وحفظ الآباء في الأبـــناء، وإن غاض عنه أذِيُّهم، وفاض إليه تشذرهم، ولتجدني عند فظيع ألفاظهم،

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج. ديوانه /١٠٥.

(٢) البيت من قصيدة للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في مقاتل الطالبين/ ٥٥٣ – ٥٥٥، قالها في مرثاة أخيه محمد. وانظر مقدمة مجموع القاسم. بتحقيقنا.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

(٤) هذان البيتان مطلعهما من قصيدة للمقنع الكندي، ولم يذكر أحد فيما أعلم أن هذه القصيدة لحاتم.

غير مكافي لهم على شيء من أقوالهم، ولا تارك أبدا لما يجب من برهم، بل مستحصد المسد، غير مفصوم عن الأيد.

الشرح:

يقول: أقمن، أي: أحرى وأولى، وأبن بالجميل، يعني: ألزم وأشد مواظبة عليه. وفي ذلك ما يقول الشاعر:

أبن الدار حتى كاد ألا يريم إذا تنادوا بالرحيل (١)

يريد: لزم، وأما الأذيُّ فهو: ماء البحار. قال الشاعر يصف السفيه:

رفع من حلاله الداري فنزل واستزله الأذي (٢)

وإنما أراد بقوله: أذيهم، أي: منفعتهم أنها غاضت عنه، ومعنى غاضت: ذهبت. أقامها مقام الماء، قال الله عز وجل: ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود:٤٤]، ومعنى وفاض إليه تشذرهم، يقول: أذاهم وفحشهم.

ومعنى قوله: مستحصد المسد: يريد الحبل الذي بيني وبينهم، قوي لست أنقضه.

ومعنى غير مفصوم: يقول غير مقطوع العرى، يعني: الحبل الذي بينه وبينهم بل مستوثق، والمفصوم فهو: المنفك، قال الله عز وجل: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٥٦].

والأيد فهو: القوة، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ ﴾ [الذاريات:٤٧].

((صبور على جعجعتهم، مُستَحْلٍ فُوَقَ شريهم، وأكون لهم ابن عم صدق يكنفهم بزفه، ويجرعهم الأرى بكفه، وإنْ غطّطوا عني صديع أهني صنت أكبادهم،

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

بقشيب بحلتي، وإن داذتني محاصر أشاجعهم، عن أرجاء حياضهم، جاجأت بهم إلى عذبة سلسل فرات، غير لماد ولا سلمة، ينبع صفوها، ويغيض كدرها)).

الشرح:

يقول: صبور على جعجعتهم، عنى: على عنفهم وزعزعتهم، قال الشاعر:

كـــأنّ جلود النمر خيطت عليهم   إذا جعجعـــوا بين الإضافة والحبس (١)

ومعنى مستحل: مستطيب مرارة فعلهم، شبهه بالشُّرى، وهو الحنظل، والفوق فهو: الـــتجريع ساعة بعد ساعة، فذكر أنه صبور على هذه المرارة، لا يجزع منها تكرما منه، كما لا يجزع الإنسان من الحلو.

ومعـــنى قوله: يكنفهم بزفه، يقول: يحوطهم بريشه. ومعنى يجرعهم الأرى بكفه، يقول: يسقيهم العسل بيده، وهو الأرى قال ياسر يرثي ابن أخيه:

وله طعمان أرى وشرى   وكلا الطعمين قد ذيق كَلّ (٢)

وأما قوله: غططوا فإن غططوا مزقوا، وهذا فغير منكر في اللغة، وفي حديث سواد بن قارب، إن قوما غططوا كتاب رسول الله عليه السلام.

وأما الصديع فهو: القميص. وفي ذلك يقول بعض شعراء العرب:

وبـــان الصـــبح قد خلعت دجاه   لمبصـــره كمـــا خلع الصديع (٣)

يقـــول: يخلـــع عـــنه الليل كما يخلع القميص، وإنما عنى قميص الأهمة، وهو القدر والنجدة. والأكتاد فهي: المناكب وما قاربها، قال الشاعر:

---

(١) البيت من قصيدة لأوس بن حجر. انظر ديوانه. بلفظ:

كـــأن جلـــود الـــنمر جيبـــت علـــيهم   إذا جعجعـــوا بـــين الإناخـــة والحـــبس

(٢) لم أقف على هذا البيت. والبيت هكذا: وكلا الطعمان. وما أثبت اجتهاد.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

إنـــنا معشـــر خلايقنا الصبر إذا الســيف جــار في الأكـــتاد [(١)]

ومعنى قشيب بحدتي: فالقشيب هو: الجديد، والنحدة فهو: المعروف والمجد، يقول: بنحدته يحفظهم ويحوطهم. قال حسان بن ثابت:

عرفــت ديار زينب بالكثيب كخــط الوحي في الورق القشيب [(٢)]

يريد: الورق الجديد.

ومعـــنى إن ذادته محاصر أشجاعهم، أي: دفعته، وأشاجعهم فهي أصابعهم. ومعنى عـــن أرجـــاء حياضهم، أي: عن حول حياضهم وجوانبها. قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾ [الحاقة:١٧]، يعني: جوانبها. ومعنى حاجأت بهم إلى عذبة سلســـل فرات: دعوتهم إلى العذب الغزير من فضلي وإحساني، والعذبة فهي: عين الماء الغزيرة.

وقوله: غير ثماد، يقول: غير قليلة الماء ولا كدره، والسلمة فهي: قليلة الماء أيضا.

((وأبـــتدر دونهـــم الحتوف، وألقى دون عقوتهم الصفوف، صلة للرحم، وطاعة للأعز الأعظم، كصارم الهند، أماط طبعه الهالكي، وأرّب حرباه الجنثي، ولا أكون أبـــدا لهـــم كالأهـــة المحرضة من يد المنْبل، التي يطبي نفثها، ولا يكلم الرواجب انسيابها، بل - ولله الحمد - الظاهر لهم مني والباطن سواء، ليس بينهما اعتلاج في شيء من الأشياء)).

الشرح:

معنى يبتدر دونهم الحتوف هو: يسبقهم إليها، ويقيهم بنفسه دونها، والحتوف فهو: الموت، وكل شيء يخاف ويتقى، ومعنى عقوتهم فهو: دارهم وعزهم، يقول: يلقى دونهـــا الصـــفوف، ويكون كالصارم الهندي، والصارم فهو: السيف، ومعنى أماط

---

(١) البيت لحسان بن ثابت. انظر ديوانه.

(٢) البيت لحسان بن ثابت. انظر ديوانه.

فهـــو: أزاح وجلا، وطبعه ما يكون عليه من صداه. والهالكي فهو: الصيقل. قال الكميت بن زيد الأسدي يصف الوحش:

حـــتوحا كما ابترك الهالكي على النصـــــل إذ طـــــبع المنصــــل [١]

وأرّب حـــرباه، معـــنى أرَّب حرباه، يقول: أوثق مسماره، وأحكم ضربه، والحربا فهو: المسمار، والجنثي فهو: الزراد المركب للمسمار.

قال في ذلك لبيد بن ربيعة العامري يصف درعا:

أحكـــم الجنـــثي من عوراتها كـــل حِربا إذا أُكرِهَ صلّ [٢]

يقول: كل مسمار إذا ضرب صلّ.

ومعـــنى قولـــه: ولا أكون لهم كالأهة المحرضة من يد الهنبل، والأهة فهي: الحية، المحرضة فهي: المفلتة التي تغدو من يد الهنبل، يقول: من يد الحاوي إذا انفلتت منه. وقوله: يطوي نفثها يريد: لا يمهل سمها ويقتل سريعا.

قال الطرماح بن حكيم الطائي:

ألا ليـــت إنـــا سلكنا الديار إذا قـــتل الأهـــه الهنـــبل [٣]

يـــريد بالأهـــة: الحية، وبالهنبل: الحاوي، ومعنى قوله: لا يتكلم الرواجب انسيابها، يـــريد بذلـــك: إني لا أكون لهم على حالين مختلفين، كحال الحية التي إذا مَضَت وانســـابت لم تضـــر. والرواجب فهي: مفاصل الأصابع. فلم تكلمها، يقول: لم تجـــرحها مـــن لين مسها، لأن الحية إذا مَضَت على الشيء فليس تجرحه من لينها،

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة بلفظ:

أحكـــم الجنـــثي مـــن عوراتهـــا كـــل حـــرباء إذا أُكـــرهَ صـــلّ

انظر ديوانه.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

وإذا نهشت قتلت، فلها حالتان فنهشها بقتل، ومسها ليِّن لا بضر، فيقول: لا أكون لهـم مظهرا الجميل، ومضمرا للقبيح، ولا أستحل ذلك، بل أكون لهم على حال واحد من البر والحفظ.

((صـبور على محن كلامهم، كالطود الذي ينشق عنه الأتي، فلا يرقى إليه البذي، عروف عن مبرم الهُجر، وسحيل الغدر، قد شغله ما استجن في جوانحه، من معرفة فرائض ربه، ورتق ما ثغر من شريعة جده، عن دبيب القوارص، ومقارفة القانص، لا يـرام - ولله المنة - بر الأنام، ولا [1]ينقاد للخطل أبدا في خطام، معرفة بفضل الأرحام، وحفظ الإسلام، ورعاية لما أمر به ذو العزة والإكرام، وربًّا لحقٍ قد سلف قد قاظ، وحفظا عن الواعر المغتاظ)).

الشرح:

معـنى الطود فهو: الجبل، والأتي فهو: السيل إذا غشي ركن الجبل انشق عنه و لم يضره، يقول: يزيح عني كلام من يتكلم ولا يضرني، كما ينشق السيل عن الجبل.

ومعـنى لا يرقى إليه البذي، يقول: لا يناله البذي ولا يطلع إليه، والبذي فهو: ذو الخصومة، والبذاء من الرحال.

قال الكمت في الأتي:

ينشـق عـن حـده الأتي   شـفت مالي المائم أنفست [2]

يعـني بالأتي: السيل، وهو الذي يجيء إلى البلد من غيرها، فلا يُعلم به حتى يغشى، ومعـنى عن مبرم الهُجر، وسحيل الغدر، يقول: تركت وأعرضت عن مبرم الهجر، وسـحيل الغدر. والسحيل فهو: الفرد من الخيوط، والمبرم فهما: الاثنان المفتولان معا. يقول: لا أريد منه ولا أشاء مبرما ولا فردا.

---

(١) في المخطوط: وإلا.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

ومعـــنى مقارفـــة القـــانص فهو: مكافأته، والقانص فهو: الذي يقتنص العثرات، ويطلـــب مـــا يؤذي به في الحالات، كما تقتنص الضبا. ومعنى لا يرام بر الأثام، يقول: لا آلفها ولا أستجيزها. ومعنى الهُجر فهو: السب والشتم.

قال بشر بن حازم الأسدي:

إذا مـــا شـــيت جاءك هاجراني و لم يعمل بمن إليك ساق [1]

((وإني بنعمة الله علي، وإحسانه لدي، لجميع الأقربين، ولإخواني المسلمين، ولمن عمـــدني من وسائط المقرين، بمحمد خاتم النبيين، لكالخليع المحدود على أهزعه، رضـــفه ظُهارا، وراشه قوادما، أو كالعير المضطلع بعبوه، غير متضايل إذا حسرت الحشو عن مجازاة القراسيه، أو كذي الرسل الباذل له في الحصى من الأوازم، إذا لم تصرَّ على الهجمة التودية، وعاد مخ المقاحيد ريرا)).

الشرح:

فمعـــنى الوســـائط: فهو القليل من كل قوم. وأما الخليع فهو: الصانع للنبل الذي يبريها.

قال الشاعر وهو جرير:

.... كما ابترك الخليع على القداح [2]

والأهزع فهو: السهم.

قال الكميت:

فمـــا أهوى بأهزع من خفير لـــنا إلا الـــتكمه يبتغيـــنا [3]

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

يقـــول: أنــا لهم كالباري المُقَوِّم المصلح. ومعنى رضفه ظُهارا، أي: كساه عقابا، وراشـــه مقـــادم نسر، ومعنى كالعير المضطلع بعبوه، يقول: كالجمل القوي على الأحمال، والعبو فهو: الحمل.

يقول: أحمل أثقالهم، وأصبر على كلامهم، كصبر الجمل على الحمل الثقيل. ومعنى غير متضايل، أي: غير واهن، ولا حقير ولا ضعيف.

وأمـــا قوـــله: إذا حسرت الحشو. فالحشو: صغار الإبل التي لم تبلغ أثمان الكبار. وانحسارها: إعياؤها.

يقول: إنها تصغر عن مبالغ كبار القراسيه، وتضعف من أحمالها.

والقراسيه: فهو البازل الشديد الفحل من الإبل.

وأمـــا قوله: كذي الرسل الباذل له في الحصا من الأوازم. يقول إنه من البذل لهم، والإنصاف في كل حال، من غضب ورضى، كذي الرسل. والرسل فهو: اللبن.

يقـــول: يبذل الرسل في عام الجدب، وهي شبه الحصا التي تحصي الأموال، وتفني بـــالجوع الـــناس. والأوازم فهي: السنون المجدبة، ومن ذلك سميت ساحقة الرأس الحاصة، أي: تحص الشعر حتى لا يبقى غير الجلد.

وأمـــا قوـــله: إذا لم تصرَّ على المحمة التوديه فهو: العود الذي يُصَرُّ عليه أخلاف الناقة.

يقول: ابذل معروفي لهم عند الجدب، وذهاب المال، وشدة الزمان، ولا أضن[1] به عنهم.

وأما قوله: عاد مخ المقاحيد، فإن المقاحيد: سمان الإبل. فإذا أجدبت عاد مخها ريرا أي: مثل الدم. وكذلك يكون المخ إذا هزلت الإبل.

قال الشاعر في التوديه، وهو رجا بن هارون الربعي:

---

(١) أضن، أي: أبخل.

ومـــنا الذي حلب اللقاح وأوثقت بـــيديه توديـــةٌ لها وضرار [١]

وقال آخر يصف السنة، ويذكر أنها حصا:

ونحن منتجع المعروف إن سنة حصا لم يــبق لـــلمعروف مصطنعا [٢]

((ومـــن أصبح وأمسى يقرو غمره علينا، لم يشسع عنه حلمنا، وإن فَوَّق مشاقص حســـايفه على فليق حنَتِه، لم يجدني له غرضا فأعضل وَأَشْوا، وأحرز الخصل غيره، ولن يؤول الرمي إلا إلَى النزعة، وإني لَنِعْمَ الأسي لأنداب المضض، ولو كانت بيني وبـــين المناوي شركة لَخلْتُ ألا تنقطع، إن جرَّ أرخيت، وإن أرخى جررت، وما أنصـــفنا القـــادح، ولا أَنصـــف نفسه إذ خدعها، فكان في فعله كمن دفق ماءه للســـراب، فمـــات حائمـــا، وأنا أعيذ بالله من آمن به واتقاه، من حيرة حناد من الظـــلم، وإهمال الدليل المفهم، لترك الواجب، وارتكاب المعاطب، ولست أَتَّيبُ من اجهار مالي وعلي، ولو شئت أنطق لنطقت، أو أقول لصدقت، ولكن أَكِلُ الأمور إلى الـــرحمن، لمـــا أؤمل في ذلك من الفضل والإحسان، من ذي العزة والسلطان، ولعـــل وعســـى، إن مـــع العسر يسرا، وللأشياء مناديح لا تخفى، على الناقد من صيارفة العلم، وأهل الحجى والمعرفة والحلم)).

الشرح:

يقول: يقرو غمره. يقول: يجمع وغر الصدور، والغمر فهو: وغر الصدور وحقده أيضا. قال عمارة بن عقيل التميمي في قوم كان بينه وبينهم حنات:

نديـــنكم لِنُميتَ قرح صدوركم بحلومـــنا فتـــثيرها الأغمـــار [٣]

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

وأمـا قوله: لم يشسع عنه حلمنا، فإنه يقول: لم يبعد منه حلمنا، وكريم صفحنا، قال الشاعر:

لا يـبعدن مـنام قـوم ضمنت   قلـنا اليمامة عنها البحر قد شسعا (١)

يقول: بَعُدَ.

وأمـا قوـله: فَوَّق مشاقص حسايفه على فليق حنته، يقول: ركب سهام عداوته، شبهه بالرجل الذي يرمي، والحسائف فهي: الضغاين.

وأما قوله: على فليق حنته، فالفليق فهي: القوس.

قال الكميت بن يزيد يصف قوسا:

وفلـيقا مل الشمال من الشوحط   تعطـي وتمـنع الـتوتيرا (٢)

وأمـا قوله: لم يجدني له غرضا، يقول: لم يجدني كما قال فيَّ، وأسند إلي. فأعضل، يقول: فأعوج سهمه، ولم يسد ولم يثبت.

وأما قوله: فأشوا، يقول: لم يضرني رميه حين رماني.

وأما قوله: وأحرز الخصل غيره، فإنه يقول: حاز وحوى وفاز بالفضل غير الرامي.

وأمـا قوـله: ولن يؤول الرمي إلا إلى النزعة، فإنه يقول: ليس يرجع الحق إلا إلى معدنـه وموضـعه، الذي جعله الله له وفيه عز وجل، ولا يرزأه قول القائلين، ولا عيب العائبين.

وأمـا قوله: وإني لنعم الأسي لأنداب المضض، فإنه يقول: أنا نعم الطبيب للجراح الفاسدة، والطبيب في لغة العرب: الأسي.

قال الكميت يمدح بني هاشم:

والأسـاة الشـفاة للـداء ذي   الريـبة والمدركين للأوغام (١)

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

والأنداب فهي: الجراح. قال الشاعر:

وعــثمان بــن عــبد الله فيــنا ... بــه الأنــداب دامية الكِلام (٢)

وأما قوله: المضض، فإن المضض: شدة الحرقة .

وأمــا قوله: لو كانت بيني وبين المناوي شركة لخلت ألا تنقطع، يقول: لو كانت بــيني وبين المناوي لي والمحاسد شعرة ما انقطعت، من المداراة والإنصاف، والأخذ بالفضل والجميل، والتغمد والحلم عن كل قبيح.

ومعنى القادح فهو: الذي يؤذي ويطعن بالباطل. ومعنى الحائم فهو: العطشان.

قال الشاعر:

وإني وإيــاكن كالحــائم الــذي ... به من لظا نفح السموم ظليل (٣)

وأما قوله: إهمال الدليل المفهم، فإنه يقول: أنا أعيذ بالله، وأوليائه المتقين لله، من أن يدخــل قلوبهم شك أو لُبسة، وأن يتركوا الدليل الداعي إلى الله جل ثناؤه فيهلكوا عند الله بلا حجة، والإهمال: الترك للشيء.

قال الكميت يمدح بني هاشم:

لا يصــدرون الأمــور مــبهلة ... ولا يُضــيعون دَرَّ مــا حلبوا (٤)

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

(٤) من قصيدة مطلعها:

أني ومــن أيــن آبــك الطــرب ... مــن حيــث لا صــبوة ولا ريَــبُ

وأما قوله: أَتّيبُ، فإنه يقول: لا أستحيا أن أقول الحق لي وعلي، فإن الحق أنجا عند الله عــز وجل، وأحسن عند الناس، وصاحب الحق مُذِلّ بالقوة والقهر لمن ناواه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

قال الكميت:

فصـــرت عم الفتاة تَتّيبُ الكاعب ... مـــن رؤيـــتي وأَتّيـــبُ [1]

يقول: تستحيي مني وأستحيي منها، وهو الإتياب.

والإجهار: الاظهار. وأما المناديح فهي: المذاهب الفسيحة المتسعة.

((وقــد أثم بخالقــه، وتعرض لمعصيته، مَن نفش لسانه في لحوم المسلمين الغافلين، كما نفشت السوام في حمائل الوسمي ذي الأكمام، وإن من يحدوني على الأعراض، ويشـــلني على القطيعة كما تشل الربال بالسُّمْلق، وديقة القيظ، يحجبني ألا أبجحه ولا أفخمــه، ولكن ناصر لي على ذلك، ويمنعني منه الراقبة للرحمن، والطلب للفوز بالجنان، مع العروق المتغلغلة في ثرى النجدة، وإن لم تزل النّآد الباهظة، تطرأ علي محـــنها ظلما وعدوانا، بعد الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، عققا وحيالا من كل أوب، فَكَلْــمٌ أدمُلُــه، ووهيٌ أرتُقُه، وَأَوَدٌ أُثقّفه، وأمرٌ أحاوله، لا تَصَرُّم له، ففيم تكتــب إلي في ذلك ؟! وأنت به عارف ! وعليه بالصحة واقف ! قد فَحَصَتْهُ لك الدهــور، وأوقفتك على تصاريفه الأمور، وأنا بالأمر عبا على الساسة الحكماء من الـــتكات [2]، والتعوذ في المغذّ من ذي القرحة والأكس والأروق، فكل ذلك عند أهــل المعرفة أشهر من الفرس الأبلق. وأنا أقول كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٨٦])).

الشرح:

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) قال في هامش المخطوط في غيره: عبابد السامة أحكم من النكات.

أما قوله: نفش لسانه في لحوم الغافلين. فإنه يعني: أنه بسط لسانه في أعراض الناس وهم في غفلة عنه، وهو مشتق من قول الله عز وجل: ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ [الأنبياء:٧٨]، ومنه يقول القائل: فلان راتع في لحوم الناس. والراتع: الآكل، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لرجلين من أصحابه: « لو أصبتما من هذه الجيفة »، وهذا غير مستنكر في اللغة، ولو لا خوف التطويل وملالة القاري، لأثبتنا من الشواهد على هذا ما يطول به الشرح.

وأما السوام فهي: جماعة الأنعام السائمة.

وأما قوله: خمائل الوسمي، فإن الخمائل رياض الشجر والنبات، الذي ترعاه العرب سوائمها، يشبه بخمائل القطائف، وإنما اشتق منها، قال الشاعر:

ترعى حدائق من خمائل أزهرت ونأت مطالبها عن الرواد [1]

والرواد فهم: الأدلاء يرسلهم الحي ليرتادوا لهم المراعي، من ذلك ما تقول العرب: (الرائد لا يكذب أهله)، والوسمي يكون مطرا في أول الشتاء، والأكمام فهي: أكمام الشجر التي ذكر الله جل ثناؤه في كتابه إذ يقول: ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ [فصلت:٤٧].

وأما قوله: يحدوني، فإنه يقول: يسوقني ويشلني، أي: يطردني كطرد الربال وهو النعام. قال الكميت:

فألحقنا روافضهم ببُصرى حفاة كالربال وناعلينا [2]

وأما السملق فهو: القاع الأفيح لا يخفى على أحد، والوديقة فإنها عند العرب: شدة الحر القاتل في القيظ، لا يخفى على أحد من أهل اللسان العربي.

قال الشاعر في الوديقة:

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

وفــيفا مــرت يلفح الوجه حَرُّها   إذا ما تغشاه اتقاد الودائق [١]

وأما قوله: يحجبني ألا أبجحه ولا أفخمه، فإنه يقول: لَحَرِيٌّ، والحري فهو: الخليق، تقــول العــرب: إني لخليق ألا أكلم فلانا، ولحري ألا أزوره، ولحجي كل ذلك واحد.

وأما قوله: لا أبجحه، فإن التبجح ضرب من المديح، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالــب صــلوات الله عليه في وصيته لمالك بن الحارث الأشتر النخعي: « ولا يبجحك في وجهك ». يقول: لا يمدحنك في وجهك. وقد قال الشاعر:

فرحــت ومثلي بالذي كان يفرح   ويظهر للرحمن شكرا ويبجح [٢]

وأفخمه أي: أعظمه.

وأمــا قوله: العروق المغلغلة، فإنه يقول: الضاربة في أسافل الثرى، الذاهبة في قرار الماء، لكرمها وطيب عنصرها. قال الشاعر يمدح رجلا:

فَقُدْ كرم الأصل الذي أنت فرعه   وصادف سرا عرقه المتغلغل [٣]

وأما النجدة فهي: النجدة والشرف. قال محمد بن منادر من تميم:

أنــا صبابتها وفتاها   وابــن نجدات البلد [٤]

وأمــا قوــله: النّآد الباهظة، فالنّآد في لغة العرب: الداهية الجليلة، والباهظة فهي: الفادحة. قال الشاعر في النّآد:

رمــاك الله يــا حجر بن عمرو   بمــزعجة تصــبحكم نــآد [١]

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

(٤) لم أقف على هذا البيت.

وقوله: نُطرأ علي محنها ظلما وعدوانا. فتطرأ تغشى وتلم وهو الطاري، يقول: إن المحن نزلت به بعد الهادي عليه السلام.

وأما قوله: عقفا وحيالا، فإن العرب تسمي الأنثى من الخيل: عقوقا، وكذلك الإناث من الحمير الوحشية والأنسية. والحيال فهي: التي ليس لها نتاج، قال الشاعر يمدح رجلا كان يعرف أبا الخيل:

فقد كانت تصان به وتسمو   لها عققا ويرحلها حيالا [٢]

وأما قوله: من كل أوب، أي: من كل وجهة.

قال الكميت يرثي الحسين بن علي عليه السلام في بعض قصائده الهاشميات:

إذا شرعت فيه الأسنة كثرت   عوالهم من كل أوب [٣]

وقال: وأما قوله: فَكَلْمٌ أدمله، ووهي أرتقه، أي: جرح أداويه، ووهي أرتقه، وَأَوَدٌ أُثَقِّفُه، أي: أُقوِّمه.

وأما قوله: التكات والتعود، فإن التكات في لغة العرب: المشايخ، والتعود: الفتيان.

قال الكميت يمدح بني أمية:

تكاتهم فوق الأسرة   والتعود على المنابر [٤]

والعرب تقول للشيخ: تك.

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) من قصيدة مطلعها:

ألا هل عم في رأيه متأمل   وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

(٤) لم أقف على هذا البيت.

وأما قوله: المغذ من ذي القرحة، والأكس من الأروق. والمغذ فهو: الفرس المعدود الذي يحلق ما بين عينيه، ويدمى حتى يخرج الشعر أبيض، وقد يفعل ذلك كثير من الناس إذا كان الفرس ليس بأغر، فعل ذلك حتى يكون بين عينيه شبه الغُرَّة.

قال محمد بن منادر يفتخر:

وأنا النامور من أنفسها   فأنـــا القرحة منها لا المغذ [1]

وأما قوله: الأكس، فإنه المكسر الأسنان، والأروق الطويل الأسنان.

قال أبو المستهل الأسدي:

وصـــار كالأروق الأكس من   حـــدة والكرب بعده الكرب [2]

تم والحمد لله وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما.

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

[illegible]

مجمع الإمام المرتضى عليه السلام

المناهي

المناهي

بسم الله الرحمن الرحيم

روى لي أبي الهادي إلى الحق عن آبائه عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه:

١- نهى عن الصيام يوم الفطر [١].

٢- ونهى عن الصيام يوم النحر، وأيام التشريق [٢].

٣- ونهـــى عن الصلاة في ثلاثة أوقات على ميت، أو نافلة: عند طلوع الشمس حتى تعلو وتَبْيَض، وعند قيام كل شيء في ظلــه، وعـــند اعتدال الشمس في السماء حتى تزول، وعند اصفرار الشمس حتى يدخل الليل [٣].

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم بإسناد صحيح أنه:

---

(١) أخـــرجه الـــبخاري برقم (١٨٥٥)، ومسلم برقم (١٩٢٣)، وأبو داود برقم (٢٠٦٤)، وأحمد برقم (١٠٢٢٣)، ومالك برقم (٥٨٩)، والدارمي برقم (١٦٨٨).

(٢) أخـــرجه الـــبخاري برقم (١٨٥٥)، ومسلم برقم (١٩٢٣)، والترمذي برقم (٦٩٨)، وأبو داود برقم (٢٠٦٤)، وابن ماجة برقم (١٧١١)، وأحمد برقم (١٠٩٢١)، وبرقم (١٦١٠٧)، والدارمي برقم (١٦٨٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) بلفظ: عَنْ مُوسَى بْنِ عُلَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ يَقُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا حِينَ تَطْلُعُ الشَّـــمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ. والنسائي برقم (٥٥٧)، والترمذي برقم (٩٥١)، وأحمد برقم (١٦٧٣٧)، والدارمي برقم (١٣٩٦).

٤- نهى عن الركوب على النُّمور [1]، وعن الصلاة في الحرير المحض، وقال: النمور من متاع الكفار، وزينة من لا خَلاق له [2].

٥- ونهى صلى الله عليه وآله وسلم عن: التَّختُّم بالذهب للرجال [3].

٦- ونهى عن اللعب بالحَمَام [4]، وروي أنه رأى رجلا يلعب به فقال: شيطان يتبع شيطانا [5].

٧- ونهى عن جَرِّ الإزار [6].

---

(١) يعني: الركوب فوق جلود النمور، كما جاء في روايات أخرى ففي مسند أحمد ٩٩/٤ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ركوب جلود النمور.

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم (٣٦٤٥)، والنسائي برقم (٥٠٠٤)، وأحمد برقم (١٦٥٨٢)، والدارمي برقم (٢٥٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٨٧٦)، والترمذي برقم (١٦٥٩)، والنسائي برقم (١٠٣٠)، وأبو داود برقم (٣٥٢٥)، وابن ماجة برقم (٣٥٩٢)، وأحمد برقم (٦٧٢)، ومالك برقم (١٦٢).

(٤) اللعب بالحمام يكون بالإغراء بينها، أو بملاعبتها بعد تعويقها بقص جناحها.

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٨٩) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَتْبَعُ حَمَامَةً فَقَالَ شَيْطَانٌ يَتْبَعُ شَيْطَانَةً.

وأخرجه أيضا أحمد برقم (٢٥٧١) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدْ نَصَبُوا حَمَامَةً يَرْمُونَهَا فَقَالَ لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا.

وأخرجه الترمذي برقم (٣٧٥٤)، وأبو داود أيضا برقم (٤٢٨٩)، وأحمد برقم (٢٣٤٥)، وبرقم (٨١٨٧)، وابن ماجة برقم (٣٧٥٥).

(٦) أخرجه النسائي برقم (٥٠٠١) بلفظ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِصَالٍ الصُّفْرَةَ يَعْنِي الْخَلُوقَ وَتَغْيِيرَ الشَّيْبِ وَجَرَّ الْإِزَارِ وَالتَّخَتُّمَ بِالذَّهَبِ وَالضَّرْبَ بِالْكِعَابِ وَالتَّبَرُّجَ

٨- ونهى عن أكل ما قتل البندق [١].

٩- ونهى أن يفترش الرجل - إذا صلى - ذراعية افتراش السَّبُع [٢].

١٠- ونهى أن يَنقُر الرجل في صلاته نقر الديك [٣].

بِالزِّينَةِ لِغَيْرِ مَحَلِّهَا وَالرُّقَى إِلَّا بِالْمُعَوِّذَاتِ وَتَعْلِيقَ التَّمَائِمِ وَعَزْلَ الْمَاءِ بِغَيْرِ مَحَلِّهِ وَإِفْسَادَ الصَّبِيِّ غَيْرَ مُحَرِّمِهِ.

وأخرجه أيضا أبو داود برقم (٣٦٨٦)، وأحمد برقم (٣٤٢٣).

(١) أخرجه أحمد برقم (١٨٥٨١) بلفظ: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَسَمَّيْتَ فَخَالَطَ كِلَابًا أُخْرَى فَأَخَذْنَهُ جَمِيعًا فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَهُ وَإِذَا رَمَيْتَ فَسَمَّيْتَ فَخَزَقْتَ فَكُلْ فَإِنْ لَمْ يَخْزِقْ فَلَا تَأْكُلْ وَلَا تَأْكُلْ مِنَ الْمِعْرَاضِ إِلَّا مَا ذَكَّيْتَ وَلَا تَأْكُلْ مِنَ الْبُنْدُقَةِ إِلَّا مَا ذَكَّيْتَ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٦٨) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةَ بِـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ التَّحِيَّةَ وَكَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقْبَةِ الشَّيْطَانِ وَيَنْهَى أَنْ يَفْتَرِشَ الرَّجُلُ ذِرَاعَيْهِ افْتِرَاشَ السَّبُعِ وَكَانَ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ عَنْ أَبِي خَالِدٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عَقِبِ الشَّيْطَانِ.

وأخرجه أيضا أبو داود برقم (٦٦٥)، وأحمد برقم (٢٢٩٠٣).

(٣) قال المنذري: أخرجه أبو يعلى، وابن أبي شيبة. الترغيب والترهيب ١/٣٧٠.

وأخرجه أحمد برقم (٧٢٧٨) بلفظ: عن أبي هُرَيْرَةَ قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ أَوْصَانِي بِالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ وَصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى قَالَ وَنَهَانِي عَنِ الِالْتِفَاتِ وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْقِرْدِ وَنَقْرٍ كَنَقْرِ الدِّيكِ.

وأخرجه النسائي أيضا برقم (١١٠٠) بلفظ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ وَافْتِرَاشِ السَّبُعِ وَأَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَقَامَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يُوَطِّنُ الْبَعِيرُ.

١١- ونهى أن يتلفت في صلاته تلفت الثعلب [١].

١٢- ونهى عن الصلاة خلف النائم [٢].

١٣- ونهى أن يكتم الرجل ما علمه الله إذا أتاه من يريده ومن ينستفع به، وقال: (من كتم أخاه نصيحة أو فضلا يطلبه إليه لينتفع به حرمه الله يوم القيامة ما يرجو)، ثم قرأ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٨٧] الآية.

١٤- ونهى صلى الله عليه وآله وسلم عن كتمان العلم إذا طُلب، وقال: (من كتم علما سئل عنه جاء يوم القيامة مغلولا) [٣].

وأخرجه أيضا أبو داود برقم (٧٣١)، وابن ماجة برقم (١٤١٩)، وأحمد برقم (١٤٩٨٤)، والدارمي برقم (١٢٨٩).

(١) أخرجه برقم (٧٧٥٨) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ أَمَرَنِي بِرَكْعَتَيِ الضُّحَى كُلَّ يَوْمٍ وَالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ وَصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٥٩٥) بلفظ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَعْنِي لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُصَلُّوا خَلْفَ النَّائِمِ وَلَا الْمُتَحَدِّثِ . وابن ماجة برقم (٩٤٩).

(٣) أخرجه أبو طالب في أماليه /١٠٩، والمرشد بالله في أماليه ٤٦/١، ٥١، ٥٤، ٥٧.

وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٣)، وأبو داود برقم (٣١٧٣)، وابن ماجة برقم (٢٥٧)، وأحمد برقم (٧٢٥٥)، وابن حبان في الإحسان ٢٩٧/١(٩٦)، وابن أبي شيبة ٥٥/٩، والطبراني في الصغير ٦/١، والحاكم ١/ ١٠١.

١٥- ونهى عن الأذان بالأجرة، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ليس منا من فعل ذلك)[1].

١٦- ونهى عن تعليم القرآن بالأجرة[2].

١٧- ونهى أن تُجعل المساجد طرقا.

١٨- ونهى أن يُنشد الشعر في المسجد، وقال: من فعل ذلك فقولوا له: رض الله فاك)[3].

١٩- ونهى عن البيع والشراء في المسجد، وقال: (من فعل ذلك فقولوا له: لا أربح الله تجارتك)[4].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٣) بلفظ: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ إِنَّ مِنْ آخِرِ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِ اتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا.

وأخرجه النسائي برقم (٦٦٦)، وأبو داود برقم (٤٤٧)، وابن ماجة برقم (٧٠٦)، وأحمد برقم (١٥٦٧٩).

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم (٢١٤٨)، وأحمد برقم (٢١٦٣٢)، بلفظ: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَةَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا فَقَالَ إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا.

وأخرج أحمد برقم (١٥١١٧) بلفظ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ إِذَا أَتَيْتَ فُسْطَاطِي فَقُمْ فَأَخْبِرْ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ خَلَفٍ أَبُو خَلَفٍ وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْبُدَلَاءِ. وَذَكَرَ حَدِيثًا آخَرَ نَحْوَهُ.

(٣) أخرجه النسائي برقم (٧٠٨) بلفظ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ.

وأخرجه الترمذي برقم (٢٩٦)، وابن ماجة برقم (٧٤١)، وأبو داود برقم (٩١١).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (١٢٤٢) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا رَأَيْتُمْ

٢٠- ونهى عن النخامة في المسجد.

٢١- ونهى أن يكون في قبلة المسجد حَمَّام أو حُشٌّ [1] أو مقبرة.

٢٢- ونهى عن الصلاة بين المقابر.

٢٣- ونهى عن الصلاة في الحَمام [2].

٢٤- ونهى عن الإقْعَاء [3] في الصلاة كإقعاء الكلب.

٢٥- ونهى أن يجعل الرجل يده على يده على صدره في الصلاة، وقال: (ذلك فعل اليهود وأمر أن يرسلهما) [4].

مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً فَقُولُوا لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ أَبو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَرِهُوا الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَقَ وَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِي الْمَسْجِدِ. والدارمي برقم (١٢٦٥).

(١) الحش بفتح الحاء وضمها: البستان، وهو أيضا المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٩١)، وبرقم (٣١٦) بلفظ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ فِي الْمَزْبَلَةِ وَالْمَجْزَرَةِ وَالْمَقْبَرَةِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَفِي الْحَمَّامِ وَفِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ اللَّهِ.

أخرجه أبو داود برقم (٤١٥) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ مُوسَى فِي حَدِيثِهِ فِيمَا يَحْسَبُ عَمْرٌو إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْحَمَّامَ وَالْمَقْبَرَةَ. وابن ماجة برقم (٧٣٧)، والدارمي برقم (١٣٥٤).

(٣) الإقعاء: أن يلصق الرجل إليتيه بالأرض وينصب ساقيه وفخذيه، ويضع يديه على الأرض كما يفعل الكلب.

(٤) لهذه الرواية شواهدة كثيرة، انظر عنها كتاب (توضيح المقال في الضم والإرسال). للعلامة محمد يحيى عزان.

٢٦- ونهى عن الضحك في الصلاة، وقال: (من ضحك في صلاته أعاد).

٢٧- ونهى أن يصلي الرجل في ثوب غير طاهر.

٢٨- ونهى أن يصلي الرجل متوكيا.

٢٩- ونهى الرجل إذا رفع رأسه من الركوع أن يسجد حتى يستوي قائما[١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خدَاج)[٢].

٣٠- ونهى أن يسافر المقيم يوم الجمعة إذا حضرت الصلاة حتى يُجَمِّع.

٣١- ونهى أن يستقبل الرجل الرِّيح وهو يبول[٣].

٣٢- ونهى أن يبول الرجل عريانا أو قائما[١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٨)، وأبو داود برقم (٦٦٥)، وابن ماجة برقم (٨٨٣)، وأحمد برقم (٢٢٩٠٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٨)، والترمذي برقم (٢٨٧٧)، والنسائي برقم (٨٩٩)، وأبو داود برقم (٦٩٨)، وابن ماجة برقم (٨٢٩)، وأحمد برقم (٦٩٩٠)، ومالك برقم (١٧٤).

(٣) رواه في الشفا للأمير الحسين العلامة محمد يحي عزان. وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أنه كان ينخمر الريح إذا أراد أن يبول). أي: ينظر من أين يجري. قال في التلخيص: قوله: روي أنه كان ينخمر الريح. أي: ينظر أين مجراها، لئلا ترد عليه البول. لم أجده من فعله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من قوله صلى الله عليه وآله وسلم عند أبي حاتم في العلل من حديث سراقة بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا أتى أحدكم الغائط فلا تستقبلوا القبلة واتقوا مجالس اللعن: الظل والماء وقارعة الطريق، واستخمروا الريح، واستشبتوا على سوقكم، وأعدوا النبل).

وحكى عن أبيه أن الأصح وقفه. قال: وفي الباب عن الحضرمي رفعه: إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه. رواه ابن قانع. البحر الزخار ٢/٤٤.

أقول: والنبل: حجارة الاستنجاء.

٣٣- ونهى أن يُبَال على قبر أو بين المقابر.

٣٤- ونهى عن الغائط على الطريق (٢).

٣٥- ونهى أن يقضي الرجل حاجته من الغائط والناس ينظرون (٣).

---

(١) أخرجه النسائي برقم (٢٩)، والترمذي برقم (١٢)، وابن ماجة برقم (٣٠٣) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا جَالِسًا.

وأخرج أبو داود برقم (١٤)، وأحمد برقم (١٠٨٨٤) بلفظ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ هِلَالِ ابْنِ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَخْرُجِ الرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَتِهِمَا يَتَحَدَّثَانِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ قَالَ أَبو دَاوِد هَذَا لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَّا عِكْرِمَةُ ابْنُ عَمَّارٍ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٩٧)، وأبو داود برقم (٢٣)، وأحمد برقم (٨٤٩٨) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ.

وأبو داود برقم (٣٢)، والدارمي برقم (٦٦٠)، وابن ماجة برقم (٣٣٢)، وأحمد برقم (٨٤٨٣)بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنِ اكْتَحَلَ فَلْيُوتِرْ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ وَمَنْ أَكَلَ فَمَا تَخَلَّلَ فَلْيَلْفِظْ وَمَا لَاكَ بِلِسَانِهِ فَلْيَبْتَلِعْ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ وَمَنْ أَتَى الْغَائِطَ فَلْيَسْتَتِرْ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ كَثِيبًا مِنْ رَمْلٍ فَلْيَسْتَدْبِرْهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِمَقَاعِدِ بَنِي آدَمَ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ.

(٣) أخرج البخاري برقم (٢٠٩)، ومسلم برقم (٤٣٩)، والترمذي برقم (٦٥) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ

أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يبول أحد أو يتغوط والناس ينظرونه، وقال: (استتروا واستحيوا فإن الستر والحياء من الإيمان).

٣٦- ونهى صلى الله عليه وآله وسلم أن يستنجي الرجل بيمينه [1].

٣٧- ونهى أن يدخل الرجل يده في الإناء إذا قام من نومه حتى يغسلها [2].

٣٨- ونهى أن ينام الرَّجُل إلى جَنْبِ الرَّجُل ليس بينهما ثوب، وكذلك المرأة إذا نامت إلى جنب المرأة [3].

فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا . وأخرجه مسلم برقم (٥١٧)، بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ قَالَ ابْنُ أَسْمَاءَ فِي حَدِيثِهِ يَعْنِي حَائِطَ نَخْلٍ .

وأبو داود برقم (٢١٨٦)، وابن ماجة برقم (٣٣٤)، وأحمد برقم (١٦٥٤)، والدارمي برقم (٦٦١)،

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٠)، ومسلم برقم (٣٩٢)، والترمذي برقم (١٥)، والنسائي برقم (٢٤)، وأبو داود برقم (٢٩)، وابن ماجة برقم (٣٠٦)، وأحمد برقم (٢١٥٢٢)، والدارمي برقم (٦٧١).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ. أخرجه البخاري برقم (١٥٧)، ومسلم برقم (٤١٦)، والترمذي برقم (٢٤)، والنسائي برقم (١٦١)، وأبو داود برقم (٩٤)، وابن ماجةبرقم (٣٨٧)، وأحمد برقم (٦٩٨)، ومالك برقم (٣٣)، والدارمي برقم (٧٥٩).

(٣) أخرجه النسائي برقم (٥٠٠٤)، والدارمي برقم (٢٥٣٤).

٣٩- ونهى أن تفاكهَ المرأة بحديث زوجها [١].

٤٠- ونهى أن يُحَدِّث الرجلُ الرجلَ بحديث أهله.

٤١- ونهى أن تحدث المرأةَ الامرأةَ بما تخلو به من زوجها.

٤٢- ونهى أن تقول المرأة غشيني زوجي كذا وكذا مرة.

٤٣- ونهى الرجل عن مثل ذلك، وقال: (من فعل ذلك فَمَثَلُه كمثل من غشي امرأته بين ظهراني الناس وهم ينظرون إليه) [٢].

وأخرجه أحمد برقم (١٦٥٨٢) بلفظ: عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ عَشْرَةً الْوَشْرَ وَالْوَشْمَ وَالنَّتْفَ وَمُكَامَعَةَ الرَّجُلِ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا ثَوْبٌ وَمُكَامَعَةَ الْمَرْأَةِ بِالْمَرْأَةِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا ثَوْبٌ وَجَعْلَ حَرِيرٍ عَلَى أَسْفَلِ الثَّوْبِ وَجَعْلَ حَرِيرٍ عَلَى الْعَاتِقَيْنِ وَالنَّمِرَ يَعْنِي جِلْدَةَ النَّمِرِ وَالنُّهْبَةَ وَالْخَاتَمَ إِلَّا لِذِي سُلْطَانٍ.

(١) تفاكه بحديث زوجها: تمازح به.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٨٥٩) وأحمد برقم (٢٦٣٠١) عن أسماء بنت يزيد أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ فَقَالَ لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَرَمَّ الْقَوْمُ فَقُلْتُ إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ .

وفي لفظ لأحمد برقم (١٨٥٩) من حديث طويل عن أبي هريرة:...ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ ثُمَّ اتَّفَقُوا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرِّجَالِ فَقَالَ هَلْ مِنْكُمْ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ سِتْرَهُ وَاسْتَتَرَ بِسِتْرِ اللَّهِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ثُمَّ يَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا فَعَلْتُ كَذَا قَالَ فَسَكَتُوا قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ هَلْ مِنْكُنَّ مَنْ تُحَدِّثُ فَسَكَتْنَ فَجَثَتْ فَتَاةٌ قَالَ مُؤَمَّلٌ فِي حَدِيثِهِ فَتَاةٌ كَعَابٌ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتَيْهَا وَتَطَاوَلَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَرَاهَا وَيَسْمَعَ كَلَامَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَتَحَدَّثُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيَتَحَدَّثْنَهُ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا مَثَلُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانَةٍ لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ...

٤٤- ونهى أن يجامع الرجل الأمة وفيها شركة لأحد.

٤٥- ونهى أن يجامع الرجل الامرأة الحبلى من غيره [1].

٤٦- ونهى عن تزويج المرأة على عمتها، وعن تزويج العمة على بنت أخيها، وعن تزويج المرأة على خالتها، وعن تزويج المرأة على ابنة أختها [2].

٤٧- ونهى صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المرأة المطلقة حتى تخرج من العِدَّة وتغتسل من الحيضة الثالثة، إذا كانت من ذوات الحيض.

---

(١) وذلك نحو الأمة التي اشتراها وهي حبلى من غيره.

أخرجه الترمذي برقم (١٤٨٩)، وأبو داود برقم (١٨٤٤)، وأحمد برقم (١٦٣٨٣) بلفظ: عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا جَرْبَةُ فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَا أَقُولُ فِيكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَامَ فِينَا يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ يَعْنِي إِتْيَانَ الْحَبَالَى مِنَ السَّبَايَا وَأَنْ يُصِيبَ امْرَأَةً ثَيِّبًا مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا يَعْنِي إِذَا اشْتَرَاهَا وَأَنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتَّى يُقْسَمَ وَأَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ وَأَنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ.

وفي لفظ آخر لأحمد برقم (١٦٥٢٧): عن أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ الْعِرْبَاضِ قَالَتْ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ كُلَّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ وَلُحُومَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْخَلِيسَةَ وَالْمُجَثَّمَةَ وَأَنْ تُوطَأَ السَّبَايَا حَتَّى يَضَعْنَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٧) بلفظ: عَنِ الشَّعْبِيِّ سَمِعَ جَابِرًا رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا. ومسلم برقم (٢٥١٤)، والنسائي برقم (٣٢٤٥)، ومالك برقم (٩٧٧)، وأحمد برقم (١٤٥٦٧)، والدارمي برقم (٢٠٨٣).

٤٨- ونهـــى عن الشِّغار، وهو أن يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك، وأزوجك بنتي ويطرحان المهر بينهما [(١)].

٤٩- ونهى أن يجمع الرجل بين الأمة وابنتها وطئا، وكذلك لا يجمع بينها وبين أختها، ولا بينها وبين عمتها، ولا بينها وبين خالتها وطئا.

٥٠- ونهى أن يطأ الرجل الأمة العاريَّة، وقال: (إن الله سبحانه لم يحل عَاريَّة الفُرُوج، ولا يحل لمسلم أن يغشى من الإماء إلا أمة يملك عتقها).

قـــال محمد بن يحيى: قد بلغنا عن بعض الجهال أن أحدهم يقول للرجال: قد أحللت لك فَرْجَ جاريتي تطأها. وهذا فهو الحرام المحضور، وملعون من فعله، لمكانه من العلم.

٥١- ونهـــى عن نكاح الأمة التي تحرم من قِبَل الرَّضاعة، وقال صـــلى الله علـــيه وآله وسلم: (يحرم من النكاح ما يحرم من النسب).

٥٢- ونهـــى أن يَخْطب الرجل على خِطبة أخيه حتى ينكح أو يَدَعُ، أو يتزوجها بنكاح صحيح [(٢)].

٥٣- ونهى المرأة أن تُنكح نفسها، ولكن يُنْكِحها أولياؤها.

---

(١) أخرجه زيد بن علي في المسند /٣١٥، والمؤيد بالله في شرح التحرير (مخطوط).

وأخرجه البخاري برقم (٤٧٢٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٧)، والترمذي برقم (١٠٤٣)، والنسائي برقم (٣٢٨٢)، وأبـــو داود بـــرقم (١٧٧٦)، وابن ماجة برقم (١٨٧٣)، وأحمد برقم (٤٢٩٧)، ومالك برقم (٩٨٠)، والدارمي برقم (٢٠٨٥).

(٢) أخـــرجه البخاري برقم (٤٧٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٨٧)، والترمذي برقم (١٢١٣)، والنسائي برقم (٣١٩١)، وأبو داود برقم (١٧٨٢)، وأحمد برقم (٤٤٩٢)، ومالك برقم (٩٦٥)، والدارمي برقم (٢٠٨١).

٥٤- ونهى أن يكون النكاح إلا بولي وشاهدي عدل.

٥٥- ونهى أن تُنكَح الثيِّب حتى تستأذن.

٥٦- ونهى أن تُنكَح البِكرُ البالغ حتى تستأذن، وأذنها صمتُها.

٥٧- ونهى الرجل أن ينكح أخت امرأته حتى تنقضي عدة أختها التي طلق.

٥٨- ونهى أن تسأل المرأة زوجها الطلاق، فإن فعلت ذلك حرَّم الله عليها الجنة إذا كانت ظالمة له [1].

٥٩- ونهى عن بيع الرقيق من أهل دار الحرب، وعن بيع الإماء المسلمات من أهل الذمة.

٦٠- ونهى عن بيع السلاح والدواب من أهل دار الحرب.

٦١- ونهى عن عون الظالمين.

٦٢- ونهى عن صحابة الخائنين.

٦٣- ونهى عن أن ينظر الرجل إلى المرأة ليست له بمحرم لشهوة.

٦٤- ونهى أن ينظر الرجل إلى شيء حرمه الله عليه.

٦٥- ونهى أن يديم الرجل النظرة الأولة [2].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١١٠٨) بلفظ: عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ. وأبو داود برقم (١٨٩٩)، وابن ماجة برقم (٢٠٤٥).

(٢) أخرجه برقم (١٣٠٢) بلفظ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزًا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا فَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ. وأخرجه الترمذي برقم (٢٧٠١)، وأبو داود برقم (١٨٣٧)، وأحمد برقم (٢١٩٤٣)، والدارمي برقم

٦٦- ونهـى أن يكلم الرجل المرأة لشهوة أو لغير شهوة إذا لم تكن له مَحْرَما. ونهى أن يؤاكلها. ونهى أن يخلو بها [١].

٦٧- ونهى عن عقد نكاح المرأة وهي في عدتها.

٦٨- ونهى الرجل أن ينظر إلى عورة الرجل.

٦٩- ونهى المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة، وقال: (عورة المسلم على المسلم حرام).

٧٠- ونهى أن يدخل الحَمَّام إلا بمئزر، وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر).

٧١- ونهى النساء عن دخول الحمام، وقال: (لعن الله داخلات الحمام).

٧٢- ونهـى أن تقـبل شهادتهن وحدهن في حَدٍّ من الحدود والقصاص.

٧٣- ونهى أن تقبل شهادتهن في شيء إلا ومعهن رجل، إلا في الاستِهلال[٢] أو في الرضاع.

٧٤- ونهى أن يُردف الرجل دابّته امرأة لا يملكها [٣].

٧٥- ونهـى المـرأة تستعين بالرجل يحملها على دابتها. ونهى النساء أن يلي ذلك منهن غير رجالهن.

(٢٥٩٣).

(١) أخـرجه البخاري برقم (٢٧٨٤)، ومسلم برقم (٢٣٩١)، وأحمد برقم (٣٠٦٢)، والترمذي برقم (١٠٩١).

(٢) الاستهلال: رفع الصوت بالبكاء.

(٣) يعني: لا يركب الرجل مع امرأة ليست زوجته أو أمته.

٧٦- ونهى المرأة أن تسافر إلا مع زوج أو ذي رحم مُحرَّم [١].

٧٧- ونهى أن تدخل المرأة المتهمة في دينها على المرأة المؤمنة في دينها.

٧٨- ونهى أن تدخل المُذَكَّرة [٢] من النساء على امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.

٧٩- ونهى أن تلبس المرأة لباس الرجال، وتشبه بهم في حال من الحال، أو تمشي مشية الرجل، أو تَكلَّم بكلامه [٣].

٨٠- ونهى أن يدخل المُخنَّث من الرجال على امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٢٩)، ومسلم برقم (٢٣٩١)، والترمذي برقم (١٠٩٠)، وأبو داود برقم (١٤٦٧)، وأحمد برقم (٣٠٦٢)، ومالك برقم (١٥٥٠).

(٢) المذكرة: التي تتشبه بالرجال من النساء.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٤٣٥)، والترمذي برقم (٢٧٠٩)، وأبو داود برقم (٤٢٨٢)، ابن ماجة برقم (١٨٩٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمَرْأَةَ تَتَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ وَالرَّجُلَ يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ. وأحمد برقم (٣٢٧٩)، والدارمي برقم (٢٥٣٥).

وفي رواية لأحمد ٦٥٨٠ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ قَالَ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَمَنْزِلُهُ فِي الْحِلِّ وَمَسْجِدُهُ فِي الْحَرَمِ قَالَ فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ رَأَى أُمَّ سَعِيدٍ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ مُتَقَلِّدَةً قَوْسًا وَهِيَ تَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ مَنْ هَذِهِ قَالَ الْهُذَلِيُّ فَقُلْتُ هَذِهِ أُمُّ سَعِيدٍ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَلَا مَنْ تَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ .

وأخرج البخاري.... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَأَخْرِجُوا فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْنِي الْمُخَنَّثِينَ .

٨١- ونهى الرجل أن يتشبه بالمرأة في لباسها وفي كلامها أو في مشيتها، وقال: (لعن الله ورسوله والملائكة من فعل ذلك من الرجال والنساء).

٨٢- ونهى المرأة أن تُقْصي زوجها في شيء يهواه منها، ما لم يحملها على معصية الله.

٨٣- ونهى عن شراء الحرام، قال: (مشتري الخيانة والخائن شريكان، ومشتري النّهب والنّاهب ظَهيران).

٨٤- ونهى عن النّفخ في الطعام والشراب [١].

٨٥- ونهى عن الكهانة.

٨٦- ونهى أن يُصَدِّق الكاهن ويؤتى، وقال: (من تَكَهَّن أو تُكُهِّن له فليس من الله في شيء) [٢].

٨٧- ونهى عن مجالسة المُخَنَّث وعن إجابة دعوته، وأكل طعامه، وعن مناكحته، وقال: (من فعل شيئا من ذلك فقد برئ الله ورسوله منه).

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٦٧٨) بلفظ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

وأخرجه أبو داود برقم (٣٢٣٤) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ وَأَنْ يُنْفَخَ فِي الشَّرَابِ. وابن ماجة برقم (٣٢٧٩)، والترمذي برقم (١٨٠٩)، وأحمد برقم (١١٣٣٦)، ومالك برقم (١٤٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٢٥)، ابن ماجة برقم (٦٣١) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ. وأبو داود برقم (٣٤٠٥)، وأحمد برقم (٩٧٧٩)، والدارمي برقم (١١١٦).

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــوع **رقم الصفحة**